مصطفى جحا

لبنان في ظلال البعث...

فصول في الحرب السورية اللبنانية

الطبعـة الاولى

الاهداء

الى كل يد خيّرة وكريمـة امتدت ، جهارا او سرا ، لتبلسم جرحا ، او لتروي عطشانا ، او لتطعم جائعا ، او لتنقذ خائفا ، او لتلبس عريانا ، او لتمسح عرق جبين هارب من المـوت ، او لتقـدم لمشرد خيمة او منزلا او فراشا ، او لتعزي انسانا مكسور الخاطر .

الى كل المحسنين والمحسنات « لبنان في ظلال البعث ... » وعسى ان يخرج من هذه « الظلال » وطنا واحدا ، موحدا ، وسيدا حرا مستقـلا ، مثلما ينبغي .

مصطفى

« ان لبنــان الجديد سيولــد في المحنة ، وهو لن يكون بالتأكيد اللبنان الــذي عرفنــاه طيلــة الثلاثين سنــة الماضية » .

الشيخ بشير الجميل
قائد القوات اللبنانية الموحدة

بيروت ٢٣ تشرين الثاني ١٩٧٨

بين تخل «وتخل»

«... ويسجل هنا ان المسلمين لم يتخلوا خلال العقود الثلاثة الاخيرة عن دعواهم الى التابعية السياسية العربيـة كما وعدوا في ١٩٤٣ عهـد ان المسيحيين اقتنعوا نهائيا وعمليا ببطلان فكرة الحماية الاجنبية ، التي هي وهم متوهم .

وهذا يعني ان التخلي الذي تحقق في ١٩٤٣ لم يكن واحـد الطعم او البعد عند الجماعتين :

أ ـ تخلي المسلمين عن العروبة السياسية تخل عن ذاتهم نفسها .

ب ـ تخلي المسيحيين عن الحماية الاجنبية وعي بضرورة العودة الى الذات نفسها واعتمادها المنطق الافعل والاضمن لكل حضور عندهم .

وعليه ، فقد تكون فضيلة الميثـاق ـ واذا كان له ثمة فضيلة ـ انه وضع لبنان على طريق البدء بالعمـل على البحث عن الشخصية اللبنانية ، وبالعمل من ثم ، على الانطلاق من هذه الشخصية وتحقيقها تحقيقا فعالا وبناء بالتأكيد .

ولكن شيئا من ذلك لم يبدأ ، بل كانت شهود العقود الثلاثة علامـة « مراوحة » بدأت بالتخلي وانتهت بالاستنزاف والتآكل كما يشهد الواقع السياسي والاجتماعي والنفسي القـائم ، اذ وقف آباؤنا وقالوا لا للتغرب

ولا للتعرب ، وجهد لبنان فكان ان وجد نفسه رهين ما يجري في المنطقة العربية ((يتلقى)) وينفعل عهد لو استطاع ان يحدد اصولية شخصيته المميزة لفعل وغيّر في طبيعة الواقع الحضاري القائم في المنطقة .

من هنا ، ولكي تأخذ هذه الانتفاضة بعدها السليم ، لا بد من التخطيط المرحلي ضمن رؤية كبرى تهدف الى انه لا يجوز ، في اية حال ، التنازل عن ذرة واحدة من ترابات لبنان تحت اي شكل او وضع .

لذلك وحتى تستكمل التجربة اوانها ارى :

١ – ان توضع انظمة كل جماعة وشرائعها ، بكل حرية ، على محك التجربة الحضارية القائمة مع التقدم الانساني المطرد : والحياة للاصلح دائما .

٢ – ان تصوغ الدولة الانظمة والشرعات الخاصة بها . وان تترك الحرية المطلقة لمن يتبناها وينهجها وان تكون الدولة قادرة على حمايته وعلى السهر على سلامة وجوده وحضوره ، ونؤكد هنا ان هذه الصياغة لا بد من ان تنسل من اعتبارات :

أ – التاريخ النابض لاصولية الحياة اللبنانية (الفلكلور ، طقوس الحياة والموت) .
ب – التطلعات العالمية التي هي اساس كل حضور لبناني وشرطه .
ج – الحرية : وهي بقدر ما هي علاقة تميز الانسان وتمايزه عن سائر المخلوقات في هذا الوجود ، هي من باب اولى علامة تميز اللبناني وتمايزه عن سائر الناس في هذا الوجود .

٣ – ان توجه الدولة عملية التفاعل وان تدفعها لا في مسار المراوحة الحضارية بل في اتجاه البحث عن مثال الشخصية اللبنانية ورمزها La Mythe Libanais وليس المقصود هنا ، على اية حال ، صهر هذه التعددية او دمجها في بوتقة واحدة ، فهذا من قبيل ((المراهقة الحضارية)) : فمن كانت الحرية اساس حضوره وشرطه لا يملك ان يتخلى عنها وان يبقى حاضرا في آن)) .

الدكتور مناف منصور

● من محاضرة له بعنوان ((معاني الانتفاضة وقيمها ضمن الشخصية اللبنانية)) القيت في ((الرابية)) بتاريخ ١٩٧٧/١/١٣ (راجع ((العمل الشهري)) عدد آذار ١٩٧٧) .

شخصية المناطق اللبنانية وذاتيتها القانونية

((ان التفاوت الكبير بين الشعور الوطني Sentiment National والشعور المدني Sentiment Civique يشكل العامل السوسيولوجي المستمر في تاريخنا الحديث . فالتحدي الاكبر الذي ما زلنا نجابهه منذ الاستقلال حتى يومنا هذا ، يكمن في التفاوت الجوهري بين الحماس الوطني والفتور المدني . فبقدر ما يحرك الشعور الوطني النفسية اللبنانية في اعماقها ، ويدفع اللبنانيين الى بذل اقصى التضحيات والى البطولات الملحمية الرائعة ، بقدر ما يبقى الشعور المدني متخلفا ، بحيث يصح القول بأن قدرة اللبنانيين على تأسيس الدولة لا توازي قدراتهم على خلق الاوطان.

وتستتبع هذا الوضع امور خطيرة اهمها ، ان الحماس الوطني بحد ذاته ، اذا لم يقترن بالشعور المدني الناضج ، يبقى مجرد انتفاضة عاطفية تصرخ بوجه التاريخ في الظروف الاستثنائية وتسكت وتتلاشى عندما تعود الحياة العادية الى مجراها الطبيعي)) .

الشيخ امين الجميل
رئيس اقليم المتن الشمالي
لحزب الكتائب اللبنانية

● من محاضرة له القيت في ((الرابية)) بتاريخ ١٩٧٧/١/١٥ (راجع ((العمل الشهري)) عدد آذار ١٩٧٧) .

تمهيد

اذا كان الحزب يعني ان « اتباعـا عادين يجتمعون حـول شخص نافذ ، او فئات ملتفة حول عائلة اقطاعيـة ، او عصابات يجمعها زعيـم عسكري ، مثلما كان في بلدان الشرق والشرق الاوسط وافريقيا واميركا اللاتينيـة واميركا الوسطى (قبل ١٩٣٩) » [1] • فعندنا ، اليـوم ، في لبنان ، عدد ، غير قليل ، من الاحزاب •• لها هذه المواصفات ، وجميعها مرخّصة •

لقد درج زعماء لبنـان على التصدي للخصومـة ، التي تكمن بين بعضهم البعض ، بتأليف لجـان يقتصر نشاطها على الانتخابات النيابية ، والترتيبات البرلمانية •

ومنهم من وسّع اتصالاتـه ، الى دائرة اخـرى ، او اكثر ، فأنشأ تعاقـدا ، مع زعماء ، ونواب ، من غير طائفتـه ، اما ليكون تأثيره ـ في الانتخابات التي يجريها مجلس النـواب ، كل ست سنوات ، لاختيـار

(١) « الاحزاب السياسية » موريس ديفرجيه ، دار النهار .

رئيس للجمهورية ـ كبيرا ، وفاعلا ، واما ليكون ، هو نفسه ، الرئيس ـ اذا كان من الطائفة المارونية ـ او رئيسا لمجلس النواب ـ اذا كان من الطائفة الشيعيـة ـ او رئيسا لمجلس الوزراء ـ اذا كان من الطائفـة السنيّة •

« كل لبناني يهتم بالسياسة ، حتى قيل انه لا يتحرك الا سياسيا • كل لبناني يتحزب سياسيا ، مع او ضد • وغالبا ما يقف « ضد » لانه لم يجد نفسه في موضع « المع » •

هكذا كان ، وما زال ، في اكثر الاحيان ، شأن اللبناني في سياسته المحلية ، سياسة الناطور والمختار ، سياسة البلدية والمجلس الملي ، سياسة الجمعيـات والمؤسسات الخيرية ، سياسة الانتخابات النيابيـة ، وحتى انتخابات الرئاسة الاولى » (١) •

هذه الاحزاب (اللجان) لا دور للعقيـدة والمسائل الايديولوجية فيها على الاطـلاق ، لانها تعمل على تجميـع الشخصيات واستقطابها ، وتأمين مصالحها الانتخابية ، عن طريـق الرشوة والضغوط السياسية ، والصداقات ، والقرابة العائلية ، والارتباطات الخارجية ، والامتيـازات الاقطاعية ، وما الى هنالك •

وهي مهددة بالاضمحلال ، او التقلص ، لانها ، اساسا ، تعتمد على التحالفـات الشخصية غير الثابتة « ليس هنالك عداء دائم ، ولا صداقة دائمة ، بل هنالك مصالح دائمة » فالمصالح التي تفرض التحـالف هي ، عينها ، التي تستدعي اما استمرار هذا التحالف ، واما كسره ، والاستغناء عنه •

---

(٢) جورج سكاف « الاحزاب اللبنانية ـ في مواجهة ١٩٧٠ » الصادر عن « الجريدة » •

ان اطرف ما تواجهه هذه الاحزاب (اللجان) هو النزاع الدائم بين المتحالفين •• الاصدقاء • اذ سرعان ما يصبح حليف اليـوم عدو الغد • والشيء ذاته بالنسبة للتجمعات الشعبية ، التابعة لهذه الاحزاب (اللجان) فلا صلة عقائدية بين الناخبين، وهؤلاء ايضا ، حسبما اعتادوا ، لا يتطلعون الى المصالح العامة ، بل كل الى مصلحته ، ومصلحته فقط •

يُعتبر رئيس الحزب (اللجنة) المالك الاكبر للتجمعات الشعبية • اما بقية الاعضاء ـ من الشخصيات ـ فكل حسب مقدرته المالية ، ومركزه العائلي (الاجتماعي) ، وقوة الدعم الخارجي «لزعامته» • كما انه لا ينتفع من تحالفه ، مع الرئيس ، الا بقدر ما يدفع له من المال •

ودائما يكون رئيس الحزب (اللجنة) حر التصرف في عملية اختيار الشركاء، في المعركة الانتخابية ، اذ ان ناخبيه ، في كل مرة ، لا يملكون سوى الطاعة العمياء له ، والولاء المطلق لزعامته ، وعنده الصلاحيات كافة ، والشخصية « المميزة » •

هكذا قضى لبنان ، واللبنانيون ، الفترة كلها ، الممتـدة بين تعيين المرحوم شارل الدباس اول رئيس للجمهورية اللبنانية (٢٦ ايار ١٩٣٦) وبين انتخـاب الرئيس الياس سركيس (٨ ايار ١٩٧٦) • وكذلك ، منذ انتخاب اول مجلس نيابي لبناني (ايار ١٩٢٢) وحتى انتخـاب المجلس النيـابي الحالي (١٩٧٢) الذي جُدد له مرتين ، بحكم الظـروف التي نمر بها ؟!

عندنـا ايضا ، احزاب ذات مبـادىء انبثقت عن نظرات فلسفيـة للوجود والمجتمع ، منها لبنانية الاصل ، واخرى خارجة عن لبنان (خلال الفترة الممتـدة بين ١٩٢٦ و ١٩٧٠ تم ترخيص وتسجيـل اربعة وثلاثين حزبا ، حسبما ورد في سجلات وزارة الداخلية) (١) •

---

(١) « الاحزاب اللبنانية ـ في مواجهة ١٩٧٠ » •

لكن التركيب الطائفي ، الذي يقوم عليه بناء لبنان السياسي ، لم يساعد هذه الاحزاب ، على التحرر من ثوب الطائفية المشؤوم • بل غرقت، جميعها ، في اوحال الطائفية ، خلال احداث ١٩٥٨ ، والاحداث القائمة • فمن المؤسف حقا ، بل من المعيب ، ان تقيم هذه الاحزاب ــ على الرغم من دعوتها الى العدالة الاجتماعية ، والعلمنة ، والتحرر من خطر الطائفية ــ حواجز خطف على الهوية ، وتقتل وتذبح الابرياء ، من المسيحيين والمسلمين •

والذي يربك ويؤلم هو قصف الاحياء السكنية الآمنة ، والاسواق، والطرقات ، بالمدافع الثقيلة ، والصواريخ ، من قبل احزاب •• في دساتيرها دعوة الى الاصلاح ، والخير ، والوحدة الوطنية ، والعمران، والاشتراكية •

لقد قطعت هذه الاحزاب الطرقات ، بين منطقة واخرى ، وهجّرت مواطنين كانوا في منازلهم آمنين مطمئنين ، وشتت الناس ، وسرقت ، ونهبت ، وقسمت البلاد الى علب ، من دون ان تعطى كل علبة امنها واستقرارها • فالفوضى هي في كل مكان من لبنان ، مثلما الارهاب ، والرعب ، والخوف ، والقلق • وكأن هذه الاحزاب ــ على ما يبدو ــ هي متفقة على تدمير لبنان وتقسيمه •

ان الحالة النفسية التي وصل اليها اللبنانيون تؤكد على انهيار لبنان وتقسيمه ، مهما قيل العكس ، او ارتفعت الشعارات • فالمسلم الذي لا يطمئن في منطقته ، أنّى له ان يطمئن في المنطقة المسيحية ، ومثله المسيحي ايضا •

ان تدفق الاسلحة ، على اختلاف انواعها ، والاموال ، على الاحزاب، لهو برهان على ان السنوات الآتية ، وربما العشر على الاقل ، لا تسمح

بالعودة الى لبنان الموحّد ــ بشكله الحالي ــ ولو حسنت النوايا • فالاسباب الخارجية للصراع ، ان انتهت ، لا تعني ، بالضرورة ، انتهاء الاسباب الداخلية • وكيف نحتم نفي الاسباب الخارجية ، طالما ان القضية الفلسطينية لم تحل ، من جهة ، وان العرب هم على خلاف مستمر ، من جهة اخرى • اليس لبنان هو الساحة الوحيدة للصراع العربي ــ العربي ؟ علما بان الاسباب الداخلية هي التي تعبّد طرق التدخل والتسلط والهيمنة امام الاسباب الخارجية •

لقد موّل الفلسطينيون بعض هذه الاحزاب ، بالاسلحة ، والاموال، العربية ، والاجنبية • كما ان بعض الدول العربية والاجنبية ومعها اسرائيل يموّل اقساما من الفريقين المتناحرين ، الفلسطينيين وحلفاءهم ، واللبنانيين المسيحيين • لكن الغاية هي واحدة •• انها استمرار الصراع في لبنان •

خلال الحرب الفلسطينية ــ اللبنانية لم يكن للاحزاب (اللجان) من دور ، سوى الدعوة الى التهدئة • ومن رؤساء هذه اللجان من هرب، الى خارج البلاد ، طلبا للراحة والسلامة • وكأن لا علاقة لهؤلاء ، بلبنان، الوطن ، الا من خلال مصالحهم ومراكزهم • فالوطن والشعب ، عندهم ، هما كما الثور ، عند صاحبه الذي يهتم به ، ما دام هذا الثور معافى قويا، ومتى هرم اهمله ، او باعه بأي ثمن • ما اكثر الذين تركوا لبنان يتخبط بدمه !

في هذه الحرب ، وقفتُ الى جانبي حزبي الكتائب و « الاحرار » وحلفائهما • وقاتلتُ ــ قدر المستطاع ــ بالكلمة ــ وليس بالسيف فقط تنتصب قامة الدفاع عن الاوطان ــ من اجل سيادة لبنان ، ووحدته • ومن اجل تطهير صفوف الثورة الفلسطينية من الغوغائية ، والديماغوجية ، والتسلط الفردي الارعن ، والانانية ، داعيا الى رص الصفوف العربية في وجه العدو ، لا في وجه لبنان ، الوطن الذي لا ذنب

له سوى انه ضعيف .. ضعيف باحزابه ، وضعيف بقيادييه ، وضعيف بشعبه ، وضعيف بحكومته ، وضعيف بجيشه ، وضعيف بتمزقه الطائفي.

لقد وقفتُ الى جانب هؤلاء (الكتائب و « الاحرار ») على الرغم من اخطائهم ... التي اهمها واخطرها ترك الساحة اللبنانية فارغة من العقائد .. والايديولوجيات اللبنانية . ففي مجال الدفاع ، عن لبنان ، والشرعية ، والديمقراطية ، لم يكن غير الكتائب و « الاحرار » وحلفائهم، واقسام اخرى ، من تيارات واتجاهات مختلفة ، هنا ، وهناك . ان ولاء هؤلاء للبنان ، وان كان من النوع الطوباوي الرومنطيقي ، فهو بالنسبة لي تراث خالد ، وقد حلّ عند اولئك الذين قدموا دماءهم ، دفاعا عن لبنان ، محل العقيدة .

اذا كان المغفور له ، الزعيم انطون سعادة ، قد خاطب رفقاءه ، وانصاره ، قائلا : « ان أزمنة مليئة بالصعاب والمحن تأتي على الامم الحية، فلا يكون لها انقاذ منها الا بالبطولة المؤيدة بصحة العقيدة » فللكتائب و « الاحرار » ان يدعوا مقاتليهم ، وحلفاءهم ، الى الموت من اجل لبنان ، الوطن الذي نحبه ، ولا نرضى عنه بديلا ، وفي الحب قوة .

لقد ارتفع شعار لبناني ، في زمن الحرب الفلسطينية ـ اللبنانية ، « لبنان تحبه اعمل له » . فما اعظم حظ لبنان لو ان هذا الحب قد ساندته عقيدة تجمع المسيحي الى جانب المسلم ، في خندق واحد ، وتؤلف بين الارض والانسان ، في وحدة جدلية عميقة ، هي شرط لبناء وطن يحرص على الولاء .

اما عن خطر « البعث » فقد حذّرتُ كثيرا ، وتمنيت ان لا ندخل في حرب معه . فهو حزب دولة قوية ، عندها صلاحيات ، وواحدة من الدول المكلفة بتنفيذ المخطط الذي وضعته الدولتان الكبيرتان ، اميركا وروسيا، تأمينا لمصالح اسرائيل ، الدولة الوحيدة الرابحة بعد الحرب في لبنان .

لكن الامور سارت كما خُطط لها . واحترق لبنان، ثانية ، بنيران «البعث العربي الاشتراكي» .

وفي الحرب السورية ـ اللبنانية (سموها حرب المئة يوم بينما هي قديمة) (على اثر احداث ١٩٧٣ ، بين الجيش اللبناني والمنظمات الفلسطينية ، اقفلت سوريا حدودها على لبنان ، مدة مئة يوم) وقفت ايضا الىجانب المناطق التي استهدفها القصف السوري، وقاتلتُ ، بالكلمة ثانية ، عبر الجريدتين : «العمل» ـ الناطقة بلسان حزب الكتائب اللبنانية ـ و « صوت الاحرار » الناطقة بلسان حزب « الوطنيون الاحرار » لاقتناع مني بأن «البعث» سيفرض هيمنته علينا ، ويضم لبنان، او اجزاء منه ، الى سوريا ، اذا قدر له . وبأن « الاضواء الخضراء » قد تكون سمحت لـ « البعث » بأن يمتد بنفوذه الى لبنان ، شرط ان تبقى الجولان (أنشأت اسرائيل فيها ٢٨ مستعمرة) منطقة اسرائيلية . وهذا ما اكده المرحوم كمال جنبلاط ، في كتابه « هذه وصيتي » في اكثر من موقع « ... وينسب الى كيسينجر تصريح بالغ الدلالة في هذا الصدد : اذا اردتم ارضاء سوريا وتحويل بصرها عن الجولان ، فاعطوها جزءا من لبنان » ولست ادري ما اذا كان هذا المخطط قيد التحقيق... فالاميركيون ليسوا اهل مبادىء [١] كما هو معروف ، ومصلحتهم تتصدر وتتقدم كل شيء آخر . اما سوريا فلعلها ضلت في هذا المخطط الاسرائيلي الاميركي بغباء . او لعلها أخطأت الحساب : اذ لا بد من حساب نصيب الانوية الذاتية (او الانانية) واللاعقلانية والطموح لدى قادة سوريا البعثية . فهم يلقون بأنفسهم في بعض الاحيان كيفما اتفق وعلى غير علم ، فرقا من المستقبل او طمعا في مصلحة وهمية غير محدودة ، او قريبة غير مخطط لها ولا منظمة .. لكن اين هي المبادىء من هذا كله ؟ ان السوريين قصيرو

---

(١) ربما يقصد مبادىء انسانية لان للتعسف والسيطرة مبادئهما ايضا.

النظـر . هل تدخلوا عندنا بعد روية وتدبر ام انهم وقعـوا في الشرك الاسرائيلي ـ الاميركي ؟ اني اترك القرار في هذه المسألة للتاريخ » [1] .

لقد وقع السوريـون ، فعلا ، في الشرك الاسرائيلي ـ الاميركي . والتاريخ الذي ترك له جنبلاط ، حليفهم ، « القرار في هذه المسألة » أبى الا ان يكون قريبا ، وقريبا جدا .

ان القواعد البديهية العسكرية ، للجيوش النظاميـة ، اينما كان ، تفرض على الجيش النظامـي ، في حالـة اضطراره الى خوض حـرب الشوارع ، ان يوجه ثلاثة نداءات متتالية ، الى المدنيين ، باخلاء الاحياء السكنيةالتي يمكن ان تكون ساحة للمعارك، كي يجنّبهم اخطار القتال. وهذا ما لم يفعله الجيش السوري النظامي ، الذي قصف ، على حين غرة، الاماكن السكنيـة ، في بيروت الشرقيـة ، والمستشفيات ، والمدارس ، والملاجىء ، وفرض حصارا تموينيا ، على الماء والغذاء ، وكأنه يقصد ، في حربـه ، المدنيين لا المسلحين ، خلافا لكل عرف عسكري ، بديهي ، مثلما قلنـا .

لنفترض ان « الميليشيات المسيحية » قد تحرشت بالقوات السورية، فهـل ان الرد ، عليهـا ، يجب ان يكون على حساب الابريـاء الذين لم يشتركوا ، لا من قريب ولا من بعيد ، في تلك الحرب الهمجية التي خاضها الجيش السوري النظامي ، ضد الاطفال ، والشيوخ ، والنساء ؟

ألم يتعلم الضباط السوريون ، العاملون في لبنان ، اصول القواعد العسكرية ، في الكليات الحربية ، ام ان في الامر سرا آخر ؟!

(١) « هذه وصيتي » كمال جنبلاط ، ص ٧٦ .

ان الهجمة النازيـة على فرصوفيا ، وربيع براغ ، لا يزال صداهما يدوي الى اليوم . وها ان سوريـا قد نفذت في الابريـاء (المسيحيين) سكان المنطقة الشرقية من بيروت ، المجـازر ، والمذابح ، التي لا بد ان يستنكرها العالم المتحضر .

لقد فعل الجيش السوري النظامي ، على الحواجز ، ما لم تفعلـه العصابات ، اذ قتل المارة ، وسلبهم سياراتهم واموالهـم ، كما انه سرق ونهب المؤسسات ، بعد قصفها ، خلافا لكل قانون وعرف .

وربما لان كمال جنبلاط هو واحد من بين القلائل جدا ـ بين حلفاء البعث (١٩٧٥ ـ ١٩٧٦) ـ الذين يعرفون اكثر اسرار ما تنطـوي عليه الاستراتيجية البعثيـة ، تعمّدت اجهـزة بعض المخـابرات اغتيـاله ، كي تغتال ، معه ، الاسرار التي في صدره . ولسوف تلجأ هذه «الاجهزة» مستقبلا ، الى الاسلوب ، عينه ، مع كثيرين غيره ، ولكن هل تستطيع ؟

« .. فقد بات الشعـار المرفـوع في دوائر البعث الدمشقـي هو التالي : « ان كمال جنبلاط رجـل خطر وهو أخطـر من كميل شمعون وجميع الآخرين ، لانه سيقودنا الى مجـابهة جديدة مع اسرائيل » لكن ذلك كان سخفا فكريا وحماقة محضة وافتقارا تاما للحس الجدي » [1].

ان عجز الدولة اللبنانية ، منذ الاستقـلال وحتى اليوم ، عن تأمين العدالة الاجتماعية ، والسلطة القوية ، والتربية الوطنية ، وتطوير النظام ، يعتبر حافزا لنشوء التكتلات البرلمانية ، والاحزاب ، التي شغلتها الانانية، والمصالح الفردية ، عن التوعية الوطنيـة . ويمكننا ان نقول ان لبنان ما زال ارضا بكرا ، على الرغم من وجود اكثر من اربعة وثلاثين حزبا ، اذ لا عقيدة ، فيه ، ولا ايديولوجية تناسب الانسان اللبناني الذي هو خلاصة اجيـال من التناقض الفكري ، والدينـي ، والسياسي ، والاجتماعي ،

(١) « هذه وصيتي » ، ص ٢٨ .

والعقائدي ، الامر الذي حدا حزب « البعث » ان يستسهل الوصول اليه وبغزوه بالعسكر والدبابات .

لقد عرف «البعث» ان الطريق الى لبنان ــ بعد الحرب الفلسطينية ــ اللبنانية ، هي وعرة للغاية ما دامت « الجبهة اللبنانية » متماسكة وقوية ، فعمل على ضرب هذه «الجبهة» اذ اوقع ، في صفوف اعضائها ومؤسسيها، فتنة كبرى اقصت عنهم الرئيس سليمان فرنجية ، وحوّلته ، من شريك متضامن ، الى شريك « مضارب » وخصم لا يتراجع ولا يستكين .

لماذا لبنان ، وليس غيره ، قد يقول قائل ... لنقول ان حزب « البعث » يسعى بكل ما لديه لان يكون الحزب الحاكم لكل البلدان العربية ــ في المرحلة الاولى السيطرة الكاملة على لبنان والاردن والفلسطينيين ــ وله اطماعه في المملكة العربية السعودية ، مثلما في الاردن ، والكويت ، والامارات العربية ، وفلسطين ، ومصر ، واليمن ، والجزائر ، وبلدان المغرب العربي . لكن « الاسوار الحديدية » التي تحيط بهذه البلدان تمنع على « البعث » ان يخرقها مهما كان قويا .

لقد استغل « البعث » الحدود اللبنانية المشرّعة ، فدخلها بدباباته، وراجماته ، تحت ستار توطيد الامن في لبنان . بينما الواقع هو انه جاءنا مهيمنا ، في غفلة من زعمائنا ، واحزابنا ، وبرضى بعضنا .

لا شك ان « البعث » يحلم بأن يفعل ، غدا ، في المملكة العربية السعودية ، او غيرها ، ما فعله في لبنان .

« وكانت عقيدة الحزب عقيدة ثورية انقلابية ، لا تؤمن الا بالحلول الجذرية ، وترى ان الواقع العربي الفاسد لا تجدي فيه الحلول الجزئية والاصلاحات العابرة ، بل لا بد من قلب البنية القائمة كلها رأسا على عقب ، لا بد من عمل حاسم ، لا يتناول جانبا من الفساد ويبقي جوانب

بل يحكم الطوق حول الفساد ويحيط به من جميع جوانبه ليجتثه كاملا » (١) .

هذا على صعيد الشعارات . اما في مجال التطبيق فهو مخالف ، كلية ، لشعاراته . وما جرى ، ويجري ، على يديه ، بالنسبة للشعبين ــ السوري ، والعراقي ــ المحرومَيْن من جميع حرياتهما، والمعرّضَيْن في كل حين ، للاغتيالات ، والتصفيات ، والسجون ، والمعتقلات ، لدليل واضح على مصداقية ما نقول .

و «البعث» ، حيث يحكم ، يبقي على النص الدستوري القائل بجعل الاسلام دين الدولة ، او دين رئيسها ، رغم شعاراته الداعية الى الوحدة العربية ، والحرية ، والاشتراكية .

« وينبه الحزب الى وجوب ان تكون مصلحة العرب عامة هي الاصل في كل حل جزئي لقطر عربي ، ومتى تعارضت حلول قطر مع مصلحة سائر الاقطار فهي حلول ليست في مصلحة القطر ذاته وان كانت في شكلها الخارجي ملائمة له » (٢) .

وعلى يد «البعث» تم تدمير لبنان ، وشل اقتصاده، وتعطيل الثقافة فيه ، والتربية ، والتعليم ، وحجز حرية الصحافة والاعلام ، فهل ان في ذلك مصلحة الامة العربية ــ على حد زعم «البعث» ــ ام انها الغوغائية، والحقد ، والطمع ، والانانية ، التي تطغى على سادة «البعث» ؟

لقد ظن البعثيون الدمشقيون بأن مسيحيي لبنان ، واحراره ، سيأتون صاغرين ، أذلاء ، فتعاملوا معهم مثلما يتعاملون مع أهل الشام ، وحمص ، وحماه ، وحلب ، واللاذقية ، عند ادنى مخالفة لاوامرهم .

ليت هؤلاء علموا ان اللبناني هو ذلك الانسان الصلب العنيد ،

(١) « نضال البعث » الجزء الاول ص ٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

وان القهر لا يزيده الا تمسكا بحريته ، وارضه ، وان الحديد والنار هما مدعاة ، عنده ، للرفض ، والثورة ، والتصدي ، ولو باللحم والدم .

« ان حزبنا حزب عربي بمعنى لم يتخـذه اي حزب آخر : فهو لا يكتفي باقرار الفكرة العربية وانما يسعى في واقعه ، عدا عن فكرته ، الى ان يكون الحزب العربي الشامل المنتشر في كل الاقطار العربية ، والذي يعالج المشاكل العربية ككل لا يتجزأ ، ولا يعالج المشاكل القطرية ومنها « مشاكل سورية » الا على ضوء مصلحة الامة العربية الواحدة » (1) .

اعتقد البعثيون ان «الراجمات» هي التي تجعل حزب البعث «الحزب العربي الشامل المنتشر » في لبنان ، فاحتـل جيشه « الردعي » المواقـع الهامة ، في الجبل والعاصمة ، ومنها شن هذا الجيش النظامي حربه ضد الابرياء ، وعلى المدارس ، والمستشفيات ، والجامعات ، والمؤسسات . لكن ايمان اللبناني بوجوده ، وبحقه في الحياة ، كان خير رد ، على هذه الهجمة التي هزت الضمير العالمي ، وحركت المشاعر الانسانية ، اكتسبت سوريا ، على اثرها ، الاستنكار الشديد ، في بون ، عاصمة المانيا الاتحادية ـ عندما زارها الرئيس السوري حافظ الاسد ـ وباريس ، وسائـر العواصم الاوروبية . وقد يكون الحـذر ، في العواصم العربية ، ازداد حدة تجاه البعث الذي يعتمد السحـل ، والتخريب ، والاضطهـاد ، والحصار التمويني ، طريقا الى « الحكم والانتشار » .

« ان الوحدة العربية .. هي حلم العرب الاسمى . فالامة العربية واحدة ، والعرب ليسوا بقادرين على التخلي عن هذا المثل الاعلى او انهم ينكرون ذاتهم . ونحن اذ نتطلع الى هذه الوحـدة بين اقطـار العـرب لا نتجاهل الواقع في السياسة ، ولكن الاستقلال الذي ننشده هو الذي يتقدم بنا في طريق هذه الوحـدة . لذلك نحن لا نرى في الاستقـلال

(1) « نضال البعث » الجزء الاول ص ١٥٩ .

والوحدة غير اسمين لشيء واحد ، لسيطرة الامـة العربية على مصيرها ، بل ان في الوحدة العربية ضمانة هذا الاستقلال » (1) .

هذا القول هو من خطاب القاه الاستاذ صلاح الدين البيطار ، احد مؤسسي حزب البعث ، في ٨ آذار ١٩٤٤ ، يتضمن رأي البعث في ميثاق الجامعة العربية . ترى لماذا ترك البيطار وشريكه ميشال عفلق « الاستاذ » دمشق ؟

اين هما اليوم ؟

اما زالا شريكين ؟

قبل ان يُعلَن عن ولادة حزب البعث العربي ، في دمشق ، وخلال عامي ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ ، كان المغفور له الزعيـم انطون سعادة ، مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي ، يتردد على الشام ، حيث كان يجري اتصالاته مع فريق من اهل القلم ، والعلم ، والفكر ، والسياسة ، من بينهم كان المغفور له الاستاذ محمد كرد علي (١٨٧٦ ـ ١٩٥٣) (من مؤسسي المجمع العلمي في دمشق ورئيسه) .

وكان سعادة (انطون خليل سعـادة مجاعص (١٩٠٤ ـ ١٩٤٩) مسيحي ارثوذكس من ضهور الشوير) يعقد لقاءات ، وندوات فكرية ، في الشام ، حيث له اصدقـاء ، ورفقـاء ، وانصار لـ «الحزب السوري القومي الاجتماعي» الذي كان قد تأسس وذاع صيته (2) .

حضر الاستاذان عفلق والبيطار (درسا معا في السوربون (باريس) (من ١٩٢٩ ـ ١٩٣٤) ، ولما عادا الى سوريا ، كانا متأثرين بالماركسية ـ اللينية ، حتى ان الاستاذ عفلق نفسه ، كان شيوعيا) وكان لديهما صحيفة

(1) « نضال البعث » الجزء الاول ص ٧١ .
(2) تأسس « الحزب السوري القومي الاجتماعي » عام ١٩٣٢ .

اسبوعيةتسمى «الطليعة» أنشآها عام ١٩٣٥) [١] اكثر من اجتماعين، بدعوة من سيدة شامية (•••) كانت تتعاطى السياسة والشؤون الفكرية ، وبيتها كان يقصده سعادة ، كلما اتى الشام ، وفيه كان يعقد ندواته ، ولقاءاته [٢] •

ناقش عفلق والبيطار سعادة في مبادىء حزبه ، والنظرة الفلسفية التي انبثقت عنها هذه المبادىء (•••) فطرح عفلق ، وقتئذ ، على سعادة لو يُعدّل اسم حزبه ليكون « الحزب العربي القومي الاجتماعي » — مثلا — وحجة عفلق ، آنئذ ، كانت هي ان العرب سيتصدون له ، لكونه مسيحيا ، اذا لم يركب التيار « العروبي » • ولفت نظره الى ان المسيحيين، في سوريا ، وبلاد المنطقة ، هم فئة اقلية ، ويتوجب عليهم ان يساهموا في نهضة العروبة ، ووحدتها • فأجابه سعادة ، بكل بساطة ، « اذا نحن ركبنا التيار العروبي نكون قد خرجنا عن «العقيدة السورية القوميةالاجتماعية» التي هي الاساس العلمي الفلسفي للحركة « السورية القومية » والامة السورية هي امة واحدة ذات رسالة للعالم العربي » •

غادر عفلق والبيطار الاجتماع الاخير الذي عقداه مع سعادة ، وفي نيتهما انشاء حزب للامة العربية كلها ، فكانت ، بعد فترة وجيزة ، (١٩٤٠) ولادة حزب « البعث العربي » الذي رفع شعاره « امة عربية واحدة — ذات رسالة خالدة » بدلا من « امة سورية واحدة ، ذات رسالة للعالم العربي » •

ان الشعور بالغبن ، عند عفلق ، المسيحي الارثوذكسي السوري ، جعله يتطلع الى « العروبة » والوحدة العربية ، كخلاص للمسيحيين ، في المنطقة العربية ، من عقدة الاقليات ، والشعور بالغبن ، والعزلة •

(١) « الصراع على سوريا » باتريك سيل ، ص ١٩٩ .
(٢) عن لسان احد رفقاء سعادة القدامى .

ومهما كان حب عفلق للعروبة ، وايمانه بالوحدة العربية — الموارنة اللبنانيون احبوا العروبة على اقلام علمائهم ، وكتّابهم ، وشعرائهم ، وادبائهم ، وسياسييهم ، في القرن التاسع عشر — كبيرين ، فشعوره بأنه من فئة اقلية ، في بلاده ، بقي يخامره ، وهو الامين العام للحزب ، وعميده •

« لم اكن قبل ذهابي لفرنسا سوى وطني ، لقد تأثرت جدا بوالدي الذي قام بدور فعال في النضال ضد الفرنسيين فسجن مرات عديدة ، ان الوطنية كانت تعتبر واقعنا المحلي لكنني اكتشفت والبيطار الاشتراكية في فرنسا ، وعندما عدنا كنا متلهفين على ايصال هذه الافكار الى الجيل الجديد » [١] •

ان الظلم الذي حبلت به بلدان المنطقة ، في عهد العثمانيين ، هو الذي دفع بالمسيحيين ، في لبنان ، خاصة ، الى تنمية الشعور القومي العربي ، عند ابناء الامة العربية، ورجاؤهم كان كسر هذا الحاجز الطائفي الواقف، ابدا ، بين المسيحيين والمسلمين ، وتحقيق التعايش السليم القائم على العدالة ، والحرية ، والديمقراطية • لكن اصرار الفريق النافذ ، من المفكرين العرب والاسلاميين ، على ربط العروبة بالاسلام ، بشكل لا يقبل النقد ، هو الذي اساء الى العروبة ، والعرب ، مثلما اساء الى المسيحيين ، والحرية ، والعدالة ، والديمقراطية •

وربما الشعور بالغبن ايضا ، عند الزعيم انطون سعادة ، كان الحافز الذي شجعه على انشاء حزبه « السوري القومي الاجتماعي » الداعي الى « بعث نهضة سورية قومية اجتماعية تكفل تحقيق مبادئه وتعيد الى الامة السورية حيويتها وقوتها وتنظيم حركة تؤدي الى استقلال الامة السورية

(١) ميشال عفلق لباتريك سيل « الصراع على سوريا » ، ص ١٩٩ .

استقلالا تاما وتثبيت سيادتها واقامة نظام جديد يؤمن مصالحها ويرفع مستوى حياتها والسعي لانشاء جبهة عربية » واني اليوم يعتبر «السوريون القوميون الاجتماعيون » ان الاخذ السطحي للمظاهر ... التي ابداها ويبديها حزبهم، وعدم التعمق في مبادئه ونظرته الفلسفية للوجود والمجتمع، من الاسباب البارزة التي أدت وستؤدي الى انشاء احزاب كثيرة ، في المنطقة ، ولبنان .

لقد دعا الزعيم سعادة الى وحدة الوطن السوري الكامل ، لكي يبعد خطر الطائفية ، والتعصب الطائفي ، عن سوريا ، والاردن ، والعراق ، وفلسطين ، ولبنان .

« تتكلمون عن « فلاّح العرب والمسيحيين » بسبب نجاح الحركة الصهيونية . اما الفلاّح فسأعود اليه فيما يلي ، واما قولكم « العرب والمسيحيون » ففيه خطأ قد يعيركم فيه باعة الجرائد عندنا لانه لا يوجد في فلسطين (عرب ومسيحيون) بل جماعة هي جزء من الامة السورية التي تحمل رسالة تنص في جملة موادها على انهاض العالم العربي اجمع » [1] .

يبدو ان الدعوة الى الوحدة العربية ـ مثلما هي عند البعث ـ والدعوة الى الوحدة السورية ـ مثلما هي عند سعادة ـ هما صعبتا التحقيق ، ولا تتعديان الحلم ، او الخيال ، لاسباب اهمها ربط العروبة بالاسلام . والذي حصل لمسيحيي لبنان ـ على يد البعث ـ في الفترة الاخيرة ، هو ، لا شك ، اكبر المعوقات التي ستجعل الوحدة العربية ، او السورية ، عملا صعب المنال ، ان لم نقل مستحيلا .

ان الامم لا تنهض بالشعارات فحسب ، بل بالافعال ، والنوايا .

---

(١) من رسالة سعادة الى اللويد جورج ـ رئيس وزراء بريطانيا ـ منشورة في جريدة « الف باء » الدمشقية ١٩٣١ .

الزعيم انطون سعادة قتل رميا بالرصاص (١٩٤٩) والاستاذ ميشال عفلق ابعد من سوريا ، فجاء العراق ، ومنها ابعد ايضا ، لانه لم يحصد ما كان يتمناه كمسيحي . « ان عفلق يعتبر السياسة اداة لاحداث تغيير صحيحي لدى العرب ، او بالاحرى ترسيخ سيادة المحبة بينهم ... وانه لهذا السبب يعلن : ان القومية هي المحبة قبل اي شيء آخر ، ولا يمكن للعرب الخلاص والتخلص من الضعف والمصاعب التي تواجههم الا عندما يحبون بعضهم وامتهم وارضهم حبا خالصا لا ريبة فيه . هذه الرؤية الصلبة لحياة سامية جديدة والتي هي غاية للعمل السياسي تعطي عفلق هالة لا يتملكها غيره من الكتاب العرب القوميين » [1] .

اما عن الاستاذ البيطار فقد ابعد هو ايضا عن سوريا بعد ان انقلب عليه الجناح الآخر ، فعمل ، مؤخرا ، مستشاراً في «الحوادث» البيروتية ، يكتب ، ويفكر ، بناء للطلب !

اذا كان المطلوب ، في هذه العجالة ، ان نطرح الحل ، فلا بد من ان نطالب بعلمنة البلاد العربية كافة ، قبل علمنة لبنان ، وفصل الدين عن الدولة ، مع حفظ الاستقلال الذاتي ، الكامل ، لكل دولة من هذه الدول، واحترام سيادتها وكيانها .

هذا الحل اذا تم ، ويجب ان يتم ، ينهي حتما الصراعات جميعها ـ في المنطقة ـ ويستقر لبنان ، والمسيحيون ، وسائر الاقليات .

صار مطلوبا من المفكرين الاسلاميين ان يؤدوا ما عليهم من واجب، تجاه شعوبهم ، واوطانهم ، والانسانية ، ويدعوا الى العلمنة التي يمكنها

---

(١) عفلق ، مظاهر الانقلاب في كتاب « في سبيل البعث » وقد ورد في (هيم ص ٢٤٤) وفي « الصراع على سوريا » (باتريك سيل) ص ٢٠٧

ان تميز بين العروبة ، كحركة قومية اجتماعية ، وبين الدين • وهي الضمانة الوحيدة للحريات والمنظّمة لها • كما تتمنى للاحزاب اللبنانية ان تستمر ، كمدارس تجاري تطور العصر ، لا ان تزول بزوال الاشخاص الذين يجسدونها •

« لبنان في ظلال البعث ... » فصول في الحرب السورية اللبنانية، من اجل الذين شردتهم « الراجمات » السورية ، والمدافع ، والذين ماتوا بنيران البعث ، ورصاصه • من اجل الاطفال الذين ما زالوا بلا مدارس ، وطلاب الكليات والجامعات الذين اقصتهم الحرب السورية ـ اللبنانية عن دروسهم ، ليقرؤوا اكياس الرمل ، ويتعلموا لغة البندقية والمدفع ، من اجل كل يتيم ، وكل من فقد بيته • ومن اجل الارامل والامهات ، والآباء ، الذين كوت هذه الحرب أفئدتهم • وقد اردناه عملا يرضى عليه الجميع ... ويهدي البعث سواء السبيل ، وان هذا هو اقصى ما نرجوه •

قال الشيخ بشير الجميل ـ قائد القوات اللبنانية ـ في الذكرى الخامسة والثلاثين للاستقلال ـ « ان لبنان الجديد سيولد في المحنة ، وهو لن يكون بالتأكيد اللبنان الذي عرفناه طيلة الثلاثين سنة الماضية » الى هذا اللبنان تتطلع بشوق وحسرة ، ولقد آن لنا ان نكتب لبنان في ظلال الفكر •

كلمة شكر ، واعتراف بالجميل ، لجميع الذين مكنونا من تجميع المستندات الصالحة ، التي ساعدتنا كثيرا ، على الاخص مكتبة جامعة الروح القدس (الكسليك) والاب توما مهنا •

واتوجه ايضا بشكري الجزيل الى كل الذين ناقشوني ، من الاصدقاء ، في مختلف ما جاء في هذا الكتاب ، للآراء القيّمة التي سمعتها منهم •

كما ان ثمة دينا خاصا في عنقي لا يسعني الا ان اعترف به ، مع الشكر ، لجميع الذين لاقت ، مؤلفاتي ، عندهم ، الاهتمام والتقدير ، والذين ساهموا في نشرها على القراء ، ان في لبنان ، او في الخارج •

تشرين الثاني ١٩٧٨

مصطفى جحا

١

الجبل : سكانه الصقور والعصافير [1]

بينما كان لبنان يشتعل ، على جميع المحـاور ، تصدينـا ، بكل ما لدينـا ، للحملات العنيفـة ، والمركـزة ، التي هبت ، من كل صوب ، لتجتاحنا .

واذا حب الوطن هو اشد بأسا من الغزو ، والحقـد ، والجشع ، والتسلط ، والخيانـة . واهم من المال كله ، واعظم من نفوذ المخططين ، وحنكة المنفذين .

طوال سنتين ، بقي حب الوطن يدافـع عن نفسه . تخلت البراعم (طلاب الجامعات ، والكليات ، والثانويات ، وابناء الصفوف التكميلية) عن طراوتها ، لتقف في وجه العاصفـة ، دون ان تحسب لها اي حساب ، فلما اشتدت العاصفة ، تفتحت هذه البراعـم عن شذى الصمود ، واريج البطولة ، وعبقت رائحة الشهادة الطيبة ، فانطلق نهر الدم ليروي الارض العطشى ، ثم تحطمت العاصفة ، وطويت « الملفات » الى يوم آخر .

★ ★ ★

(١) كتبت على اثر مجزرة اهدن .

في تلك الايام ، والليالي ، كنا رفاقا ، واخوة ، واحبة •

كلنا واحد • والواحد ، منا ، كان هو الكل •
عنفواننا ادهش العالم •

ايماننا اعاد الى بعض الكافرين « ايمانهم » •

اخلاصنا ، لبعضنا ، كسر جليد الصمت ، عند اكثر من رئيس ، وملك ، فتغيرت مواقف ، واعتدل منحرفون ، وانحنت لنا رؤوس كبيرة ، اعجابا ، واجلالا •

جلست الشرعية في صندوق من الفولاذ، فيحضن كسروان (الكفور، والذوق) وفوق رأس المتن الشمالي ، تحيطه ، من الغرب ، الاشرفية ، وفرن الشباك ، وعين الرمانة ، ومن الجنوب الحازمية ، والحدث ، وكفرشيما ، ووادي شحرور ، وبسوس ، وحومال ، والكحالة •

اما من الشمال ، فجبيل ، والبترون ، وشكا ، وهذه كانت ترعاها ، وتسهر على سلامتها ، زغرتا ، واهدن ، وبشري ، ودير الاحمر •

يومذاك ، كنا نتقاسم الرغيف ، ونهب ، تحت القصف العشوائي ، لنلتقي ، لنتعانق ، لنتبادل الآراء ، لنتدارس الامور ، والقضايا ، ولنقرر•

« لبنان لا خوف عليه » كان هو الشعار الذي يعززه الامل ، وحبنا لبعضنا البعض ، والصدق ، والتصميم ، اللذان اشتهرنا بهما •

« هكذا احبوا لبنان » كنا نهتف ، ونغني • ولما استمرت الهتافات، وعلا الغناء ، قيل « انتم على حق ، ولكن ••• » •

ثم بقي الارهاب ، والصمت ، فقلنا « اخرجوا عن صمتكم ، لبنان يتمزق » فمنهم من غضب ، ومنهم من وضع قطنا في اذنيه •

وآخرون قالوا « لا بد ان تسكتوا عن الغناء • وتترك العصافير اعشاشها ، لان معركة ، في السماء ، سوف تنشب ، بين البزاة ، ويتفرق الشمل ، والريح تذهب بأقلامكم ، وابطالكم ، وادواتكم » •

فقلنا ، هذا تجن ، وتهرب ، ومؤامرة ، وحقد • وما توقفنا عن الغناء •

كنت أرى « الملفات » تطوى مثلما السجاد في الصيف ، ليوضع فوق الخزائن ، وفي الزوايا ، او ليذهب الى معامل التنظيف ، لان الشتاء الآتي هو على الابواب ، و « معركة السجاد ، مع البرد » ، لا بد قادمة •

فريق منا قال « دعنا من الشتاء ، فالايام صيف ، والفرح يعم البلاد، ان كل شيء قد انتهى • اشتقنا الى الرقص ، والحفلات ، والسفر ، وما زلت تحكي عن « الملفات » والتاريخ ، والارض ، والوفاء ، والحب • هات غن لنا مثلما الشعراء » •

اكملت دربي ، وقلت ، اللهم انر عقولهم ، وقلوبهم ، وابعد هذه الغشاوة عن عيونهم ، وجنّبهم كيد الكائدين ، وشر الحاقدين والحاسدين •

★ ★ ★

يبدو ان « الملفات » قد فتحت ، و « الشتاء » يسرع الخطى •

لقد اختلف البزاة ، واخذ كل اتجاهه • ثم اطلقت النار على العصافير ، كي تهاجر اعشاشها ، او تستسلم •

لكن العصافير هبت مذعورة ، لتشن هجوما ، على الصقور ، دفاعا عن وجودها ، واعشاشها •

شاءت التقادير ان يسقط صقر ذو جناحين كبيرين ، وبطل من ابطال الجبل الشمالي ، مع عشه (زوجته وابنته) [1] .

بكيت دما ، عندما تساقطت العصافير تحت جناحي الصقر الكبير .

وبكيت دما ، ايضا ، عندما سقط الصقر وعشه .

العصافير تُقتل من اجل لبنان .

والصقور تُقتل من اجل لبنان ، ايضا [2] .

ومن اجل لبنان ، تتساقط اقمار الورود ، والملائكة ، والنساء ذوات الخلق الكريم .

ما اعظم سرك لبنان !

من اجلك تسقط الصقـور ، والعصافير ، والملائكـة ، والنساء ، والاعشاش ، وزهر الربيع ، والورق الاخضر .

ما اعظم سرك لبنان !

كلنا الى زوال . ووحدك الباقي ، بعد الله ، او قبله ، لست ادري.

ربما انت الابقى .

عندما سقط الصقر الكبير ، البطـل ، كشرت الثعالب عن انيابها ، والبوم نعت الخبر، ثم تطايرت البرقيات، والرسائل، كأنها مكتوبة بدموع العينين ، ودم القلب . وكأنها جاهزة .

استنكرت الثعالب ، والذئاب ، والبوم ، ما حـدث بين العصافير ،

---

(١) المرحوم النائب طوني فرنجية وزوجته وابنتهما .

(٢) قال لي الرئيس فرنجية ، عندما ذهبت الى زغرتا لاعزيه : « طوني ذهب فدا لبنان الذي تحبه » فقلت له : الكل ذهبوا ويذهبون فدا لبنـان يا فخامة الرئيس .

والصقور . واعلنت « الحداد » على البطل ، الزعيم الوطني ، ابن الزعيم الاوحـد ، والبيت الوطني العريق (حسبما قالوا مؤخرا) والذي كان ، لايام خلت ، حفـارا ، وعميلا ، ومأجورا ، وخائنـا ، وانعزاليـا بنظر الثعالب ، عينها ، والذئاب ، والبوم ، التي تظاهرت بالحزن والحداد .

لقد تحول حقد الثعالب ، والذئاب ، والبوم ، (اعداء لبنان) على العصافير ، الى فـرح داخلي بمصرع الصقـر ، البطـل ، ذي الجناحين الكبيرين ، وبان تكاذبا ، ورياء ، ودسا ، ونميمة ، وتفرقـة ، وتحريضا واستكبارا .

منذ الثالث عشر من حزيران [1] ، وانا اتمزق. لقد ذكرني هذا اليوم المشؤوم بأيام الجنوب عام ١٩٧٥ .

في تلك الايام ، طاردوا العصافير الجنوبية ، واطلقوا عليها الرصاص، وطالبوا بطرد عصافير بيروت ...

اما الصقـور ، والبزاة ، فقد شنـوا عليها ، هجومـا بالدبابات ، والكاتيوشا ، وسخروا جميع وسائل الاعلام ضدها ، وامروها بأن ترفع « الراية البيضاء » . وهددوا الباز العتيق ، وطالبوا بتهجيره وانسحابه .

عندئذ ، تجمعت العصافير لتدافـع عن الباز ، وحقه ، ونظامـه . ونذرت نفسها من اجله .

تعاون البزاة ، والصقور ، مع العصافير ، فتحققت المعجزة وصمد لبنان .

وهكذا ، طوى اعداء لبنان « الملفات » على مضض ، وقالوا « يجب ان نفرق بين الصقور والعصافير » .

ترى ، هل نجح الاعداء ؟

يا صقور لبنان ..

---

(١) ١٣ حزيران ١٩٧٨ يوم مجزرة اهدن .

ليست المؤامرة على العصافير فحسب ، بل عليكم ايضا •

★ ★ ★

ايها الصقور ،
اعداء لبنان ، عجزوا عن ذبحكم ، انتم والعصافير ، فقالوا :
« صقور لبنان تذبح عصافيره فتنتفض العصافير لتقتل الصقور •
عندئذ ننتصر نحن ، ويزول لبنان » •

★ ★ ★

كان لطفل صغير عصفور جميل •
ذات يوم ، طلب الطفل من عصفوره ان يغني ، فرفض العصفور الغناء •
امسكه الطفل بقبضة يمينه ، وراح يشد عليه الخناق • لكن العصفور رفض ان يغني • وبين الرفض والالحاح ، اختنق العصفور في يد الطفل •
ايها الصقور ، والعصافير ، احذركم من خطر ما تفعلون •
لبنان سوف يختنق على ايديكم • وعندئذ لن يسكن الجبل لا الصقور ، ولا العصافير ، بل البوم ، والغربان ، والثعالب ، والافاعي ، والزحافات •
لقد خلقت الجبال لتسكنها الصقور ، والعصافير •

★ ★ ★

ايها الصقور ، والعصافير •••
مطلوب منكم ، اليوم ، ان تغلّبوا العقل على العاطفة ، ومصلحة الوطن ، على مصالحكم الخاصة •
ما اعظمكم لو عدتم مثلما كنتم ، في حرب السنتين •
لقد ادهشتم العالم ، عندما كنتم يدا واحدة ، وقلبا واحدا •

● « العمل » ٢٣ حزيران — رقم ٩٨٧٢ •

٢

آن للبنان المعلق ان يترجل (١)

« اما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟ »

صرخة زعزعت نفوسا حقودة ، وعصفت بقصور فاجرة • وحركت ضمائر كانت متراخية • وأدمت قلوبا جافة • وقرحت عقولا متحجرة • وعفّرت تيجانا عاهرة • واقلقت طغاة كانوا يظنون بأنهم ، في أمان ، مستقرون• وارغمت اصحاب مواقف••• على التغيير، والتعديل• واقنعت « ابطالا » بأنهم ليسوا الا مجرمين ، سفاحين •

★ ★ ★

هذا الصوت الشجاع ، الذي مضت عليه قرون ، واجيال ، يجوب، اليوم ، باسم لبنان المغدور ، الشرق ، والغرب ! يحمل ميزان العدل بيد ، ويحمل باليد الاخرى قلما ، وكتابا ، وقرطاسا •

يدق ابواب ملوك ورؤساء الشرق ، والغرب ، ليسأل عن علماء العالم ، وشعرائه ، وادبائه ، وفنانيه ، ورجال الاديان (كل الاديان) وأهل الالحاد، والاقطاب الكبيرة، والمصلحين (ان كان بعد من مصلحين)•

وأراه يبحث عن كل من له رأي • يدخل على مكاتب الصحف ،

(١) كتبت على اثر مجزرة القاع •

والاعلام ، بوجه شاحب ، وعينين هزمهما النعاس ، والبكاء المزمن ، وبقامة انهكها الوقوف الطويل امام « الفارس » المعلّق ٠

يتفرس في الوجوه ، متأملا ، ومدققا ، وعلى لسانه ثورة ، لا بد ان تأكل الصامتين ، والنمامين ، والدجالين ، والحاسدين ، والحاقدين ، والمفسدين ، لتأكل الاشرار ، والطغاة الفاجرين ، والمستبدين ، والمتسلطين ، ثم حلفاءهم ، وانصارهم ، وزبانيتهم ٠

ومن فمه يخرج لهيب ، سيمتد حتى يعم الدنيا ، من أقصاها الى أقصاها ، ويومئذ لن ينفع لا مال ، ولا سلطان ٠

★ ★ ★

اما آن للبنان ، هذا الوطن البريء ، ان يستريح ؟ انه سؤال القرن العشرين ٠

★ ★ ★

مجزرة هنا ، واخرى هناك ، وثالثة ، ورابعة ، والواحدة تلو الاخرى ٠

الضحايا بالعشرات ، بل بالمئات ٠

اخوة ، ابناء عم ، ابناء عمات ، وخالات ، هم المغدورون ٠

يتسلل « الابطال » الى قرية « نائية » او « غريبة » مدججين بالسلاح ، والسكاكين ، والحبال ، ومعهم اسماء ، وعناوين ٠

بكل سهولة يجمع هؤلاء « الابطال » المتسللون ضحاياهم ،

الابرياء ، تماما ، مثلما على « الفاتورة » القائمة ٠ وعلى اسم العروبة ، وفلسطين ، والعدالة الاجتماعية ، والاشتراكية ، يبدأ الذبح ٠

تلبس القرية السواد ، وتخرج الى الشوارع ، تبكي ، تنوح ، تئن ، تصرخ ، تستغيث ، ويغمى عليها ، تحت اقدام الوافدين ، والمعزين ، ومصوري الصحف ٠

على صدور المنكوبين ، والحزانى ، يقف الوزير خطيبا ، ليقول كلمة « الدولة » واية دولة ٠

« ان ما حدث في القاع هو حادث مؤلم وجريمة نكراء ، لا يمكن ان يقبل بها عقل او ضمير » ٠

ينهي الخطيب ، الوزير ، كلمته ، او كلمة « الدولة » وينصرف مع الوفد المرافق ، لتبقى القرية غارقة في سوادها ، تحت وطأة الحزن ، وفوق القبور ، وهي ترجو القديسين اعجوبة ، وخلاصا ٠

★ ★ ★

لم تبق قرية « غريبة » في لبنان ، الا ونالت نصيبها من « الابطال » وافرا ، وحصتها كاملة غير منقوصة ، من الشمال ، الى الشرق ، الى الجنوب ، ومرورا بالشوف، حتى الاحياء السكنية، في المدينة ، العاصمة٠

وستدور المجازر دورتها ، للتعميم ، والشمول ٠

★ ★ ★

تريد العروبة ان تجتاح القرى « الغريبة » كي تحجّم الايمان ، بالله ، والعائلة ، والوطن ٠

وتريد ان تقتلــع المؤمنين ، من قراهم ، واحيائهم ، لتحرّم على من سواهم ، الايمان •

★ ★ ★

ما زال لبنـــان المغدور يجوب الشرق والغرب ، ليسأل عن منقذ ، بمقدوره ان يقــول « ليترجل هذا الفــارس ! » • أليس في الشرق ، او الغرب ، بقية من ضمير ؟؟

★ ★ ★

« خذونا الى المشنقة سوية ، فما احلى المــوت في سبيل الحريــة والاستقلال ! » (شهداء ٦ ايار) وعلقت المشانق (في السادس من ايار سنة ١٩١٦) •

فأقدم الشهداء على الموت بعزة نفس ، وتعال ، وطمأنينة، وافتخار •

« بلّغ يا رضا باشا حكومتك الظالمــة ان ظلمهــا سيكون سببا في تقويض بنيانها » (الشهيد عبد الغني العريسي) وهكذا كان •

★ ★ ★

أين ناصب المشانق ؟

أين دولته ؟

أين زبانيته ؟

أين عزه ، ومجده ؟

« غفر الله لمن ظلمني ، واسأل ربي ان يكون دمي الذي تراق آخر

نقطة منه ، حياة لبلادي وشرفا لاسرتي واولادي » (الشهيد سعيد عقل)•

★ ★ ★

لم يع جمال باشا خطورة افعاله • فتمــادى في غيه ، وعنجهيتــه ، وغطرسته ، وافحش ، واستبد ، وتسلط ، واشبع اهواءه ، لما رأى المشانق تنصب ، والشهداء يقضون واحدا ، فواحدا •

وتعود المأساة الى لبنان •

في ذلك الوقت كانت عثمانية •

اما اليوم ، فهي عربية ، ذات « حسب ، ونسب » •

★ ★ ★

لن يعي دعاة العروبة ، وابناء القضية الفلسطينية ، والغيارى ، بأن المؤمنين ، في القرى « الغريبة » ، لن يزيدهم القهر ، او الموت ، الا ايمانا ، وتمسكا بلبنانهم ، الحرية ، والاستقلال • ومثلما ذهبت الريح بجمــال باشا ، وزبانيته ، ومشانقه ، وبسفاحين ، جبابرة ، قبله ، ستذهب الريح اللبنانية ، حتما ، بأعداء لبنان ، الطامعين ، والمتآمرين •

ذلــك ،

لان ايمان اللبناني بأرضه ، وحريتــه ، واستقلاله ، وكرامته ، انما هو اقوى من كل مؤامرة ، وكل حقد •

★ ★ ★

لقد مضى ، على هذا اللبناني ، تاريخ طويل ، في الصراع ، والكفاح من اجل الحرية ، والاستقلال ، والسيادة •

هل يقرأ دعاة العروبة ، وحماتها ، تاريخ هذا الوطن ؟
ألم يتعلموا ، من التاريخ ، قصة جمال باشا ، وغيره ، ممن جاؤوا هذه الارض ، ليذلوا أهلها ، فطوتهم الارض ، عن سيرة لا أسوأ ومجد لا ابشع ، وذكر مثقل بالعار ، والهزيمة ؟

★ ★ ★

كلما انفجرت ، في اسرائيل ، عبوة ناسفة ، تتسابق المنظمات الى اعلان المسؤولية عن الحادثة ، وكل تريد ان تنسبها اليها .

اما لبنان ـ خسر ، خلال ثلاث سنوات ، ما لم يخسره الاسرائيليون والفلسطينيون ، معا ، مدة ثلاثين عاما ـ فلا احد يعلن مسؤوليته ، ولو عن حادثة واحدة .

بل بالعكس .

اخوان العروبة ، ينفذون المجازر فينا ، ويأتون الينا باكين ، ويملأون الصحف استنكارا وشجبا . ويندون بالاعمال المجرمة ، ويهددون ، وينذرون ، هكذا بلا خجل .

ما اغباهم ! يظنون بأننا نصدق بكاءهم ، واحتجاجاتهم ، ووعودهم. ليترجل لبنان المعلق على الصليب !

ان الثورة الآتية ستدك عروشا واهية ، لتقضي امرا كان مفعولا .

من قال ان اللبناني يسكت على ظلم ، ويعيش حياة العبيد ، الاذلاء ؟

واللبناني ، في هذه المنطقة ، هو ابن الحرية ، وابوها ، وابن الحضارة وناشرها ، وشهيدها .

مذ كان اللبناني ، والموت ، عنده ، في سبيل الحرية ، والاستقلال هو واجب .

● « العمل » ٢ تموز ١٩٧٨ .

٣

لن تبقوا احياء !

كلما حاولت امي ان تنهض الى الصلاة ، تعلقنا (اطفالي وانا) بأطرافها ، لنرجوها ان تؤجل صلاة المساء الى وقت آخر . لان الانتقال ، في البيت ، من غرفة الى اخرى ، امر خطير جدا .

القنابل العربية تنهمر علينا مثلما المطر .
وزجاج النوافذ يتساقط من الابنية التي حولنا .
يلف الظلام المدينة ، فيلقي على وجهها حجابا اسود كثيفا .
« جاء دوري يا بيروت » يقول الظلام ... العربي .
« ولن ارحل عنك الا بعدما تصبحين رمادا » .
يسأل احد اطفالي ، رغيفا ، وكوب ماء .
يكرر نداءه ، مرة ، مرتين ، ثلاث مرات .
لا احد منا ، يريد ان يسمع .
ينفجر طفلي الجائع ، والعطشان ، قائلا :
« اريد رغيفا . اريد ماء ! »
وتحاول امي ان تنهض الى الصلاة .
نرفض ان تصلي امي . وننهر ، جميعنا ، على الجائع الصغير ، ان يسكت .

اخته تقول له :
« لا وقت للاكل ! مطبخ البيت مكشوف ... »
تسقط قذيفة على البناية المقابلة ، لننتصر على امي ، والطفل .
يتهاوى الصغير الجائع الى صدري ،
يستغيث ، ثم يقول :
« ابي ! ابي ! سأصبر على الجوع ، والعطش » .

التفت الى امي ، فأجدها منكبة على الدرج ، تبكي ، تنوح ، تضرب على ركبتيها ، تلطم على وجهها . تسأل :

ـ لماذا يا رب هذا الغضب ؟!
ـ انحن في اسرائيل ؟!

ترفع ابنتي رأسها عن الارض ، لتسأل هي ايضا :

ـ انحن في اسرائيل ؟!

ويردد الصغير السؤال ذاته :

ـ انحن في اسرائيل ؟!

« اجبنا على سؤالنا » قال الجميع بصوت واحد . والقنابل تتساقط تباعا .

يدق جرس الهاتف ، فأركض بينما امي تسأل :
« الى اين ؟ اتركو يرن تايشبع » .
التقطت السماعة ويدي ترتجف .

قلت نعم ؟

واذا بصوت غريب ، لم اسمعه من قبل ، يقول :
« الم تنالوا نصيبكم بعد ؟

اعتبروا انكم ستعيشون في جحيم
انتم اخطر علينا من اليهود
سندمر البيوت على رؤوسكم » .
واقفل سماعته ، وعدت الى امي واطفالي .
قالوا : « من الذي كان معك على الهاتف ؟ »
قلت : لا احد . ربما خطأ .
ثم عادوا الى سؤالهم :
« انحن في اسرائيل ؟! »
الصغير الجائع قال :

« لماذا يا ابي لم تجبنا على سؤالنا ؟ » وقبلني في صدري .

اشعلت سيجارة ، وانا اتأمل في الوجوه الصغيرة التي لا اعرف اي مستقبل ينتظرهم . والسؤال هو واحد ، يرتسم على شفاههم ، « انحن في اسرائيل ؟ »

قررت ان اجيب على السؤال . لكنني خشيت ان ندخل في حديث طويل ، يحتاج الى تاريخ ، وسرد احداث ، وفصول ، لا اعتقد ان باستطاعتهم ان يتفهموها ، ويدركوا ابعادها . ثم رن جرس الهاتف ، ثانية ، ورحت لارد ، فاذا الصوت ذاته ، يسأل :

« اما زلتم احياء ؟! »
اكتفى « صاحبنا » بالسؤال هذا ، واطبق سماعته .
لم تنس امي ان تسألني « من الذي كان على الهاتف ؟ »
ولم انس انا ، ايضا ، ان اقول لها :
لا احد ! ربما خطأ .
وقفت ابنتي لتقول :
« لن اتركك تتهرب من الجواب

قل لي الآن :
لماذا الحرب في بيروت ؟
أنحن في اسرائيل ؟
صرخ جميعهم ، « ونحن ايضا لن نتركك تتهرب • نريد جوابا »
عندئذ ، كان لا بد من الجواب •
فقلـت :
اسمعوا يا صغاري ،
وانت يا امـي ،
اطمئنوا ، نحن لسنا في اسرائيل •
نحن هنا ، في بيروت ، المدينة السائبة •

اما لدى سؤالكم عن « جريمتنا » فهي لاننا ولدنا في وطن صغير ، اهميته انه يرفض ان يعيش الا حرا ، وسيدا ، ومستقلا •

وبما اننا ــ نحن اللبنانيين ــ ننشد استقلالنا وحريتنا ، وسيادتنا ، قالـوا فينا « انعزاليون ، عملاء ، وعنصريون » وجيّشوا علينـا الآلاف المؤلفة وحملوا ضدنا ، بتعسف ، وعنجهية ، وحقـد ، واستبداد ، لكي نستسلم ، ونركع ، ونذل •

هنا سأل الصغير الجائع قائلا :

« هل الاطفال في اسرائيل ينامون على الادراج ، مثلنا ، ويصبرون على الجوع والعطش ؟ »

قلت للصغير الحائر :
لا !••
ففي اسرائيل ، يا صغيري ، تسهر الدولـة على امن ، وسلامـة ، المواطنين •

وفي اسرائيل ، ايضا ، لا تستطيع « الراجمات » العربية ان تطلـق قنابلها على المدن الاسرائيلية وسكانها • مثلما تفعل هنا في بيروت •

ردت ابنتي قائلة :

« اذن ! تقصفنا « الراجمات » العربية ، لانها لا تستطيع ان تقصف الاسرائيليين ؟ »

قلت ،

نعم ! يا عزيزتي • هوذا الواقع المرير ، والمؤسف • « فالراجمات » يستوردها العرب لتقصف ، لا لتقعد في العنابر ، والثكنات •

عاد الصغير ليسأل :

« متى سنستريح ، هنا في بيروت ، اذن ؟ » •

قالت اخته ، ودموعها على خديها :

« عندما تصبح « الراجمات » العربية قادرة على قصف اسرائيل »•

ورن جرس الهاتف للمرة الثالثة ، فتركت اطفالي في حوارهم ، وقمت لارد ، فاذا « صاحبنا » عينه يسأل :

« اما زلتم احياء ؟»

ثم استطرد يقول :

« الراجمات العربية قررت ، بعد الاتكال على الله ، تصفيتكم ايها الانعزاليون • واعلم حقا ان الراجمـات ، وسادتها ، وحراسها ، صمموا على ابادتكم حتى آخر انعزالي •

فلبنان الذي تدّعون الاخلاص له ، سيكون من الآن وصاعـدا ، وطنا عربيا حرا » •

وقبل ان يختم مكالمته « الانسانية » و « العربية » قال :

« لن تبقوا احياء ! »

كانت امي ، واطفالي ، في جدل حاد • ولما عـدت اليهم ، قطعـوا الحوار ليسألوا :

« من كان على الهاتف ؟ »

فقلت لهم ، لا احد • ربما خطأ ، مثلما في المرتين السابقتين •

وسقطت قذيفة مدفع « عربي » ١٦٠ مم• بين اشجـار الصنوبر ، خلف البناية ، فسكتوا ، كأنهم يقولون :

ـ لو كنا في اسرائيل لانبرت الدولة تدافع عنا •
ـ ما اصعب العيش في الاوطان الصغيرة !
ـ وما اغلى الحرية والاستقلال ؟

لملمت امي بعضها ، وذهبت لتصلي ، وهي تردد :

« الصلاة ، ايضا ، عمل صعب في المدينة السائبة » •
وعاد جرس الهاتف يرن ، فقال جميعهم :
« انه خطأ • اتركه يرن حتى يشبع » •

كان بودي ان ارد عليه ، كي لا يظن بأن قنبلة عربية قد دخلت علينا فمزقتنـا اربا ، لكنني آثرت الصمت ، عله يروي غله ، ويطمئن ، فتخف عنه عقدته ، وازمته النفسية •

ونعتذر من الاصدقاء ، عن تلك الليلة العربيـة ، فقد صممنا ان لا نرد على الهاتف ، لان « صاحبنا » قال :
« لن تبقوا احياء » ••

● العمل ١٩٧٨/٧/٦ .

٤

الصمود اللبناني وحرب الاذاعات

يبدو ان « حرب الاذاعات » قد عاد الى الساحة اللبنانيـة • فبين اذاعة دمشق (حماها الله) وراديو « المرابطون » (فك الله اسرهم) علاقة ود ، وغرام ، منذ فترة ، بالمراسلة ، وعبر الاثير ، واسلاك الهاتف !

راديـو « المرابطون » يبث نبأ عن لسان « مندوبه » في المنطقـة الشرقية ، فتتلقفه اذاعة دمشق ، باهتمام فائق ، لتطلقه بأسلوبها الخاص في اول نشرة للاخبار ، بعد تسلمها النبأ « العزيز » •

لقد اصطلحت هاتان الاذاعتان ، السورية ـ الدمشقية ، والناصرية ـ القذافية ـ البيروتية ، على تسمية الكتائب و « الوطنيون الاحرار » بالعصابات •

وبما انني لا اعتقـد بأن هذا الاصطلاح « عصابات » هو آخر ما قد تتوقف عنده الاذاعتـان « الكريمتان » ، سأحـاول ان اعـود الى « القاموس » العربي ، كي ابحث عما فيه من مفردات ، تؤدي المعنى ذاته لكلمـة « عصابة » ، وذلك على الاقـل ، لان « ادباء » الاذاعتين ، هم اخبر مني ـ لا شك ـ واكثر اطلاعا ، في مجال اختيار الكلمات التي تثير الغرائز ، وتحرض على الانتقام ، والحقد ، ولو ان « القاموس » العربي لن يتحيز لاحد منا •

لا أرى عيبا ، في الاعتراف ، من قِبَلي، بأن «أدباء» اذاعتي دمشق، و « المرابطون » هم « المتفوقون » في التنقيب عن كلمات نابية ، وسخيفة،

مثل « انعزاليون ، عملاء ، خونة ، عصابات ، متآمرون .. الخ . الخ »
نيس عليّ وحدي ، فحسب ، بل على جميع حملة الاقلام ، ممن نذروا
ادبهم واقلامهم ، ودماءهم ، في سبيل حرية الفكر ، والكلمة ، وحرية
لبنان ، واستقلاله .

في حرب السنتين ، تجندت صحف واذاعات الى جانب الفلسطينيين،
عفوا ، قبضت صحف، واذاعات، من الفلسطينيين، ومن دول عربية (...)
مبالغ طائلة ، فانبرت تطلق الشائعات والتهم ، مثلما اليوم ، وتدعو الى
« عزل » الكتائب . بعد ان تأكد لها بالطبع، بأن الكتائب هم « عملاء »
للصهيونية العالمية ، و « دعاة تقسيم » .

واستمروا في حملاتهم ، يصبون الزيت على النار ، حتى تمزق
الشعب اللبناني .. الى فئات طائفية متعصبة ، واحزاب ذات ميول
واهداف مختلفة ، حسب المصادر التي تمدها بالسلاح ، والمال ،
و « العقيدة » .

لكن الكتائب لم يجدوا حلا، سوى الصبر، والصمود ، والتضحية .

لقد تلقوا الطعنات بصدور واسعة ، وانفتاح، وتجلد، امام الكوارث
التي الحقهم بها الفلسطينيون ، وحلفاؤهم ، الشيوعيون ، والقوميون
الاجتماعيون ، وسائر الاحزاب « التقدمية » و « الوطنية » .

دعوا الى الحوار ، والاستعانة بالعقل على الغريزة ، والانفعال ،
والتعصب ، فرد عليهم الفلسطينيون وشركاؤهم بالقذائف الصاروخية ،
والحصار الاقتصادي ، وبشتى انواع التهم . لقد واجه الكتائب ،
وحلفاؤهم ، التهديدات العنيفة ، والانذارات القاسية . وانقطعت منطقتهم
(الشرقية) عن بقية المناطق اللبنانية ، فترة غير قصيرة ، كي يخضعوا ،
ويسلموا بأرواحهم . وكاد الاعلام الفلسطيني ـ الشيوعي ، ان يسيطر
على عقول واذهان العالم. اذ اوشك العالم ، كله ، ان يصدق بأن الكتائب
وحلفاءهم ، يدعون الى « التقسيم » وانشاء « وطن قومي مسيحي » !

وفيما الصراع يشتد ويعنف، بين اللبنانيين، من جهة، والفلسطينيين،
وبعض الانظمة العربية ، والشيوعيين ، والقوى « الوطنية التقدمية » من
جهة اخرى ، طلع علينا سيادة الرئيس السوري حافظ الاسد ، في ٢٠ تموز
١٩٧٦ ، بخطاب شهير ، القاه في جامعة دمشق ، على الشعب السوري ،
والعالم ، كذّب بموجبه الاعلام الفلسطيني ـ الشيوعي المسعور ، وقدم
للعالم براهين،وحقائق، اكدت على سوء نية الفلسطينيين وحلفائهم في لبنان .

وهكذا استطاع اللبنانيون الصامدون ان يحققوا نصرا كبيرا ، على
اعدائهم .

يكفينا ان نذكر من خطاب الرئيس الاسد ما يلي :

« ... يريدون كما نسمع في الاذاعات ان يضللوا الرأي العام العربي
وربما العالم ، من انهم يدافعون عن المقاومة الفلسطينية وحقيقة الامر ،
ان هنالك قوى في داخل لبنان وعلى المسرح الدولي ، تريد ان تسخر
المقاومة الفلسطينية ، لاهدافها التكتيكية ، والستراتيجية .

المقاومة الفلسطينية تقاتل الآن من اجل اهداف الآخرين ، وضد
مصلحة واهداف الشعب العربي الفلسطيني » .

واخذت الحقيقة تتكشف يوما بعد يوم ، فاذا بالسيد زهير محسن
ـ رئيس الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية ـ يصرح
« للحوادث » (العدد ١٠٧٢ تاريخ ٢٧/٥/١٩٧٧) فيقول :

« ان جهاة عربية ودولية زينت للمقاومة حكم لبنان . وقالت للزعماء
الذين استمروا في الحرب : اذا حكمتم لبنان تستطيعون المقايضة عليه
بالضفة الغربية » .

وهكذا اخذت الاقنعة تتساقط .

في ١٦/٧/١٩٧٧ ، قال السيد خالد الحسن ـ رئيس لجنة العلاقات
الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني ، عضو المجلس المركزي ، عضو
قيادة فتح ـ في حوار ، جرى بين السادة ادمون رزق ، باسم الجسر ،

وخالد الحسن ، على صفحات « النهار العربي والدولي » في باريس :

« هناك خطأ مزدو ج، خطأ الحركات الوطنية في العالم العربي ، فلأن هذه الحركات عاجزة عن الحركة النضالية في بلادها تريد ان تحمل الثورة الفلسطينية مسؤولية التحرر الوطني العربي ، وهذا خطأ اساسي • ولذلك حينما تقوى الثورة الفلسطينية تحتمي بها الحركة الوطنية وهي تلغي وجودها تلقائيا لمصلحة الثورة الفلسطينية على أمل ان تقطف ثمار الحركة الفلسطينية » •

وقال الحسن ايضا :

« من هنا ، وفي هذا السياق ، جاءت غلطة عزل الكتائب • ان قرار عزل الكتائب هو قرار احمق » •

اذاً ، بعد كل ما تقدم (فقرة من خطاب الاسد ، « الاعتراف » ، والتصاريح « الجريئة » التي جاءت على لساني زهير محسن وخالد الحسن) ماذا جرى في لبنان ؟

هل قال الاسد ، ومحسن ، والحسن ، كلماتهم هذه ، بمناسبة انتهاء الحلقة الاولى من السلسلة ـ المؤامرة ـ ام انهم اتخذوا هذه المواقف لاسباب اخرى ، ما زلنا نجهلها ؟

لقد عرفنا الرئيس حافظ الاسد صريحا ، وجريئا ، وواعيا • ولانه هكذا نريده ان يجيبنا على اسئلتنا التالية ، بمثل الصراحة التي عرفناها عنده في ٢٠ تموز ١٩٧٦ •

الاسئلة :

● لماذا تحول الصراع في لبنان ، من فلسطيني ـ لبناني ، الى سوري ـ لبناني ؟

● هل تمكنت « قوى من داخل لبنان ، وعلى المسرح الدولي » ان تسخر القوات السورية ، المتواجدة في لبنان ، باسم قوات « الردع العربية » لاهدافها التكتيكية او الستراتيجية ، مثلما سخرت المقاومة الفلسطينية من قبل ؟

● الا ترون ان الاذاعات التي « تسمعون » •• تريد ان تضلل الرأي العام العربي ، وربما العالم » مثلما حصل في حرب السنتين ؟

● هل اشار احدهم ••• (او اكثر من احدهم •••) عليكم بضم قسم من لبنان ، ان لم يكن كله ، الى سوريا ، كي تحققوا « سوريا الكبرى » او تقايضوا به الجولان ، المنطقة الواسعة ، التي ضاعت منكم في حرب ١٩٦٧ ؟

اذا قرر الرئيس الاسد ان يجيبنا على اسئلتنا ، ارجو ان يثق جيدا بأن الكتائب و « الوطنيون الاحرار » ومن ورائهم اللبنانيون ، سوف يصمدون ، ويتجلدون صبرا ، في وجه الحملات التي تشن عليهم ، اليوم ، مهما كانت عنيفة ، حتى ولو كلفتهم اضعاف ، اضعاف ، ما خسروه في الحلقة الاولى (الصراع اللبناني ـ الفلسطيني) • طبعا لم ننس بأن الفريق الفلسطيني لم يكن وحده مثلما سبق واشير عن لساني زهير محسن وخالد الحسن •

وارجو ، من سيادة الرئيس الاسد ، ان يعلم ايضا ، بأن لبنان هذا الوطن الصغير ، الكبير ، لن يقبل لا بالتقسيم ، ولا بالانضمام ، الى دولة اخرى ، مهما كانت قريبة ، او « شقيقة » •• صغيرة كانت ، ام كبيرة •

اما السيدان زهير محسن ، وخالد الحسن ، فلن نسألهما ماذا عندهما من اسرار ، لكننا ننتظر ، هذه المرة ، غير زهير وغير خالد •

ليس الصمود اللبناني الا قلعة شامخة ، وحصينة ، على قدميها تتكسر الامواج ، وتسقط الحيتان ، وكلاب البحر ، والاسماك ، برصاص ابناء القلعة ، الصابرين ، والصامدين •

اما انا فلست بصدد الدفاع عن الكتائب ولا عن «الوطنيون الاحرار» بل أريد ان اقول كلمة حق ، طالما قلّ الناطقون بها •

عسى ان اكون فعلت خيرا ، وعملت واجبا وطنيا •

● العمل ١٣ تموز ١٩٧٨ •

٥

في ظلال الرجال

« على من يريد الحياة أن يكافح اذن ، فليس في عالمنا هذا مكان أن يتهرب من النضال » .

ـ ادولف هتلر من كتابه «كفاحي» ـ

منذ بدأت الحرب الفلسطينية ـ اللبنانية ، التي استمرت زهاء سنتين ، وإلى ان اتخذت لنفسها ، بعد استراحة قصيرة « هوية » جديدة، (اصبحت، سورية ـ لبنانية) والاتصالات بين دمشق وبيروت لم تنقطع .

فمن بيروت تواصل الوفود زيارتها الى دمشق . ولم يبق حزب من الاحزاب القائمة ، على الاراضي اللبنانية ، ولا تجمع نيابي ، او غير نيابي، الا وقد زار العاصمة السورية .

ناهيك ، طبعا ، عن اللقاءات « الحميمة » و « الودية » التي تمت بين زعماء الشام ، وكل سوريا ، وزعماء بيروت ، وكل لبنان .

قبل ان تأخذ الحرب القائمة « هويتها » (السورية ـ اللبنانية) كنا نتمنى ان تحقق هذه اللقاءات المتكررة ، والزيارات الجارية ، سلاما عادلا ، لكل اللبنانيين ، من خلال تعاون لبناني ـ سوري اساسه التفاهم ، واحترام كل فريق حق الفريق الآخر، فيتسنى للبنان ، الوطن الممزق ، ان

يلم اشتاته وينطلق نحو حياة جديدة ، متخطيا الجراح الثخينة والآلام الكبيرة ، والهموم الفائقة .

غير ان « قوى من الداخل ، وعلى المسرح الدولي [1] ابت ، مثلما في حرب السنتين، الا ان تأخذ الحرب، في لبنان «هويتها» الجديدة، وتقصف المعدات السورية ، حتى « الراجمات » الاحياء السكنية الآمنة ، في بيروت الشرقية .

لم تثمر الزيارات الكثيرة . ولا « الحب » الدمشقي ـ البيروتي ، قد اينع ، بل هو مات بأول قذيفة صاروخية ، اطلقتها عليه « راجمة » ترفض الحب ، وتدعو الى الدعارة ، اذ قد قميصه من دبر .

لقد رفعت « الراجمات » شعارا « حسبي الله ونعم الوكيل » .

الحرب الفلسطينية ـ اللبنانية ، اولها تجاوزات تفاقمت (حواجز فلسطينية على المداخل ، في العاصمة والمدن ، ذبح على الهوية ، خطف من المنازل وعلى الطرقات ، حملات صحافية فلسطينية وعربية وعالمية ضد فريق لبناني) فاستنفدت صبر اللبنانيين ، ونسفت الجسور جميعها ، حتى خرج هؤلاء ، بثياب النوم ، مرغمين ، كي يدافعوا عن انفسهم ، واذا فريق كبير (من الداخل ، ومن شتى الاقطار العربية والاجنبية) يدعي النضال في سبيل القضية الفلسطينية ، والوحدة ، يحرض الفلسطينيين ، ويؤيدهم ، ويمدهم بالسلاح ، والمال ، و « الرجال » !..

وبقيت نار الحرب تشتعل ، في الربوع اللبنانية ، بينما الصمت يخيم على الضمير العالمي ، عامة ، والضمير اللبناني الشقيق خاصة .

كذلك الحرب السورية ـ اللبنانية .

هي ايضا ، بدأت بالتجاوزات .

(1) التعبير ، هنا ، للرئيس السوري حافظ الاسد ـ ١٩٧٦/٧/٢٠ .

لقد شهدت البلاد اغتيالات شخصية ، ومذابح جماعية ، وانفجارات كان باستطاعة « الردع العربي » ان يحول دون تنفيذها • لكنه على العكس ، اهمل واجباته ، وغضّ الطرف عن كل جريمة حصلت ، وانهمك في امور لا تمت الى الامن بصلة •

وبوجود ثلاثين الف من الجنود العرب « اغلبيتهم من الجيش السوري الباسل » دخلت اسرائيل الجنوب ، وتم تهجير الجنوبيين عن ارضهم وممتلكاتهم •

ليس قصدنا ان نتحامل ، لا على « الردع العربي » ولا على سواه من الاطراف المعنية • انما نسعى جهدنا ان نستعرض وقائع ، واحداثا ، حصلت بعد دخول « الجيوش العربية » الى لبنان ، ادت الى اشعال نار الحرب السورية ـ اللبنانية ، التي ما زادت البلاد الا خرابا ، ودمارا ، وما اضافت على النفوس الا حقدا ، وتشنجا ، وايمانا بالتقسيم ، الذي يدعي « الردع العربي » محاربته •

لنا ان نسأل «الردع العربي» ـ رئيسا ، وقائدا ، وضباطا ، وجنودا ـ عن الاجراءات القانونية ، والامنية التي اتخذت ، من قبلهم بحق الذين خططوا او نفذوا اغتيال المرحوم كمال جنبلاط ، او الذين دبروا عمليات زرع الالغام ، والعبوات الناسفة ، التي لا تحصى ، طوال الفترة الممتدة بين دخول « قوات الامن العربية » في تشرين الاول ١٩٧٦ وبداية الحرب السورية ـ اللبنانية ، التي انطلقت شرارتها الاولى من الفياضية •

الا يعتقد الردع العربي بأنه هو المسؤول الاول ، والاخير ، عن احداث الشمال ، بكل تفاصيلها ، ودقائقها ؟

وعن مجزرة القاع ؟

بوضوح اكثر ، يُعتبر « الردع العربي » المسؤول الوحيد، الاوحد، عن كل قطرة دم اريقت على ارضنا منذ دخوله الاراضي اللبنانية • وهو مسؤول ايضا بالقدر ذاته عما جرى ويجري في الجنوب •

بناء على مقررات مؤتمري الرياض والقاهرة التي ما كانت الا حبرا على ورق ، تقع المسؤولية كلها ـ بدون تجزئة ـ على « قوات الامن العربية » المكلفة بتنفيذ هذه المقررات ، لتتحملها الجامعة العربية ، بجميع اعضائها •

ليثق العرب ، كل العرب ، بأن اللبناني لن يصدق ، بعد ، ما قد يصدر عنهم (مجتمعين ، او منفردين) من وعود ، ومقررات • واللبناني هو الذي اعتُدي عليه باسم العروبة ، والوحدة العربية ، وتحت مظلة الجامعة العربية •

واللبناني هو الذي مزقته صواريخ « الراجمات » السورية ـ العربية ، وشردته ، وحالت دونه ودون امنه ، واستقراره ، وهنائه ، ثم مشت به اشواطا بعيدة على طريق التقسيم ، و « الانعزال » المرفوضين ، من قبل المسيحيين الموارنة • ولا شك ، هنالك امر يستحق ان نتوقف عنده ، لما يثير من تساؤلات ، انه لامر واحد • وهو الاجماع العربي على تدمير لبنان •

ان نظام الحكم السوري الذي يختلف مع نظام الحكم العراقي ، يلتقي معه في لبنان ، على ضرب المسيحيين بحجة القضاء على فكرة تقسيم لبنان ، وعلى « الميليشيات المسيحية اليمينية » !••

ونظام الحكم السوري ، الذي يحكم بلاده ، باسم اقلية قليلة جدا، (في سوريا يشكل المسلمون السنيون ٨٠ ٪ من السكان) يتعاون مع السنّة ، في لبنان ، بحجة تحقيق التوازن في الحكم ، وفي المناصب !

ونظام الحكم السوري، الذي يطارد الشيوعيين في بلاده ، ويسوقهم الى المشانق ، يتفق مع الشيوعيين ، في لبنان ، على محاربة المسيحيين اللبنانيين ، بحجة تحقيق العدالة الاجتماعية !

ونظام الحكم السوري ، الذي ينزل بالفلسطينيين ، في بلاده ، اقصى العقوبات ، عند ادنى تجاوز ، يلتقي مع الفلسطينيين ، في لبنان ، على قصف عين الرمانة ، وفرن الشباك ، وبدارو ، والاشرفية ، بحجة الدفاع عن القضية الفلسطينية .

ونظام الحكم السوري الذي يرفض ، في بلاده ، جميع الاحزاب ، ما عدا حزب « البعث » الحاكم ، يستقبل وفود الاحزاب العاملة في لبنان (الدكتور عبدالله سعاده ، الدكتور ميشال غريب ، كمال شاتيلا ، جماعة « المرابطون » ، وليد جنبلاط ، محسن ابراهيم ، وسائر الشخصيات السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ايضا) ويطلق لهم العنان في توجيه التهم ، لحزبي « الكتائب » و « الوطنيون الاحرار » !.

ونظام الحكم السوري الساكت على احتلال الجولان تقصف « راجماته » الموارنة ، دفاعا عن عروبة لبنان ، ومن اجل تحرير الوطن العربي !

ونظام الحكم السوري ، ومعه دول جبهة « الصمود والتصدي » غاضبون على الرئيس المصري السادات ، الساعي الى تحقيق سلام في المنطقة ، دائم وعادل ، يحاولون ان يطيحوا بنظام السادات « الخائن »

عبر تدمير « الراجمات » السورية ، للمنطقة الشرقية ، في لبنان ، التي يسكنها « الانعزاليون » .

كيف لا ، وهم « لا يساومون على حرية الشعوب » . وباختصار ، ان العرب الذين هزمتهم اسرائيل ، في غير حرب ، يستعيدون «كرامتهم» على المحاور التقليدية ، في المنطقة الشرقية من بيروت « عين الرمانة ، فرن الشباك ، بدارو ، الاشرفية » وسوريا « لن تسمح ابدا ، بضرب الجيش السوري في لبنان » .

هذه التناقضات الرهيبة ، والاجماع العربي ، يقف منها ، الحكم ، في لبنان ، بين خائف ومتردد .

كأني به يريد ان يقول سرا ، وليس هو بسر ، لكننا « الوفاق العربي » القائم على الساحة اللبنانية ، فقط ، يرفض « التمزق » كما يصر على اعلان « عروبة » لبنان ، ولو كلف ذلك تدمير الموارنة ، كما جاء على لسان معالي وزير الاعلام السوري ، السيد احمد اسكندر الاحمد ؟ [١].

ولما رأينا الحاجة تدعو الى قراءة تاريخ لبنان ، في ظلال بعض من رجاله الاقوياء ، ننقل الى كل من يهمه الامر وعلى الاخص ، العرب ، والسوريين ، والحكومة اللبنانية ، ما يلي :

في يوم الجمعة ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، جرى حوار بين المغفور له الاستاذ حبيب ابو شهلا ، والكولونيل اوليفارجه ، المندوب الفرنسي في دمشق عندما زار الحكومة اللبنانية ، في منزل المرحوم امين خليفة ، في

(١) في حديث للسيد احمد اسكندر الاحمد مع اذاعة صوت بريطانيا ، قال : « سندمر الموارنة » طلبت الحكومة السورية من الاذاعة تعديله وشطب كلمة « سندمر الموارنة » واستبدالها بكلمة «سندمر الميليشيات اليمينية».

عينات (حيث حضر الى جانب الرئيس حبيب ابو شهلا ، الامير مجيد ارسلان ، وزير التموين صبري حماده ، والشيخ خليل تقي الدين ، مستشار الحكومة) حول الصراع الفرنسي ــ اللبناني .

قال الكولونيل اوليفارجه[1] : **اننا نتخبط في ازمة يجب الخروج منها.** فقاطعه ابو شهلا قائلا : **قبل ان نصل الى ذكر الحلول ، دعني اشرح لك** الاسباب التي اوصلتنا الى هذه الحالة واقول لكم من هم المسؤولون عنها . وتكلم الرئيس ابو شهلا مقدار ساعة من الزمن شارحا تجاوزات الفرقة السياسية في المندوبية الفرنسية العامة في بيروت . وكيف دبر السيد « هللو » وجماعته مؤامرتهم في ليل ١١ تشرين الثاني على رجال الاستقلال اللبناني .

ولما انتهى الاستاذ ابو شهلا من الكلام رفع الكولونيل رأسه وقال :

كان هذا الحل ممكنا لو لم يتخذ الانكليز بخشونة موقفا صريحا من هذه القضية . ان الانكليز يدسون لنا الدسائس فكيف تريدون ان تنزل فرنسا عن حقوقها في لبنان وتسلم لبنان للانكليز ؟.

اجابه صبري حماده : ان تصرف الفرنسيين وسياستهم الخرقاء في لبنان جعلت الانكليز يتدخلون .

وعاد الاستاذ ابو شهلا يقول :

ان الحالة خطيرة جدا . بل هي اشد خطرا لما يتصورون . وزميلي الامير مجيد ارسلان يقول لكم اذا لم تقبلوا بالحل اللبناني عمت الثورة البلاد واندلعت نيرانها وتجاوزت لبنان الى سوريا وجبل الدروز .

(١) هذه الحادثة ننقلها عن « تاريخ لبنان ــ الجزء الاول » للدكتور يوسف مزهر .

عند ذلك التفت الامير مجيد الى الكولونيل وسأله : انت تعرف جبل الدروز جيدا الا توافقني على انه اذا قامت ثورة في لبنان هبت في جبل الدروز ؟

قال الكولونيل :

بلى هذا مؤكد ولكن عند اول حادث يتدخل الجيش التاسع البريطاني . ان الخلاف ليس خلافا فرنسيا لبنانيا بل هو خلاف فرنسي انكليزي .

ثم استطرد قائلا :

يجب ان تقابلوا كاترو . الامر يتعلق بفرنسا ولبنان ونحن متعودون على الحوادث في سوريا وجبل الدروز اما في لبنان فلم يكن يدور بخلدنا قط اننا سنواجه ثورة وحوادث خطيرة كهذه التي نواجهها اليوم . وعندما بلغتني انباء الازمة وانا في دمشق كدت لا اصدق . اهذا هو لبنان الذي عرفناه ؟

فقال الاستاذ ابو شهلا :

انتم كنتم جاهلين ان للبلدان يقظة مروعة وهذه هي يقظة لبنان . انكم انتم الذين فعلتم ذلك .

اننا نبارك اليوم الذي اعتديتم به علينا . ان المانيا لم تفعل ضدكم، ما فعلتموه ضد انفسكم في لبنان . وعن مقابلة الحكومة لكاترو قال الاستاذ ابو شهلا : لا يمكن للحكومة ان تذهب اليه . ان المجلس النيابي لا يوافق على ذلك فاذا شاء الجنرال كاترو ان يقابلنا فليأت الى هنا الى مقر الحكومة الشرعية. الميزر الجنرال كاترو اميل اده في سرايا البرج ؟ ».

● صوت الاحرار ١٩٧٨/٧/١٩

٦

الفتنة أشد من القتل

« ان الطريقة الوحيدة للوصول الى وحدة لبنان هي في عزل حزبي الكتائب و « الاحرار » واسقاطهما . وقد أصبح واضحا أن الكتائب و « الاحرار » لا يعملون من اجل المصلحة الحقيقية للطائفة المارونية الكريمة التي تكمن مصلحتها ليس في جرها الى التعاون مع العدو الاسرائيلي واثارة كراهية الشعوب العربية ضدها ، كما يفعل حزبا الكتائب والاحرار » .

ـ من تعليق الحزب التقدمي الاشتراكي على رسالة سركيس ـ .

« النهار » ١٨ـ٧ـ١٩٧٧

عندما دخلت « قوات الامن العربية » بلادنا هرع الناس الى الشوارع بالفرح ، والغبطة . وفي ايديهم فناجين القهوة ، وقوارير ماء الزهر ، والكولونيا .

ثم زينوا « الراجمات » و « المدافع » بباقات الورد ، وتم سحب

المتاريس ، بعد ان جلست على صدر العاصمة (بيروت) زهاء سنتين . وفتحت الطرقات ، وازيل الجدار الذي جعل من بيروت مدينتين ، واحدة غربية ، واخرى شرقية . وهكذا ، عادت « العافية » الى العاصمة ، فانطلق سكانها الى اعمالهم ، كأنما الحرب التي عاشوها ، سنتين ، هي عمل مسرحي ، قدمته فرقة اجنبية « زائرة » ، لم تمكث ، هنا ، دقيقة واحدة ، بعد انتهاء عملها ، بل غادرت البلاد ، في « منتصف الليل » ، بجميع اعضائها وادواتها ، وباتجاه غير معروف من قبلنا .

سألنا عما تفعله العاصمة ، فقيل لنا :

« ان الحضارة السورية » ستوطد الامن ، في البلاد ، وتمنع اي اعتداء « على جارتها الحضارة اللبنانية » وكررنا السؤال فكان الجواب :

« ان سوريا حافظ الاسد ستقتلع من عيوننا الخوف ، والقلق » .

في عهد « الحضارة السورية » القصير ، جرت احداث ، على الساحة اللبنانية ، لا اعتقد بأن قراء التاريخ ، غدا ، سيصدقون ما نكتبه ، اليوم ، بالصور والارقام . فهو ذكر لاعمال كثيرة ، مروعة ، يتطلب تنفيذها ، في وطن آخر ، غير لبنان ، اعواما طوالا ، من حيث الزمن ، كما يفرض ان تكون ، هنالك ، اما اطماع واما احقاد مزمنة ... تفجرت ، فأحدثت ما يثير العجب ، والاستنكار ، وربما اكثر .

ولكن ، مطلوب منا ، اليوم ، ان نطوي اوراقنا ، ونبدل اقلامنا ، وننسى المصادر التي نستقي منها ، ولو على سبيل التجربة ـ مثلما تدّعي رسالة الرئيس سركيس ـ .

ويفرض « الواقع » الذي نعيشه لونا جديدا ، في الاوراق ، والحبر ، والاسلوب . وهو يوصي بأن تتجنب الانفعال ، والعاطفة ،

والتصعيد ، كي يتسنى لـ «الحضارة السورية» ان تعي من غيبوبتها لتعود الى وعيها ، الذي كانت عليه ، في صيف ١٩٧٦ ٠

اما عن الجراح الثخينة ، والمشردين ، والخراب ، والفقر ، فقد تكلمنا كثيرا ، حسبما يقول هذا « الواقع » ، ولم يعد لنا بد ، سوى الرجوع الى الله ، الذي لا معين سواه ، الرحمن الرحيم ٠

لقد صممنا على ذلك ، عملا بالرسالة اللبنانيـة ، التي كانت ، وما زالت ، وستبقى ، دعوة الى الوعي ، والحضور الذهني ، والخلقي ، مع العلم بأن كل من التزم ، بمثل هذه الرسالة ، لا بد ان يكون عرضة ، مرة كل قرن ، على الاقل ، للقتـل ، والسحـل ، والاضطهاد ، والتنكيـل ، والاعتداءات المختلفة ٠

ان التجارب المؤلمة ، المريرة ، التي تعترض سبيلنا ، نحن اللبنانيين ، مرة كل ربع قـرن ، لن تزيدنا الا ايمانـا بحقنـا ، وتمسكا بكياننـا ، واستقلالنا ، ودفاعا عن رسالتنا التي من اجلها ، وحدها ، فقط لا غير ، نحيا ونعيش ٠

نحن، في لبنان ، ومنذ اجيال، نطالب بأن نُفْهَم جيدا ، ليبقى حقنا محفوظا ، وكرامتنا مصانة ، بمثل ما نصر على احترام حقـوق الغير ، من قبلنا ، وصون كرامة كل ذي كرامة ٠

وان بدا منا العنف ، والصمود ، فذلك مردّه الى تعلقنا بأرضنـا ، وبحقنا ، من جهة ، واصرارنا على تحرير النفوس التي تتوق الى الاعتداء على حق الغير ، واستقلال الاوطان ، وسيادتها ، من جهة اخرى ٠
من هنـا ،

ومن فوق الجراح ، نخاطب « الحضارة السورية » وكلنا امل بأن تستفيق ، وتكسر « الاقداح » كي تقدر ان تقرأ لغـة المنطق ، التي طالما اعتمدناها ، مع غيرها ، من قبل ، ومعها ايضا ، منذ قررت التعامل معنا ٠

ولتسمح لنا « الحضارة السورية » ، او سوريا الاسد ، بأن نعود، ولو بكلمات قليلة ، الى بداية الحرب الفلسطينية ــ اللبنانية ، وذلك لنرى اي وجـه شبه يواصل حضوره بين الحربين ، الفلسطينية ــ اللبنانيـة ، والسورية ــ اللبنانية ٠

لاننا نخشى ان يستبد هذا الوجه بالحضارتين اللبنانية ، والسورية، ندعو ، بكل اخلاص ، الى كشف النقـاب عنه ، والى تمزيقـه ، كي لا ينتهي بنا ، انتم ونحن ، الى مثل ما انتهينا عليه ، لبنانيين وفلسطينيين ٠

هذا الوجه ، هو الفتنة ، والتفرقـة ، وما تخللهما من مزايدات ، وانتهازية ، وتشويه ، وكذب ، وادعاء ٠ لقد تعددت الوجوه ، دون ان تنطوي على خير ٠

ابتدأت الحرب الفلسطينية اللبنانيـة بقرار عزل الكتائب ٠ ولسوء حظ القضية الفلسطينية ، خـدع هذا القـرار « الثورة » الفلسطينية ، فأوكلت امر تنفيذه الى اسلحتها الثقيلة ، والخفيفة ، والى اموالها الطائلة العربية ، وغير العربيـة ٠ وظلت « الثورة » الفلسطينية ــ حسب علم ، ومعرفة «الحضارة السورية» ــ تحارب في لبنان، من شماله، الى جنوبه، وبتحريض من « السادة » اصحاب القرار ، ومبتدعيـه ، الى ان خسرت « الثورة » الفلسطينية شرفها ، على رأس رمح الصمود اللبناني ٠

وعندما قالت « الحضارة السورية » كلمتها المأثـورة ، بالصمـود اللبناني ، وبانحراف المقاومة الفلسطينية ، و « الجهات الوطنية » ، امتقعت

« وجوه » ، واذهلت « شخصيات » فأخذ « الزحف المقدس » يتزايد يوما بعد يوم ، نحو بيت الكتائب ، من اجل الاعتذار ، والتودد ، والاطراء ، والمديح .

لقد ادانت هذه « الوجوه » الزاحفة قرار عزل الكتائب ، فتبسم الشيخ ، ورفاقه ، وابناؤه ، وفتحوا البيت في وجه كل زائر ، وضيف . واطلق المداحون ، والمعتذرون ، دعوة الى « المصالحة الوطنية » فأقيمت مأدبات ، ضمت ابناء الوطن الواحد .

ولما سألنا عما يحدث ، قيل لنا :
« الفتنة اشد من القتل » .

وكررنا السؤال ، على الشيخ ، ورفاقه ، فقالوا : « نريد لبنان ، وطنا للمسلم ، مثلما هو للمسيحي . ولا فرق بين مسيحي ومسلم الا بالحب لهذه الارض » .

« الوجوه » عينها ، و « الشخصيات » ذاتها ، التي لعبت ، امس دورين متناقضين ، تعود اليوم ، وفي عهد « الحضارة السورية » كي تلعب دورا جديدا كالدور الاول ، الذي تعهدته « الثورة » الفلسطينية ، وحرصت على تنفيذه ، حتى فشلت .

انه قرار بالعزل ايضا ، مع فارقين بسيطين ، لا بأس ان نذكرهما :

— في عام ١٩٧٥ ، تناول القرار عزل الكتائب وحدهم . اما اليوم فقد شمل « الوطنيون الاحرار » .

— استطاع عهد « الحضارة السورية » ان يضيف الى اصحاب الدور الاول « وجوها » جديدة اخرى ، كانوا حلفاء للكتائب ، و « الوطنيون الاحرار » خلال حرب السنتين .

لان لبنان يرفض الركوع ، والاستسلام ، ستعتذر « الحضارة السورية » (سوريا الاسد) عن عمل ما فعله الفلسطينيون في لبنان .

وعندئذ ، سوف تتراجع هذه « الوجوه » ، و « الشخصيات » ، معظمها ، ان لم تكن كلها ، ثانية ، لتقدم الاعتذار ، ولكن ، هذه المرة ، من الكتائب و « الوطنيون الاحرار » ايضا .

هذا ، ما نرجو ان تقرأه « الحضارة السورية » بوعي ، وحذر ، لئلا تكون ضحية هذه « الوجوه » و « الشخصيات » ذات الالوان المتعددة ، والمواقف المتبدلة ، المترددة .

« الحضارة السورية » (سوريا الاسد) وحدها الخاسرة ان هي بقيت في غيبوبتها ، واما ان وعت — ويجب ان تعي — فسوف تربح ونربح معها ، وهذا هو الهدف ، والرجاء .

● صوت الاحرار ٢٢/٧/١٩٧٨ .

٧

من يقرأ التاريخ

ليس اسهل ، على سوريا ـ الاسد ، من ان تعرف لماذا المسيحيون ، في لبنان ، يصرون على استقلال وطنهم ، وتكريس حريتهم ، واحترام حقهم ، ان هي شاءت ان تعود الى قراءة قصة استقلال اي وطن ، شرقيا كان ام غربيا .

اذا لم ترغب سوريا ـ الاسد ، نظرا لظروفها وانهماكاتها ، بمطالعة سير اولئك الذين قضوا على طريق الشهادة ، في غير بلاد ، فلنا رجاء واحد ، اذ نكتفي ، بأن تتفضل الدولة التي حملت نفسها هموم المنطقة كلها ، فتتذكر كم عانى الشعب السوري ، بالذات ، وناضل ، وقدّم التضحيات ، في سبيل تحقيق استقلاله ، واجلاء آخر جندي اجنبي عن ارضه .

ومهما منع عليها « اصدقاؤها » و « حلفاؤها » ففي قراءة التاريخ عبرة ، وموعظة ، وتذكير .

المسيحيون في لبنان ، هم استقلاليون يدعون الى احترام حقهم ، مثلما يدعون الى احترام حقوق غيرهم .

وحق الغير ، عند المسيحيين اللبنانيين ، لا يقل اهمية عن حقهم .

« جارك بخير ، انت بخير » .

يطمئن المسيحيون ، في لبنان ، عندما تطمئن سوريا ، والعراق ، والاردن ، والكويت ، والسعودية ، ومصر ، والفلسطينيون ، حتى آخر بلد من بلدان المنطقة .

ويخاف المسيحيون ، في لبنان ، على مستقبلهم ، وعلى وطنهم ، عندما تكون البلاد المجاورة ، كلها او بعضها ، في خطر .

★ ★ ★

المسيحيون ، في لبنان ، هم دعاة حرية ، وهي ، عندهم ، اغلى من الدم ، واثمن من البنين ، والمال ، والجاه .

يعتقد المسيحيون اللبنانيون بحرية الغير ، مثلما يعتقدون بحريتهم .

لذلك ،

قاد رجال من المسيحيين اللبنانيين ، عبر قرون واجيال ، حملات واسعة ، ضد جميع الغزاة ، والمحتلين ، الذين قدموا الى هذه المنطقة .

لقد وقف المسيحيون اللبنانيون ، الى جانب المسلمين ، في لبنان ، وسوريا ، والعراق ، في وجه الاستعمار التركي ، وجاهدوا ، بالفكر ، والسلاح ، حتى تم حصر هذا الاستعمار البغيض .

كذلك مع الاستعمارين ، الفرنسي ، والانكليزي ، وهم على استعداد دائم لمؤازرة كل طالب حرية ، من اي بلد كان ، والى اي طائفة انتمى .

« تبدأ حريتي عندما تنتهي حرية الآخرين » .

★ ★ ★

المسيحيون ، في لبنان ، هم طلاب عدالة . ويعرفون حق المعرفة ، ان العدالة هي حصن حصين للكرامة ، والاستقلال ، مثلما هي حافز على التقدم ، والازدهار ، وانتشار الامن ، في ربوع البلاد .

لقد آمنوا بالعدالة ، قبل سواهم . فنشروا على شعوب المنطقة ، افكارا جريئة ، واسسوا مدارس كانت رائدة الفكر، والنهضة، والتحرر، والانعتاق .

وحققوا صلات ثقافية ، وفكرية ، وعلمية ، مع مجتمعات كانت قد سبقتنا الى المدنية ، والثقافة ، والعلوم .

لم يناضل المسيحيون ، في لبنان ، من اجل تحقيق العدالة الاجتماعية، في بلادهم ، فحسب ، بل ساهموا مساهمة فعالة في سبيل تحقيقها ، وانتصار الانسان ، والانسانية .

يعتقد المسيحيون ، في لبنان ، بأن سيادة العدالة ، في بلدان المنطقة ، انما هي سيادة للعدالة في لبنان .

ويعتقد المسيحيون ، في لبنان ، ايضا ، بأن الازدهار اذا عم المنطقة، يكون معناه ان لبنان قد ضمن بقاء ازدهاره ، واستمراره .

لذلك ،

يحرص المسيحيون ، في لبنان ، على علاقاتهم السياسية ، وغير السياسية ، مع الدول المجاورة ، فلم يشتركوا في اعمال تخريبية ، او فتنة ، او مؤامرة ، لا في سوريا ، ولا في العراق ، ولا في اي مكان آخر.

ولانهم هكذا ، حقا ، يرفضون اي تدخل اجنبي ، غير مخلص ، في بلادهم ، ويتصدون ، بكل ما لديهم ، لكل مؤامرة ، في الوقت الذي يؤكدون فيه ، على وحدتهم ، وعلى تعاونهم ، وثقتهم ، بأبناء وطنهم من الطائفة الاخرى .

لقد شهد لبنان حروبا طائفية كثيرة ، كان لا بد ان تنتهي ، في بلد آخر ، الى التقسيم ، لكنها ، بفضل المسيحيين ، وانفتاحهم ، وحبهم للبنان ، وتمسكهم به وطنا واحدا ، متحدا ، انتهت ، جميعها ، لا كما خطط لها المخططون ، بل الى التفاهم ، وطي الملفات ، ثم التسامح ، والتعايش الاخوي ، ونبذ الاحقاد .

والآن ؟

وبعد ان تكون سوريا ــ الاسد قد عرفت المسيحيين اللبنانيين ، الذين منهم الكتائب ، و «الوطنيون الاحرار» ، ويجب ان تعرفهم ــ لسنا في صدد معرفة كم يمثل الكتائب ، و «الوطنيون الاحرار» من المسيحيين، وهما حزبا الاغلبية منهم ــ ندعوها ان تقرأ معنا :

« ... وفي سورية كشفت السلطات التركية عن بوادر مؤامرة واسعة النطاق في الخفاء ولها مراكز في دمشق وبيروت وبعلبك ومدن اخرى ، وهدفها اعلان الثورة على الاتراك والمناداة باستقلال العرب ، فاتخذت التدابير الصارمة ، وثبت الارصاد في كل مكان ، والقت القبض على نخبة من شباب سوريا ولبنان ، وحكمت عليهم بالاعدام ، فساروا الى الموت باسمين وهم يرددون « لا تبنى الدول الا على الجماجم ، وهذه جماجمنا اساس لدولتنا العربية ، فنحن باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت ، وبموتنا تحيا الامة العربية » (١) .

(١) « نهضة العرب ، التحرر ، فالاستقلال ، فالدولة » وقد ورد في « جيل الفداء » لقدري قلعجي ص ١٥٥ .

بلـى ،

كل شيء يرخص امام الاستقلال ، عند طلابه ، فلا المشانـق ، ولا المدافع ، ولا «الراجمات» بامكانها ان تطفىء شعلة الحرية ، والاستقلال، عند شعب يرفض حياة الذل ، والقهر ، والعبودية .

ولان المسيحيين اللبنانيين ، ومنهم الكتائب و «الوطنيون الاحرار» طلاب حرية ، واستقلال ، وعدالـة ، لن يترددوا في التضحيـة من اجل استقلالهم ، وحريتهم ، وسيادتهم ، ووحدة وطنهم .

اذا ما احبت سوريا — الاسد ، واحب العـرب ، ان يقرأوا معنا ، فاليهم هذا المثل ، وقد رأينا ان نأخذه من الشعب العراقـي ، باعتزاز : « في العراق اعدم الجنرال نور الدين باشا القائد العام للقوات التركيـة في ما بين النهرين وفي بغداد ١٠٥٥ شابا من احرار العـراق ، عدا الذين قضوا شنقا وماتوا في الصحاري . ولما خلف خليل بك ، نور الدين باشا واستولى على كوت العمارة ، امر بشنق اربعين وجيهـا واهداء نسائهم الى ضباطه وجنوده ، لكن هؤلاء النسوة العربيات آثرن الموت على العار، فقذفن بأنفسهن الى دجلة وحملت مياه النهر جثتين الى شوارع المدينة . وانقض القائد عاكف بك بسبعة طوابير على بلدة الحلة التي يقطنها ثلاثون الف نسمة ، فأبادهم جميعـا ولم ينج منهـم سوى عدد قليـل فر الى البصرة [١] .

هكذا المسيحيون في لبنان .

وهكذا كل من يعشق الحرية والاستقلال .

---

(١) « نهضة العرب ، التحرر ، فالاستقـلال ، فالدولة » ورد ايضا في « جيل الفداء » لقدري قلعجي ص ١٥٥ .

يبقى على سوريا — الاسد ان تقرأ ، ولو في غمـرة من الاحـداث المتلاطمة ، التي ألقت ، على منكبي الاسد ، هموما كثيرة ، واعباء شتى ، لعل في القراءة ما يحرض على اعادة النظر في امور كثيرة ، مثلمـا حصل صيف ١٩٧٦ ، وتكون النهـاية راحة ضمير ، واعباء محمولة ، واحمـالا لا تزعج .

● العمل ٢٢ تموز ١٩٧٨ .

٨

بداية النهاية .. متى ؟

« ما اسرع الساعات في اليوم ، واسرع الشهور في السنة ، واسرع السنين في العمر ! »

ـ الامام علي ـ

بعد الاشرفية ، وفرن الشباك ، وعين الرمانـة ، دخلت « الحدث » الحرب ، لان جنديا سوريا ، من « قوات الامن العربية » ، وجد ـ حسبما قيل ـ مقتولا في خراج القرية ، وآخر جريحا .

وكما جرى للمواطنين (في عين الرمانة ، وفرن الشباك ، وبدارو ، والاشرفية) جرى لاخوانهم في الحدث .

هنا خراب ، ودمار ، وحرائق !

وهناك ، ايضا ، خراب ، ودمار ، وحرائق !

هنا ، ابريـاء ، من الشيوخ ، والنساء ، والاطفال ، سقطوا بقذائف الجيش السوري العربي !

وهناك ايضا ، ابرياء ، من الشيوخ والنساء ، والاطفال ، سقطـوا بقذائف الجيش ذاته !

* * *

لو افترضنا ان الذي يجري ، على الساحة اللبنانية ، كان حربا من اجل تحقيق الامن ، وفرض سيـادة الدستور ، وتوحيد البلاد ـ حسبما يصرح المسؤولون السوريون ، باعتبار ان سوريا هي مسؤولة عن الامن في لبنـان ـ فأي حرب هذه التي تنزل على شعب آمـن ، في المنـازل ، والشوارع ، والساحات ؟

هل سيـادة الدستور لا تتحقق الا على جماجم الشيوخ ، وصدور النساء ، والاطفال ؟!

هل الامن لا يكون الا بقتل الابرياء ، وتهجيرهم ، وحرق منازلهم ، وممتلكاتهم ؟!

هل توحيد البلاد لا يتم الا بزرع القلق ، والرعب ، في نفوس فئـة من الناس ، لا ذنب لهم ، سوى انهم مسيحيون ، ارتضوا ان يعيشوا حيث وجدوا ، ولكن احرارا لا عبيدا ، مستقلين لا مستعمرين ، كراما لا اذلاء وحياديين لا منحازين ، الا امام الحق ، والحقيقة ؟!

ليس الآمنون (في عين الرمانة ، وفرن الشباك ، وبدارو ، والاشرفية) هم الذين « استهدفوا دور الدولة ، والسلطة الشرعية » ـ كما تعلن اذاعة وصحف دمشق ـ فحق عليهم العذاب ، بالقصف العشوائي ، والرجم ، على طريقة العصر ، لا بالحجارة ، مثلما كانوا يفعلون .

ولا الآمنون ، سكان الحدث ، هم الذين « اعاقوا ارسال الجيش » الى الجنوب فوجب ضربهم ، كأن الجيش لا يصل الى الجنـوب الا على جثث ابناء الحدث أنفسهم .

* * *

كلما طلعوا ، علينا ، بمشروع ، او خطة امنية ، تشتعل « الحرب » في احد المحاور التقليدية ، حتى يشغلونا عن المطالبة بما وعدونا .

وهكذا ، من « مشروع » الى « مشروع » ومن « حرب » الى « حرب » ، يتنقلون بنا ، بدون ضجة ، او صرخة من ضمير .

من « حرب الفياضية » الى حرب « عين الرمانة » الى بدارو الى فرن الشباك ، الى الاشرفية ، الى الحدث (اليوم) !

ومن يدري ، لعل « مشروعا » آخر سينبثق ، غدا ، او بعده ، ليشعل « الحرب » في محور جديد « الدكوانة » مثلا ، او « الجديدة » .

وهناك ، ايضا ، ابرياء ، من الشيوخ ، والنساء ، والاطفال ، سقطوا بقذائف الجيش ذاته !

والى ان تغطي « الحرب » المنطقة الشرقية بكاملها ، ساحلا وجبلا .

* * *

وليس هذا ببعيد ما دام الوضع في لبنان ، يقتضي «مشاريع» كثيرة، « ومخططات امنية » عدة .

ان الامن ، في جميع انحاء البلاد ، هو لا شك مفقود . وليست الحال ، في الجنوب ، أسوأ مما هي عليه ، في الشمال ، او البقاع ، او الشوف ، مهما تراءى لنا ان هدوءا يسود هذه المناطق ، او بعضها .

* * *

حيثما اتجهنا في لبنان ، نجد الخوف يهيمن على المواطنين . وكالجمر تحت الرماد ، ترقد الفتن ، والمجازر . وترقد « الحرب » ، فلكي ينفجر

الوضع في اي منطقة ، لا يحتاج الى اكثر من نفخة هواء . فالنفوس مشحونة بالحقد ، من جهة ، وبالحب للقتل ، والذبح ، من جهة اخرى .

وفي لبنان، هذا الوطن الصغير البريء ، توجد جميع انواع الاسلحة، ابتداء من المسدس ، ولغاية « الراجمة » .

ومن لديه سلاح ، مهما كان نوعه ، لا بد ان يستعمله ، ولو في الهواء الطلق ، على سبيل التجربة ، فكيف لو قدر له ان يستعمله في «الحرب» . اسألوا الفلسطينيين ، قبل الحرب ، وخلالها .

* * *

لقد طال صمت « الراجمات » عندنا ، حتى اوشكت ان تنفجر ، فأطلق لها العنان ، وسمح لها بأن تقصف المنازل ، والمرافق الحيوية ، في المنطقة الشرقية ، لئلا تنفجر هذه المدللة ، والغالية (الراجمات) من فرط حزنها ، وطول انتظارها .

ألم تأت « الراجمات » (رعاها الله) من اجل حماية الامن ، والسلطة ، من خطر « اعداء » الامن ، والسلطة ، واعداء العروبة ، ابناء المنطقة الشرقية ؟!

* * *

ان الذي يجري ، على ارضنا ، لا مثيل له في بلد آخر ، لا قديما ولا حديثا .

فما من بلد ، في العالم ، تقدم الحكومة ، فيه ، استقالتها « كي تفسح في المجال امام حكومة اخرى ، لتنفيذ ما عجزت عنه » الحكومة الطالبة الاستقالة ، ثم تعود الى الحكم كأن شيئا لم يكن ، سوى لبنان !

وما من بلـد ، في العالم ، يهـدد رئيسها ، او ملكهـا ، بالاستقالة احتجاجا على قصف وضرب الآمنين ، من ابناء وطنه ، او مملكته ، ثم يعدل عن الاستقالة ، بعد ان تقدم له « ضمانات » ـ على مختلف المستويات ـ وبعد فترة لا تتجاوز الاسبوع ، من رسالة عدول الرئيس عن الاستقالة ، يعود قصف الاحياء السكنية الآمنـة ، مثلما كان ، الا عندنـا ... في لبنان !

★ ★ ★

قد يقولون له « نحن لم نقصف المناطق التي قصفناها من قبل . انما هنالك منطقة اخرى (اسمها الحدث) اعتدت على « قوات الامن العربية » ـ القوات الشرعية المؤقتة ـ فكان لا بد ان نرد عليها حتى نسكت النيران المعتديـة » .

وعندئذ ، لا يعتبر قصف الحـدث ، او غيرها ، في المستقبـل ، اذا حصل ، خرقا « للضمانات » العربيـة ، والدوليـة ، التي قدمت لرئيس الجمهورية .

وعلى اسم الشرعية ، والامن ، والحرية ، ولبنان الموحد ، يتم قتل الابرياء اللبنانيين ، وتهجيرهم ، الى ان يتوبوا عن «التعامل» مع اسرائيل، ويعلنوا لبنان وطنا عربيا ، واحدا ، متحدا ، يؤمن بالقضية الفلسطينية ، ويدافع عنها ، حتى التحرير ، او الموت !

★ ★ ★

عندما كانت الحدث تقصف ، كان السيد عبد الحليم خدام (نائب رئيس الـوزراء ، وزير الخارجيـة السوري) يصرح ، في كوبنهاغن ، للمسؤولين الدانماركيين ، بأن بلاده « لا تملك الامكانات المالية التي تتيح

لها ابقاء جنودها في « قوة الردع العربية » في لبنان . اذ ان « قوات الردع العربية » تكلف سوريا ٧٠ مليون دولار شهريا ، وان سبب ابقاء ٣٠ الف رجل ـ اكثريتهم من السوريين ـ في « قوة الردع العربية » هو الرغبـة في ضمان سلامة لبنان . ولكن ، نظـرا الى التكاليف المترتبة على ذلك ، فان سوريا تود سحب قواتها في اسرع ما يمكن » .

★ ★ ★

كنا نتمنى ان تسحب سوريا قواتها ، من لبنان ، نظيفة الكف ، بريئة الذمـة .

اما التكاليف الباهظة (٧٠ مليون دولار شهريا) فالشعب السوري، لا شك ، هو احق بها ، واولى .

نرجو ان يكون دم ضحايا الحدث آخر من يشهد على ذلك .

فقد ينسى اللبنانيون ، مستقبلا ، ما حدث لهم مع جيرانهم السوريين ويعود لبنان الغد وطنا لكل جار ، وصديق ، ولكن بمزيد من الوعي ، والحذر ، والحرص .

بداية النهاية ... متى يا معالي الوزير ؟

● العمل ٢٥/٧/١٩٧٨ .

٩

الاحتضار المجنون

« احذروا ما نزل بالامم من المثلات لسوء افعالهم . فتذكروا في الخير والشر احوالهم واحذروا ان تكونوا امثالهم » .

ـ الامام علي ـ

سألني غير مهجر ، من الشمال ، قائلين :

« لقد تركنا اهلنا ، وقرانا في مناطق زغرتا ، والكورة ، والبترون ، بعدما اشتدت علينا المضايقات . اذ طلب منا ان ننسحب من الحزب (الكتائب) ونسلم بطاقاتنا ، واسلحتنا ، ونقدم الطاعة . طبعا ، سمعت بأنه اعلن علينا « من يخرج عن طاعة « السلطان » تتركه يغادر « برائحة طيبة » والا يقتل » .

ثم سألني الجميع ، بصوت واحد :

« قل لنا ، بصراحة ، الى اين نحن سائرون ، ولمن النصر ؟!.. »

لم تحمل وجوه هؤلاء علامات الاسى ، بل فرح المؤمنين ، وزهو الابطال ، وثقة اصحاب الحق ، وصفاء العقيدة التي يعتنقون .

وعلى زنودهم غبار المعارك التي خاضوها ، يوم حرروا الكورة وشكا ، من الفلسطينيين ، وحلفائهم ، الشيوعيين ، والقوميين .

اما عيونهم ففيها حكايات مجد تقارب الاساطير ، واروع القصص عن الصمود ، في شكا ، والكورة ، يقرأها ، بوضوح ، كل من مر من هناك ، بعدما تم تحرير شكا ، ومناطق الكورة ، من اعداء لبنان .

ومن العلامات التي على وجوههم ، والآثار التي تحملها زنودهم الفتية ، صغت جوابي ، بعدما استعرت من عيونهم حروفا كأنها الشظايا ، فقلت :

ـ النصر ، دائما ، للوطن .

قالوا :

« تريد ان تقول النصر لنا ؟ »

قلت :

ـ البقاء للارض ، وللذين يلتصقون بها ، دفاعا عن حرمتها ، وشرفها ، وكيانها ، واستقلالها .

رد احدهم ، وكأنه يوجه كلامه الى صاحبه ، فقال :

« ستكون لنا معركة ، غدا ، في الشمال ، تعيد لنا حقنا ، وتعزز وجودنا . لقد اصبح الوضع خطيرا لا يطاق . فانظر الى الحدث ، وعين الرمانة ، وفرن الشباك ، والاشرفية » .

واستطرد قائلا :

« ان رفاقنا ، في بيروت ، يخوضون صراعا مصيريا ، من اجل البقاء، وقد آثروا الموت على الذل والعار » .



تركت عصافير الشمـال المهاجرة ، لاسمـع « موجز انباء الخامسة والربع » من اذاعـة « صوت لبنان » فاذا القصف ، على الحـدث ، قد تجدد عنيفا ، ومجنونا ، والقرية ما زالت محاصرة من قبل « قوات الامن العربية » • ثم ان حريقا واسعا قد شب في الاحـراج المحيطة بالقصر الجمهوري •

هنا ، تذكرت امي واطفالي ، فقلت يجب ان اكون بينهم • قد يموتون رعبا ، وفزعا• يجب ان اكون بينهم ، لأموت معهم ، يبدو ان «الراجمات» العربية بدأت تحتضر •

★ ★ ★

عندما بدأت « الراجمات » السورية ـ العربية ، تقصف المسيحيين، في المنطقة الشرقية ، نهض « الرجال » من كل مكان ، يغنون «للراجمات» ويصفقون كلما حققت هدفا ، ويطلبون لها النصر ، وراحوا ينشدون :

« مزيدا من الصمود ، نريد ان نبني لبنان وطنا عربيا ، تقدميـا ، حضاريا وانسانيا » •

لقد حقن هؤلاء « الراجمات » بالابر ، وسقوها من زيت الحشيش، حتى نسيت نفسهـا ، فانطلقت تتخبط يمينـا ، ويسارا • وبتحريض من « الرجال » و « النساء » القت « الراجمات » السوريـة ـ العربيـة ، غضبها على الكتائب و « الوطنيون الاحرار » فأمطرت الآمنين ، والابرياء، آلاف القذائف الصاروخية ، واقصتهم عن منازلهم ، وعطلت اعمالهم •

اتفق الجميع ، على عزل ، واسقـاط ، الكتـائب ، و « الوطنيون الاحرار » • وكم كان سرورهم عظيما عندما رأوا « الراجمات » تدخل

منازل المسيحيين « عملاء اسرائيل » ابنـاء الاشرفية ، وبدارو ، وفـرن الشباك ، وعين الرمانة ، والحدث •

★ ★ ★

لم يبـق احد ، ممن يتحرك في الفلك السوري ، الا واعلن غضبـه على الكتائب ، و « الوطنيون الاحرار » •

الصحف ، والاذاعات ، والمنابر ، كلها غاضبة •

في الشمال ، كما في الشرق •

في بيروت الغربية ، كما في الشوف ، والبقاع ، والجنوب •

اما في الشام ، فحدث ولا حرج •

كلهم ، اتفقوا على الكتائب و « الوطنيون الاحرار » وامروا بسبهم، قبل كل صلاة ، وقبل كل خطبة ، وقبل النوم ، وبعد النوم ، وقبل الاكل، وبعد الاكل •

★ ★ ★

ويل لامة لا مكان فيها لعاقل •

قال علي بن ابي طالب :

« لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طـال السرى »

فقامت قيامة بني أمية ، واعلنوا الحـرب عليه ، بعد ان استقدموا الآلاف المؤلفـة من المرتزقة ، والمضللين ، الى ان غـدروا به ، وهو يصلـي في مسجده •

استمر حقد الامويين على الامام وبنيه ، يتفاقم ، حتى امروا بسبه ، على المنابر ، في كل الديار الاسلامية •

ومن على منابر الشام ، بالذات ، سُبّ علي اعواما طوالا . وظلت امية في تعنتها ، وتزمتها حتى بلغها الاحتضار المجنون .

★ ★ ★

يحكى ان طاغية (...) حضره الموت ، فبقي ينازع قرابة الشهر . كانوا يأتونه بكوب الماء فيقذف به الى الحائط .

وكانوا يحملون له كوب الحليب،فيصرخ في وجه خادمه «لا اريد ان ارى وجهك بعد اليوم » وكان ايضا ، يضرب برجليه الطبيب كلما جاء لمعاينته ، حتى ابتعد عنه جميع الاطباء .

أتوا اليه بالشعراء ، والفكاهيين ، والراقصات، والمطربات، والمطربين، كي يخففوا عنه ، فشتمهم ، وأمر بطردهم .

كسر سريره ، ومزق ثيابه ، واغطيته .

اكل وسادته ، واصابعه ، وتنف شعره .

بصق في وجوه نسائه ، وبناته ، وابنائه ، واحفاده ، واخوانه ، واصدقائه .

أهان وزيره ، ومستشاريه .

وبقي ينازع ، هكذا ، حتى لفظ كلمته الاخيرة :

« ارفض ان اموت » ... « ارفض ان اموت » ...

عاش طاغيا ، مستبدا ، ولما جاءه الموت ، كان احتضاره جنونا .

★ ★ ★

وصف الماريشال ليمان فون ساندرس القائد العام للجيوش التركية في البلاد العربية ، في مذكراته ، الوضع الذي ساد سورية في تلك الايام العصيبة ، فقال :

« وفي يوم ٢٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٨ علمت ان جموعا عربية غفيرة تجمعت في شرق الشام وجنوبها . وكانت حالة الشام الادبية ــ وقد تحولت تحولا سريعا ــ تبعث على الخوف والحذر ، فقد كثر توارد رجال القبائل المسلحين الى دمشق وكانوا يتجولون في اسواقها ويطلقون الرصاص اعرابا عن فرحهم وسرورهم ، وكان الدمشقيون يتهافتون علنا على قراءة منشورات الطيارات الانكليزية وكانت تلقيها بكثرة ، فتزداد بذلك الدعوة العربية انتشارا . وبدأت الفوضى تسري الى جميع فروع الاعمال ، كما كثر ورود جواسيس فيصل ورجاله وكانوا يدعون الناس الى الثورة والانتفاض . واتصل بي ان كثيرا من اهل دمشق هيأوا العلم العربي في دورهم استعدادا لاعلانه .

وقد رفع علم دمشق يوم ٢٩ سبتمبر (ايلول) ، واطلق بعضهم الرصاص على قوافل الجيش فأوقفها ونهبها ، كما اطلق الرصاص على آخر قوة تركية مرت في اسواق دمشق ، وغادر آخر جندي تركي محطة القدم مساء ٣٠ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٨ ، بعد ان خسر الترك كثيرا من جنودهم في تلك المحطة ، وفي الطريق ، لان السكان كانوا فيها يهاجمونهم » [١] .

★ ★ ★

لقد افحش الترك ، حيثما حلوا ، فخنقوا الحريات ، ونشروا الجوع،

---

(١) من كتاب « الثورة العربية الكبرى » ج ١ . عن كتاب «جيل الفداء» لقدري قلعجي ، ص ٢٥٦ .

والخراب، والدمار، حتى تهاوت الامبراطورية التركية الجائرة، والحقودة، في عملية احتضار مجنون •

وطردوا من العراق ، والحجاز ، والاردن ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، ومصر ، والمغرب ، بعد ان كانوا جبابرة ، خضعت لهم شعوب المنطقة ، حوالي خمسة قرون •

★ ★ ★

ان العواصف الهوجاء التي تهب ، هذه الايام ، من فوهات « الراجمات » السورية ــ العربية ، على المسيحيين اللبنانيين ، في المنطقة الشرقية، انما تنذر ببداية احتضار مجنون سوف يتحكم بهذه «الراجمات» على ارض لبنان ، الذي تحطم ، على صخوره ، غزاة ، وفاتحون ، اتاهم الموت ، فكان احتضارهم جنونا ، أيضا •

★ ★ ★

لم يتمن المسيحيون اللبنانيون لـ « الراجمات » السورية ــ العربية، هكذا نهاية ، على ارضهم فخير لقوات « الردع العربية » ان تفك الحصار عن « الحدث » ، وتنسحب من كل لبنان ، قبل ان يستبد بها الاحتضار المجنون •

اما البقاء ، والخلود ، فللارض ، وللذين يسقونها من دمهم •

● العمل ٢٧ تموز ١٩٧٨ .

١٠

‹ عمق الجرح › لا ينفي المحبة [1]

ما ان نزلت « الحوادث » ــ العدد ١١٣٤ ــ صباح يوم الخميس ٧/٢٧ ــ الى الاسواق ، وفيها الحلقة الاولى من « الملف الماروني » بقلم الاستاذ سليم اللوزي ، وعنوانها « الوطن والتاريخ والكنيسة » و « كيف يجب التعامل مع الموارنة لكي لا يخسر العرب لبنان وتكسبه اسرائيل » حتى بادرت اذاعة «صوت لبنان» الى الاعلان عنه، خلال نشرتها الاخبارية الثانية ، والعامة ، من اليوم ذاته ، كما اذاعته بكامله على المستمعين •

قد يكون اهتمام اذاعة «صوت لبنان» بهذا المقال «الوطن والتاريخ والكنيسة» عنوان شكر ، وتقدير ، منها (باسم الموارنة) للاستاذ اللوزي، اذ رأت من الضروري الاعلان عنه ، واذاعته ، عبر محطتها ، تعميما للفائدة التي يحملها المقال •

وللاسباب ذاتها ، نقلت « العمل » في عددها الصادر يوم الجمعة ٧/٢٨ المقال نفسه ، بنصه الكامل ، على الصفحة الرابعة، بحرف واضح•

★ ★ ★

(١) تعليقا على الحلقة الاولى من « الملف الماروني » لسليم اللوزي في « الحوادث » .

سنوات مضت ، والموارنة يسألون المفكرين ، ورجـال الصحافة ، والاعلام ، في لبنان ، والبلاد العربية ، موقفـا شجاعـا ، وكلمة جريئـة مخلصة ، ورأيا كريمـا غير متحيـز ، كي يأنسوا به ، على الاقـل ، في « عزلتهم » ، ويطمئنوا الى وجود من يشاركهم احزانهم ، وآلامهم التي سببها لهم ، مؤخرا ، الفلسطينيون ، ثم السوريون .

ولم ييأس الموارنة بعد ...

لقد عرف الاستاذ سليم اللوزي كيف «يُعزّي» الموارنة ، ويتحدث اليهم ، بينما هم في احزانهم ، وبؤسهم ، غارقون .

فمنذ ان سقطت الدامـور (يعرف السوريون ، اكثر من سواهم ، كيف سقطت ، هذه البلدة ، وعلى يد من) والموارنة تتراكم عليهم المصائب والنكبات ، الواحدة تلو الاخرى .

الحصار الفلسطيني ـ التقدمي ـ العربي ، على المسيحيين ، في قرى الجنوب الحدوديـة ، والاذاعات العربيـة ، والصحف ، لا تتوانى عن تهديدهم ، ووصفهم بـ « العملاء » و « الخونة » .

ـ قصف ، ومحاربـة المسيحيين ، في عين الرمانة ، وفرن الشباك ، وبدارو ، والاشرفية ، والحـدث ، تنتج عنه تهجير آلاف العـائلات الى الاديرة ، وتحت الاشجار في الاحـراج ، بحجة انهم يعرقلون « الخطـة الامنية » في لبنان .

ـ سد الآذان العربية عن سماع كلمة الموارنة .

وفوق هذا كله ، شكر الموارنة بكل وعي ، وهدوء اعصاب ، الاستاذ اللوزي ، على حضوره ، واهتمامه ، وعلى كل كلمة قالها فيهم .

★ ★ ★

مَن مِن المسلمين اللبنانيين قالها ، بصوت عال « اوقفوا النزف نريد ان نعيش معاخواننا المسيحيين تحت سماء واحدة، وفوق ارض واحدة»؟!

اي شخصيـة سياسية ـ من بين الذين زحفـوا الى دمشق ـ قال للدولة السورية « لا تتورطوا في لبنان » ؟!

كما لم نسمع ، حتى الآن،بدولة عربية استنكرت ما يجري للمسيحيين، على يد « قوات الامن العربية » !

★ ★ ★

يقول الاستاذ اللوزي :

« واذكر اني قضيت ليلة كاملة امتدت الى ما بعد منتصف الليل في منزل الامير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية في شباط (فبراير) عام ١٩٧٦ ، اشرح لسموه وبعض كبار موظفي الخارجية السعودية من هم الموارنة في لبنان ؟ وماذا يشكلون فوق الخريطة السياسية لشعوب الشرق الاوسط ؟ وكيف يجب التعامل معهم لكي لا يخسر العرب لبنان ، وتكسبه اسرائيل ! » (١) .

ليس الامير سعود الفيصل وحده الذي لا يعرف من هم الموارنة .

بل زعماء العرب عامة ، وادباؤهم ، وشعراؤهم ، ومفكروهم ، لا يعرفون من هم الموارنة .

ـ جمال عبد الناصر ، غفر الله له ، قال « ان الذين رضعوا حليب فرنسا فاننا سنضربهم بيد من حديد » .

---

(١) « الحوادث » (الملف الماروني) .

— الاخ معمر القذافي قال « المسيحيون في لبنان ، ولا سيما الموارنة، امامهم حلان لا ثالث لهما :

« اما ان يعتنقوا الاسلام ، واما ان يتنازلوا عن الحكم للمسلمين ، ويخضعوا لحكم اسلامي عربي » (١) .

احمد اسكندر الاحمد ، وزير الاعلام السوري ، قال لمندوب (صوت بريطانيا) « سندمر الموارنة » ثم طلبت الحكومة السورية ، من الاذاعة البريطانية ، تعديـل هذا القـول فغدا « سندمـر ميليشيات الكتـائب والشمعونيين في لبنان » .

وقبل وزير الاعلام السوري ، كان الفلسطينيون .

قال ابو اياد « طريق حيفا والقدس تمر في كسروان » .

★ ★ ★

يجهل زعماء العرب ، وادباؤهم ، وشعراؤهم ، ومفكروهم — مثلما قلنا — تاريخ الموارنـة ، لانه ليس بين مفكري العـرب ، المسلمين ، من تطوع لطرح قضية هذه الطائفة ، بأسلوب علمي رزين ، بينما كتب العرب ابحاثا لا تحصى في امور شتى .

لقد بحثوا في تاريخ الفرس ، والفراعنة ، واليهود ، ودرسوا جميع المذاهب الدينية، والسياسية، والاجتماعية ، والاقتصادية.ما عدا المارونية، والموارنة . بينما نرى علماء موارنة لا يجدون حرجا في البحث في الاسلام والعروبة ، والقومية العربية . وعلى العكس فلهؤلاء يعود الفضل في حفظ التراث العربي ، لما قدموا من دراسات قيمة ستظل مراجع صالحة لكل باحث ، ودارس .

★ ★ ★

(١) كتابنا « اية عروبة ، اية قضية » ص ١٥٣ .

« لقد اعتقد الناصريون كما تصور الثوريون من بعدهم، فلسطينيين كانوا ام يساريين ، ان في الامكان جر الموارنـة بالعنف . وبذلك بدأت الكوارث . فالموارنة لا يمكن اجتذابهم للعرب الا اذا ايقظنا عندهم حس الرسالة التي يمكن ان يقوموا بها مع المسلمين » (١) .

نعم ! نعم !

انه بيت القصيد ، فالناصريون والثوريون يعتمدون الكثرة سلاحا، في الوقت الذي يعتمد الموارنة على النوعية ، والنوعية فقط .

★ ★ ★

لقد ظن الفلسطينيون ، وحلفاؤهم ، ان الموارنـة لن يصمدوا امام هذه الجحافل اكثر من ساعات. ولما وقعوا ، في التجربة، تكبد الفلسطينيون خسائر فادحة ليست في الارواح ، والعتـاد ، فحسب ، بل نالت الخسائر من قضيتهم ، ما نالت ، لدرجة انحطـام الامـل الذي هو الاساس ، في النضال ، من اجل قضية عادلة . فأين هو الامـل الفلسطيني بالتحرير ، اليوم ، منه ، قبل الحرب اللبنانية الفلسطينية ؟!

ومثل الفلسطينيين ، كان السوريون .

حسب السوريون ان النصر ، في لبنان هو « للراجمات » ولـ ٣٠ الف جندي نظامي ، بكامل عدتهم . ولما اقدموا على « تركيع » الكتائب، و « الوطنيون الاحرار » قوبلوا بالعنفوان اللبناني ، والصمود الشرس ، فأصابت « الراجمات » المنازل ، والابرياء ، من دون ان تصيب مقـاتلا لبنانيا واحدا .

قال اب لابنه المقاتل (...) الذي لم يبلغ السادسة عشرة :

(١) سليم اللوزي « الملف الماروني » .

« ما رأيك ان تترك الحي ، وتذهب الى الجبل ، حتى ينتهي القتال، ولك من المال ما تريد » .
أجابه المقاتل الفتى :
« لن اغادر من هنا ا لاعلى جثتي » وحمل بندقيته وخرج .
ومثله جميع المقاتلين اللبنانيين.فأنى للجندي السوري الذي ارهقته هموم الحياة ، قبل ان يكون جنديا ، ان يقاتل في الاحياء البيروتية ، ضد اولئك الذين ما زالوا في اوج عنفوانهم ، وعز فتوتهم ؟!

★ ★ ★

« ألهكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » (١) .

★ ★ ★

« سيبكي العرب لبنان كما بكوا الاندلس » (٢) .
لا اوافقك هنا ، لان الموارنة لن ينسحبوا من الحرب ، ليجلسوا في قمقم . بل سيواصلون الجهاد ، والنضال ، والتضحية ، في سبيل نشر الوعي ، عند العرب ، والثقافة ، وتلك هي مهمات آبائهم ، واجدادهم ، من قبل .

ولا راحة للموارنة الا بعدما يعي العرب ، ويهتدون ، اذ ان سر صمود الموارنة ، حتى اليوم ، والى ما شاء الله ، مرده الى انهم دعاة حضارة ، وانفتاح ، واهل بناء ، لا جماعة من «الانعزاليين» مثلما تصورهم اصحاب الافق الضيقة .

★ ★ ★

(١) قرآن كريم .
(٢) سليم اللوزي « الملف الماروني » .

سئل « ابو تمام » :
« لماذا تقول ما لا تعلم ؟ »
فقال :
« لماذا لا تعلمون ما اقول ؟ »

يبدأ وعي العرب ، عندما يبدأون قراءة تاريخ الموارنة بانفتاح ، ومحبة ، لا بتعصب ، وهذا هو الحل ، لا غيره .

فالموارنة هم اهل رسالة ، لا اهل تعصب و « عمق الجرح » لا ينفي المحبة . وخير برهان لدينا ، هو اهتمام اذاعة « صوت لبنان » و «العمل» بما كتب الاستاذ اللوزي ، امس ،في « الحوادث » .

● العمل ٢٩ تموز ١٩٧٨ .

١١

الشمس تشرق من الغرب
والقمر يسطع في وضح النهار

يستمر البحث ـ على ضوء الشمعة ـ عن « الجبهة العريضة » مع استمرار القصف ، والتهجير .

لقد برزت ، على الساحة ، نشاطات كثيرة التساؤل والعجب .

فعلى اثر الفتنة التي دبرتها سوريا ، بين «الجبهة اللبنانية» ، وزعماء موارنة الشمال ، تبدلت مقاييس ، وتغيرت مواقف ، فكـأن للشمس ان تشرق من الغرب ، وتغيب من الشرق ، وللقمر ان يلهب سماءنا في منتصف النهـار .

* * *

حلفاء الامس اصبحوا اليوم اعداء . واعداء الامس اصبحوا اليوم اصدقاء يتشاورون ، وينسقون ، ويلفـون دمشق ، وحمص ، وطرابلس (رشيد كرامي) الى زغرتا ، كي يلتقوا ، ويتعانقـوا ويجلسوا الى مائدة واحدة ، يقرأ عليها بعثيون (...) « الفاتحـة ، ويحميها ، ويرعاهـا ، عميد « شقيق » .

سماحة الامام موسى الصدر ، وفريق من علمـاء المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى زاروا اهدن، وتغدوا ، وحمدوا الله، ثم شكروه، وصلّوا، وقرأوا « الفاتحة » ، ودعوا لسوريا بدوام العزة ، والخلود .

* * *

السيد وليد جنبلاط جاء اهدن ، على رأس وفد من الحزب التقدمي الاشتراكي ، يرافقه الدكتور عبدالله سعاده ، رئيس الحزب السوري القومـي الاجتماعي ـ فرع عبدالله سعاده ـ واجرى حوارا مع الرئيس سليمان فرنجية ، انتهى بالتقاء الآراء على « ضرورة قيـام جبهة وطنيـة عريضة » لمواجهة حزبي الكتائب ، و « الاحرار » ، من جهة ، و « دعـم موقف الحكم في الخروج من المأزق العـام وفي بناء مؤسساته المركزية » من جهة اخرى .

* * *

وجاء اهدن ايضا ، وفد القيادة المركزية لـ « الجبهة القوميـة » برئاسة السيد كمال شاتيلا ، وعضويـة السادة حبيب كيروز ، وعدنان طبارة عن الحزب السوري القومي الاجتماعي ، وعبد الامير عباس عضو القيادة القطرية لمنظمة البعث : وسمير طرابلسي ، وعبد الرحمن قمبريس ، وعلي ابراهيم ، وعبد الغني عماد عن « اتحاد قوى الشعب العـامل » ، وطارق ناصر الدين عن « الاتحاد الوطني للانماء » .

بالمناسبة ، قال رئيس الوفد ، السيد كمال شاتيلا :

« زيارة الرئيس فرنجية واجب وطني لما يمثله من رمز اساسي لوحدة لبنـان ورفض للتقسيم ولنهج التعامل مع اسرائيل ، ووقفتـه الشامخة اليوم تذكرنا بمرحلة النهضة الثقافية العربيـة التي قامت كرد فعـل على

الاحتلال العثماني للبنان والارض العربية ، كما تذكرنا بالثورة الثقافية العربية القومية التي قام بها المسيحيون خصوصا الموارنة لاجل النهضة العربية في وجه الاحتلال واعلاء الشأن العربي في هذه المنطقة » .

★ ★ ★

وهكذا من وفد الى وفد . وطريق اهدن ، طرابلس ، حمص ، دمشق ، بيروت ، هي سالكة ، وآمنة ، لا مثلما كانت عليه في حرب السنتين .

لقد بدأها دولة الرئيس رشيد كرامي ، الذي يعود اليه «الفضل» ، بعد سوريا . ويقال ان طريق طرابلس ، زغرتا ، اهدن ، تغص يوميا بالسيارات التي تقل وجهاء طرابلس ، وزعماءها ، وشبابها المقاتلين ، نحو زغرتا ، وقرى المنطقة ، لزيارة الرئيس فرنجية ، وسؤال خاطره ، ولشم هواء اهدن العليل ، والارتواء من مائها العذب الصافي . فهل يزورها وفد من « المرابطون » ومتى ؟

★ ★ ★

وبما اننا لا نريد ان نحدد من هم المخطئون، تتمنى «لصيف الشمال» ان يحمل خريفا هادئا .

وانى يكون له هذا ! وبالامس ، القريب ، كان موارنة الشمال اعداء لمسلمي الشمال ــ حسبما قال الاعلام التقدمي ــ يذبحون على الهوية ، ويدعون الى التقسيم ، عندما كان الرئيس فرنجية ، بنظر اخوان العروبة هؤلاء ، طاغية ، وعميلا ، وانعزاليا ، وعدوا للقضية الفلسطينية والوحدة العربية ، مثلما هم حلفاؤه السابقون ، الكتائب و « الاحرار » .

لا اريد ان اجاهر بأنني خائف على « صيف الشمال » من عاصفة عربية هوجاء ، كالتي تهب ، اليوم ، على الاشرفية ، وبدارو ، وفرن الشباك ، وعين الرمانة ، والحدث ، وتهدد الدكوانة ، والجديدة ، وانطلياس ، وجونيه ، والجبل ، وزحله .

★ ★ ★

لماذا انا خائف هكذا ؟

لا لان صراعا « عنيفا » يدور بين الموارنة ، والموارنة ، بل لان « جبهة عريضة » ستنشأ بين احزاب ، وتجمعات ، وجبهات ، لا تلتقي ، ابدا ، الا عبر « البعث السوري » والقصف العشوائي للمناطق المسيحية .

انا خائف على مستقبل لبنان في ظل « الجبهة العريضة » التي تنشط المساعي لتحقيقها .

فالمنتسبون الى « الجبهة العريضة » ، من غير « البعثيين » لا بد ان يندموا غدا ، على ما يفعلون اليوم . اذ انهم سيفقدون مراكزهم ، وزعاماتهم ، ويهيمن حزب « البعث » على البلاد ، ليصبح التعامل عندنا، بين المواطن والنظام ، مثلما هو التعامل في سوريا . فلا حرية لرأي ، ولا كرامة لمواطن ، ولا حق لمعارضة ، مهما كانت عادلة وصائبة . وستطغى على البلاد اجواء الحرب ، غير المجدي ، فيذهب الدخل القومي الى المجهود الحربي ، وتتوقف عجلة التقدم ، ويفرغ الوطن من الكفاءات ، والامكانات ، التي حققت للبنان ، في زمن الاستقرار ، ازدهارا اثار نقمة وحقد الآخرين .



ويومئذ ، سيستيقظ لا زعماء موارنة الشمال فحسب ، بل الذين يتزاحمون ، اليوم ، على ابواب « الجبهة العريضة » ، من الرئيس رشيد كرامي ، حتى السيد وليد جنبلاط ، مرورا بالامام الصدر ، واليافي ، والدكتور عبدالله سعاده ، وغيرهم .

★ ★ ★

ليس حزب « البعث » ، غبيا ، الى درجة الابقاء على نفوذ هؤلاء ، مهما قدموا اليه ، اليوم ، من معونات ، وتضحية ، وولاء .

اسألوا رجالات سوريا كلهم ، الذين ماتوا منهم ، والذين ما زالوا على قيد الحياة .

اسألوا شكري القوتلي الديمقراطي .

اسألوا صلاح جديد ، وامين الحافظ ، واكرم الحوراني ، وصلاح البيطار ، وخالد بكداش .

اسألوا ميشال عفلق [1] .

اسألوا « الناصريين » ، والفلسطينيين ، والشيوعيين ، والمسلمين المؤمنين ، في سوريا .

اسألوا الشعب هناك .

اسألوهم عن « البعث » وحكم « البعث » ، و « الحرية » في عهد « البعث » .

اسألوا عن الصحافة ، والثقافة ، والتربية ، في سوريا « البعث » .

اسألوا لماذا يذهب الدخل القومي ، في سوريا ، هدرا على الاسلحة،

(١) قال عنه مراسل « التايمز » في عدد ٨ تموز ١٩٥٩ « انه لم يكن بالنسبة للمعجبين به بمثابة انسان ذي سلطان فحسب بل انهم يعتبرونه قديسا وقد وصف مرة بأنه « غاندي القومية العربية » ـ ورد ايضا في « الصراع على سوريا » باتريك سيل .

والجيوش ، وفرض الارهاب .

اسألوا الشعب السوري عن علاقة الحاكم بالمحكوم .

واسألوا ايضا عن علاقة الحاكم بمعاونيه .

★ ★ ★

« الجبهة العريضة » اذ تم انشاؤها ، فقل ان حربا بين « البعث » السوري ، وحلفائه الحاليين ، سوف تنشب ، ولن تكون الا اعنف من الحرب السورية ـ اللبنانية ، التي يعيشها المسيحيون اللبنانيون ، في هذه الآونة .

★ ★ ★

انا خائف .

لان الشمس تشرق من الغرب ، وتغيب من الشرق ، والقمر يسطع في وضح النهار . و « الجبهة العريضة » ستولد بين يوم وآخر ، بينما السياسيون لا يعلمون ما يفعلون .

انا خائف من تدمير ، كل لبنان .

● العمل ١٩٧٨/٨/١ .

لا للعروبة ، . لا لدولة المقهورين[1]

الصراع ، بين فئة من الناس واخرى ، هو عمل قديم ، يعود بعهده الى اول يوم في حياة الانسان ووجوده •

يومذاك ، وحتى عهد غير قصير ، كان الصراع يتخذ ، لنفسه ، طابعا معينا ، مثلما كانت اسبابه محدودة تقريبا •

ولما تكاثر الانسان وانتشر ، صار للصراع غير هويـة ، وغير لون ، وتعددت الاسباب ، فاذا دمار بعد حرب ، ووفـاق بعد مساع مخلصة ، وبناء بعد وفاق •

فلا حرب طال ، ولا دمار استمر ، ولا وفاق دام بقاؤه ، ولا بنـاء استطاع ان يصمد ، ولا عمل تخلّد ، سوى فعل الخير ، واحترام حقوق الانسان ، وتأييد حريته ، وضمانه من خطر الحروب ، وشر الفتن •

ذلك انه لا يجوز ان نعتبر العمـران ، والازدهـار الاقتصادي ، والتجارة الواسعة ، وفتح البلدان ، والجيش الكبير ، والنفوذ الخارق ،

(١) كتب تعليقا على سلسلة مقالات « من حصاد الايام » (العمل) بعنوان « دولة المقهورين اذا قامت » .

والسلطان المتمكن ، من اعمال الحضارة ، عندما لا يكون الانسان حرا ، مضمونا ، او عندما لا يسمح للانسان بأن يعيش حياة كريمة •

★ ★ ★

من هنا ، بدأ الصراع ، في لبنان ، بينه وبين العروبة •

العروبة تبغي الهيمنة ، والانتشار ، وسحق الاقليات ، كما تعتمـد حكم الاكثرية ، فترى ان الكفـاءة هي ملك الاكثرية ، وان السيطرة هي من حقهـا ، دون سواها • والعروبـة اذ تبغي ذلك ، تلجأ الى العنف ، وخنق الحرية ، والرأي• فلا مجال ، عندها، للاطلاع على مطالب الاقليات، ولو كانت عادلة ، ومحقة • وهي تأبى الاستقلال الذاتي ، وترفض التعاون المتكافيء ، وتنعت طلاب الحريـة ، والاستقلال ، بالخيانـة ، والتآمر ، والتواطؤ ، والانعزالية •

والعروبة ، باختصار ، لا تؤمن بالحوار ، بل بالقوة ، وبالقوة فقط•

لكن لبنان ، وطن الاقليات ، لا يقبل السحق ، بل يتجنب الاندماج العشوائي ، لانه يدعو الى التعاون ، والتفاهم ، والحوار •

ولبنان ، ولو كان قويا ، لا يتعدى على حدود غيره ، ولا هو يطمع بحق ضعيف قاصر ، فكيف به وهو على ما هو عليه !

★ ★ ★

خاض لبنان ، قبل العروبة ، حروبا طاحنة ، دون ان يكون للطائفية اي تأثير عليه • فليس للطامعين شفاعـة ، عنده ، ولا عـذر ، ولو كانوا

مسيحيين • فهو يريـد الاستقـلال ، والسيـادة ، من المسيحيين ، قبل المسلمين •

وهو يتقي خطر المسيحيين ، قبل خطر المسلمين • فلماذا نعتقد بأن لبنان ، المسيحي ، يرفض العروبة لانها تعتمد الاسلام ، وهو الذي رفض، من قبل ، الوصاية الفرنسية المسيحية ؟!

يعرف لبنان استقلاله بالتـام ، الناجز • ويعرفه واحدا ، متحدا ، بحدوده الطبيعية ، من الجنوب ، الى الشمال ، ومن الشرق ، الى البحر • ولا يرضى بأن ننسلخ عنه شبر واحد •

★ ★ ★

اخطأت العروبة مرتين ، خلال اقل من ستين عاما (١٩١٩ — ١٩٧٥) في لبنان •

المرة الاولى كانت في عهـد الامـير (الملك) فيصـل بن الشريف الحسين • حيث وضعت حكومتـه ، في دمشق ، مبدأ تنظيم العصابات ، واستخدامها ، في لبنـان ، ضد المسيحيين ، في مرجعيـون ، وعين ابل ، وساحل صور ، وسائر الجنوب اللبناني ، بحجة محاربة السلطة الفرنسية، ورفض السماح لها باستعمال سكة رياق — حلب الحديدية •

« وهذا المبدأ اعلنه قائد الفرقة الثالثة في حلب صراحة يوم ١٣ ابريل (نيسان) عام ١٩١٩ ، بالقول الآتي :

« لما كنـا لا نستطيع ان نعلن الحـرب رسميا على الفرنسيين يجب علينا ان نملأ البلاد بالعصابات التي تجهز عليهم تدريجا ، وسيقود ضباطنا

هذه العصابات فاذا استشهد احدهم تعيل الحكومة عائلته » (١) •

كان اشهر الذين نفـذوا المجـازر ، في المسيحيين ، بدو محمـود الفاعور •

« كما ثبت للحكومة الفرنسية ، في حزيران ١٩٢٠ ، وجود اميرالاي ويوزباشي وستة ملازمين و ٣١٧ رجلا من الجيش الشريفي بين العصابات التي كانت تعمل في ساحـة مرجعيون ، وهؤلاء اشتركوا ، بتحريض من المنطقة الشرقية ، في الاضطرابات التي امتازت بمذابح (عين ابل) وفتنة الشيعة في شهر حزيران » (٢) •

اما المرة الثانية ، فهي التي ابتدأت على يد عصابات الفلسطينيين • هذا ، اذا كنا لا نعتبر فتنة ١٩٥٨ ، من عمل العروبة ، فيما هي من مخططات « الناصريين » و « الثوريين » و « الاشتراكيين » الذين مدهم جمال عبد الناصر بالمال ، والاسلحـة ، عندما كان عبد الناصر رائد العروبة ، ورمز القومية العربية ، وعميدها ، وحامي عزتها ، ونبراس مجدها •

لكن الفتن لم تستطع ان تحقق اهدافها ، في لبنـان ، ولا العصابات ايضا استطاعت ان تنجح افعالها ، لا في عام ١٩٢٠ ، ولا في عام ١٩٥٨ •

انما سببت هذه الفتن الخراب، في لبنان، والفشل للعروبة• فالملك فيصل غـادر دمشق ، الى الحجـاز ، عبر درعا ، في ٢٨ تموز ١٩٢٠ ، الساعة

---

(١) من انذار الجنرال غورو الى الملك فيصل ، الثورة العربيـة الكبرى ج ٢ ص ١٦٧ ، مذكرات حسن الحكيم ج ١ ص ١٣ ، يوم ميسلون ص ٢٩٩، العهود المتعلقة بالوطن العربـي ص ١٩٧ ، جيـل الفـداء لقدري قلعجي ص ٣٩٢ .

(٢) المصدر نفسه .

الخامسة صباحا، مع عائلته وحاشيته، بعدما ابلغ قرار الحكومةالفرنسية.
وتمزقت امارته (مملكته) ، بينما حافظ لبنان على وحدته ، وتم اعلان
لبنان الكبير ، في حفل ضم زعماء لبنان ، وكبار رجال الطوائف اللبنانية ،
بفضل صمود موارنة لبنان .

★ ★ ★

لم يكن حظ عبد الناصر ، في دمشق ، احسن من حظ فيصل هناك.

وفشلت التجربة الناصرية، في سوريا ، وتم الانفصال، بين الدولتين،
مصر وسوريا ، فتبعه نزاع كان يحتدم ويخف ، بحكم الظروف
والمناسبات ، وبحكم الامزجة ايضا . (اتهم لبنان بأنه كان المحرض على
الانفصال ، والقضاء على الوحدة العربية !) .

فيما اتفق زعماء لبنان الذين رفعوا شعار « لا غالب ولا مغلوب »
وعاد التآخي الى الربوع اللبنانية ، وقوي نفوذ السلطة عندنا ، واستمر
التآخي بين اللبنانيين ، الى ان دخلت العصابات الفلسطينية لبنان، مدفوعة
من قبل الدول العربية عامة ، وسوريا خاصة .

ان حجة العرب ، وسوريا ، والفلسطينيين، هي تحرير الوطن المحتل،
وتوحيد الامة العربية ، وبما ان العصابات الفلسطينية لديها المال الكثير ،
والسلاح على مختلف انواعه ومصادره ، كان ما كان ، حتى برزت
المبادرة السورية .

★ ★ ★

ظن المسيحيون « المقهورون » أن المبادرة السورية ستوطد
الامن ، وترسخ وحدته ، فاستقبلها هؤلاء بمحبة ، وارتياح .

غير ان هذه المبادرة خيبت الآمال، عندما انحرفت عن خطها وهدفها.
فاذا هي تكملة للعمل الذي قامت به العصابات الفلسطينية في العامين
١٩٧٥ و ١٩٧٦ ، ولم توفق كما كان مقدرا لها .

ولما صمد المسيحيون ، في وجه « المبادرة » السورية ، مثلما في وجه
الفلسطينيين ، لجأت سوريا الى نشر الفتن ، والتفرقة ، بين المسيحيين
انفسهم .

واذ هي فعلت ذلك ، وفازت بما سعت اليه ، راحت تضرب الفئة
الرافضة ، من الموارنة ، حتى تستسلم .

لكن الموارنة الرافضين استماتوا دفاعا عن حريتهم ، واستقلالهم ،
ووحدة وطنهم .

فما كان من سوريا الا ان قابلت هذا العنفوان بالاعلان المغرض ،
والمشوه ، ناهيك عن القصف المروع ، الهمجي ، للاحياء المسيحية . كما
راحت تعلن عن تخوفها من قيام دولة مارونية : وصفتها بأنها اخطر من
اسرائيل نفسها ، اذا هي كانت .

★ ★ ★

وبما ان الموارنة الرافضين لا ينشدون غير الاستقلال ، ووحدة
البلاد ، وسيادتها ، حقا ، فلا دولة لـ « المقهورين » سوف تنشأ ، مهما
قست الظروف ، واتسعت اعمال القصف ، والقهر .

ذلك لان اللبنانيين قد تعودوا الصمود ، والرفض ، والاصرار ، من اجل الاستقلال ، والحرية ، والكرامة .

ليست دولة « المقهورين » التي تلـوح بها العروبة ، وسوريـا ، الا سحابة صيف .

غدا ، سوف تتراجع العروبة ، وسوريا ، عن الساحة اللبنانية ، مثلما تراجعت من قبل .

وسيكون النصر للموارنة « المقهورين » ، لان النصر هو للارض .

وفي القريب الآتي ، سوف يلتف اللبنانيون ـ بعد ان يعوا ـ حول بعضهم البعض ، كما ستخرج العصابات الفلسطينية ، من بلادنـا ، مثلما خرج بدو محمود الفاعور ، وجميع العصابات المأجورة التي جاءت لتنفذ، في اهلنا المذابح .

فمزيـدا من الصبر ، والصمـود ، ايها « المقهورون » وليس ذلك بصعب عليكم .

لا للعروبة في لبنان ،

لا للعصابات الفلسطينية ،

لا لدولة « المقهورين » ،

نعم للبنان ، الواحد ، المتحد .

● العمل ١٩٧٨/٨/٣ .

١٣

اخذ ما وهب سقط ما وجب !

« حدّث العاقل بما لا يليـق ، فان لاق له فلا عقل له » .

ـ الامام علي ـ

عندما نعرض الاعتداءات المتلاحقة ، من قبل مسلحين عرب ، على مراكز السفارات العراقيـة ، في لنـدن ، وباريس ، وبيروت ، يواجهنـا السؤال الآتي :

هل عروبة العراق تشكو ، اليـوم ، من خلل يستدعي « العلاج » السريع ، واي بلد ، عفوا ، اي قطر من الاقطـار العربية ليس في صحـة عروبته عيب ، ويستطيع « معالجة » قطرٍ : عروبتـه مصابة ،او مريضة ؟

وما دام الحديث عن العراق ، فهو القطـر العربي الوحيد ، وربما الاوحد ، الذي تطوع فأنشأ ، في قاعة البكر في الكلية الطبية العراقية في بغداد ، ، « محكمة الشعب العربي » التي افتتحها رئيسها الدكتور سلطان الشاوي ، يوم الاول من آب الجاري ، كما يلي :

« باسم الله وباسم الشعب العربي افتتح محاكمة المتهم محمد انور السادات حاكم مصر » .

ولما نودي على « المتهم » ثلاث مرات فلم يحضر ـ كأنهم ينتظرون منه ان يأتي ويمثل امامهم ـ تأجلت المحاكمة الى ١٩ تشرين الثاني .

لكن « محكمة الشعب العربي » الموقرة ، انتدبت المحامي الدكتور عبد الستار الجميلي ، للدفاع عنه ، بعدما اعلنت عن اربعة من الشهود الكثر ، حسبما قال الشاوي ، هم الرؤساء حافظ الاسد ، وهواري بومدين ، ومعمر القذافي ، والسيد ياسر عرفات ، والله هو خير الشاهدين .

ومما جاء في كلمة رئيس المحكمة الدكتور الشاوي « ان المحكمة تستلهم اصولها القانونية من القوانين المصرية والعربية عموما ، الا اننا نهتدي في سير محاكمتنا وفي احكامنا بالعدالة الشعبية الثورية التي تعبّر عنها الجماهير المتحررة من اثرة الانظمة ، ذلك ان التناقض بين الشعب وقوانين الانظمة هو تناقض جدلي مستمر وهو سبب تطوير القوانين وتعديلها الدائمين » .

ولما اعطيت الكلمة لمحامي الدفاع الدكتور الجميلي قال : « ارفع الى محكمتكم الموقرة ، شعورا مني بعظيم الواجب واهمية الدعوى ، طلبا لرفع الجلسة وتأجيل السير في الدعوى لاعطائي الفرصة الكافية لاتمكن من التهيؤ والتصدي للقيام بواجبي على الوجه الذي تفرضه العدالة من جهة والامانة من جهة اخرى ، وذلك انطلاقا من النصوص والاحكام الاشتراعية التي تضمن حق الدفاع المقدس ، وانطلاقا ايضا من خطورة التهم الموجهة الى المتهم الذي اترافع عنه ، خصوصا ان هذا الطلب يرفع عني الحرج من جهة ويخدم العدالة من جهة اخرى » .

هنا ، رد المدعي العام السيد محمد عبد العال موافقا على طلب محامي الدفاع قائلا :

« يجب ان تتوافر للمتهم فرصة الدفاع عن نفسه ، واطلب ان تكون مدة التأجيل كافية لتمكين الدفاع من مراجعة الملف اذ انني اذكر ان ملف قضية علي صبري كان من ١٤ الف صفحة واعطيت لقراءتها اسبوعا فقط » .

رفعت الجلسة ، ثم عاد الجميع الى اماكنهم ونهض السيد عبد العال ليعلن ان برقيات وصلت الى المحكمة مؤيدة ومتطلعة الى قرارات عادلة « بالاقتصاص من الخونة المتآمرين على الشعب العربي » . وهي من اتحاد الحقوقيين العرب ، واتحاد الفلاحين العرب ، والاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، و « اللجنة السياسية للثورة الفلسطينية » والمكتب التنفيذي لاتحاد الطلبة العرب ومن الامين العام لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين .

اخذ ما وهب سقط ما وجب !

★ ★ ★

اذاً والحالة هذه ، كيف يُعامَل العراق ، الذي تجري على ارضه ، محاكمة «عدو» العروبة ، الرئيس المصري محمد انور السادات، بالاعتداء على السفارات العراقية في الخارج ، ولماذا ؟

الم يكف حضور ممثلين عن سوريا ، ولبنان (مثّله الدكتور عبدالله سعادة ، رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي !) ومصر ، والجزائر، وليبيا ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وكافة الجبهات ، ليكون شهادة للعراق ـ بـ «صحة» عروبتها، و «سلامتها» ـ بمقدورها ان تدرأ عنهخطر المسلحين العرب ، في العواصم الاوروبية ، وغير الاوروبية ؟

اخذ ما وهب ، سقط ما وجب !



كانت القذائف الصاروخية العربية ـ السورية تخرق الجـدران ، وتقتل الابرياء في المنطقـة الشرقية من بيروت ، عندما كنت أقرأ وقائـع محاكمة « المتهم » محمد انور السادات • وعدت الى حديث للسيد صلاح خلف « ابو اياد » كان ادلى به الى الصحفيين ، في الكويت ، يوم السبت الموافق ٢٢ تموز الماضي ، بعد اجتمـاع له دام ساعتين مع الشيخ صباح الاحمد الصباح وزير الخارجية الكويتي ، والذي جاء فيه :

« ان منظمة التحرير الفلسطينية والكويت اتفقتا على الا تصبح هذه الدولة الخليجية « ساحة صراع » بين الفلسطينيين واي بلد عربي آخر »•

واما عن حادث اغتيال السيد علي ياسين ، ممثل منظمة التحرير في الكويت ، فقد افاد « ابو اياد » قائلا :

« بحثت مع الشيخ نواف الاحمـد الصباح ، وزير الداخليـة ، في نتائج التحقيقات فلم يعتقل احد حتى الآن ، في هذه القضية التي وضعت « فتح » مسؤوليتها على العراق » •

ولما فرغت من قراءة حديث « ابو اياد » قلت ان « فتح » هي التي نصبت نفسها طبيبا ، وحكيما ، بيده « شهادة صحية » يقدمها لمن يطلب من الملوك ، والرؤساء العرب •

وثمن هذه « الشهادة » غال ، يدفع على مراحل ، او كلما خطر ببال « ابو عمار » او « ابو اياد » ان يمر ، بزيـارة خاطفـة ، للذي عنـده « الشهادة » ـ الاشتراك ـ فيأكل ويشرب القهوة العربية المرة ، ويستلم المبلغ (•••) ثم يعانق مودعا ، على امل اللقاء القريب العاجل •

اخذ ما وهب ، سقط ما وجب !

★ ★ ★

لقد نمت « فتح » وترعرعت في احضان الملوك ، والرؤساء العرب ، حتى كان لها هذا الشأن الكبير ، والمركز العظيـم ، عند جميع الـدول العربية ، والعالمية •

فالسيد ياسر عرفات « ابو عمار » هو الذي طالب بمحاكمة «المتهم» محمـد انور السادات ، وهو الذي أدان ، من قبـل ، الرئيس السوري الفريق حافظ الاسد ، عندما انهى النزاع الفلسطيني ـ اللبناني •

والسيد ياسر عرفات هو الذي يقرر موقف الكويت ، ودول الخليج، من القضية اللبنانية ، وغيرها من الامور القائمة على الساحة العربية •

ولا نكون غالينا اذا ما قلنا ان « ابو عمار » هو الذي يحدد سياسة البترول العربي ، ويعين الكمية التي يجب ان تصدر عن كل دولة منتجة ، من دول النفط العربي •

و « ابو عمار » ايضا ، هو الذي يفرض سعر البرميـل ، ويذكـر الجهات التي يجب ان تتعـامل مع العـرب ، على صعيد البترول ، وغير البترول •

اذن ، ان « ابو عمار » هو ، اليوم ، ملك الملوك ، ورئيس الرؤساء• فلا عمل يتم ولا امر ينفذ ، في اي مكان من دنيا العرب ، الا بعد استشارة « ابو عمار » مهما بلغت تكاليف هذه الاستشارة ، فالرجل غال ، وعزيز ، ومهم ، وامره لا يقبـل الاعتراض ، ولا التردد • والويل ، ثم الويل ، لمن يغضبه ، او يقول له ، مرة واحدة ، « لا » •

اخذ ما وهب ، سقط ما وجب !

★ ★ ★

وحدهم اللبنانيون ـ من بين هذا الشعب الذي يزيد عدده عن ١٥٠ مليونا ـ قالوا لا للفلسطينيين في لبنان ، ونعم للقضية الفلسطينية ، فقامت الدنيا عليهم ولما تقعد .

★ ★ ★

سوريا قالت : هؤلاء الانعزاليون يجب سحقهم ، فدوى صدى الصوت في ليبيا ، والعراق ، والجزائر ، ومصر ـ عندما كان السادات بطل العبور ، ومنقذ الامة العربية ـ ورحم الله زمان اللبن .

اما العرب ، البقيات الصالحات ، فقد آثروا الصمت ، واكتفى « ابو عمار » بالمال ، والسلاح ، وغفر لهم ، اذ اعتبر صمتهم موافقة ، وتأييدا منهم للعمل الفلسطيني في لبنان .

★ ★ ★

سألت عما يجري ، عندنا : فقال جميعهم : « نحن نصر على عروبة لبنان ، واحترام الحقوق الفلسطينية فيه . كما لا نرضى بديلا عن وحدته. اما « الانعزاليون » فيجب القضاء عليهم ، وازالتهم من بيننا ، لاننا شعب عربي واحد ، ذو هدف واحد ، وتاريخ واحد ، ودين واحد، وامل واحد، ومصير واحد ، فلا مكان لغريب في صفوفنا ، ليتآمر علينا ، ويغدر بنا ، ويتعامل مع عدونا المشترك اسرائيل » .

فقلت :

اخذ ما وهب ، سقط ما وجب .

★ ★ ★

الامة العربية ، ملوكا ورؤساء ، تأتمر بأوامر السيد « ابو عمار » !

ولما خرجت سوريا ، لفترة عن المألوف ، اعتقدنا بأن هذه الامة الضالة سوف تتلخص من « غول » العرب («فتح») ورضينا بأن يكون لبنان كبش الفداء .

لكن « الغول » عاد ، وقبض على الاسد وقال له : « لن افرج عنك الا اذا عدت الى رشدك في لبنان » . فزأر الاسد وقال : « سمعا وطاعة ، يا ملك الملوك ، ويا رئيس الرؤساء » .

هنا تبسم « الغول » عن ضحكة سوداء وقال : « اذاً ، قل لراجماتك ان تدك قلاع الموارنة ، الانعزاليين ، في الاشرفية ، وعين الرمانة، وفرن الشباك ، وبدارو ! »

فقال الاسد :

« امرك مطاع ايها السيد ! »

وبدأت « الراجمات » تقصف ، حتى وصلت الى الحدث .

★ ★ ★

وعدت لاسأل ما الذي حصل ، فقيل لي :

« ان لبنان يهدد العروبة بالتشتت ، والانقسام ، فخرجنا عليه باسم العروبة ، كي نلقنه درسا لا ينساه » .

قلت : ماذا عساكم تفعلون باسرائيل ، عدوكم الاول ؟

قالوا : « لن نسمح لاسرائيل بأن تستدرجنا الى الحرب . ولسوف

نضربها ضربة قاضية ، هنا في لبنان ، اذ سنقضي على « عملائها » ... الكتائب و « الاحرار » .

قلت : اخذ ما وهب ، سقط ما وجب !

★ ★ ★

العراق مريض في عروبته .

والسادات « متهم » ، ومطلوب حضوره الى بغداد ، حيا فقط ، كي يستمع الى الحكم العربي « حكم الشعب » الذي سيصدر بحقه عن « محكمة الشعب العربي » هناك .

ولبنان ــ ساعد الله لبنان ــ تضربه الراجمات العربية ــ السورية ، لانه « يتعامل مع اسرائيل » ، فبينما يصرح السيد عبد الحليم خدام ــ نائب رئيس الوزراء ، وزير الخارجية السوري ــ للصحفيين وهو يغادر القصر الجمهوري ، في بعبدا : « نحن لا نستمد سياستنا في لبنان من احد ، لا من اميركا ، ولا غير اميركا ، ان سياستنا في لبنان ، تنبع من مصالحنا القومية في القطر الشقيق » فاذا البسمة العريضة ، على فم « ابو عمار » حدودها من الفرات الى النيل .

واما الجبهة العريضة ــ الموسعة ، المنمنمة ، المفلطحة ، فما زالت تقفز في لبنان ، من قصر الى قصر ، ومن بيت الى آخر ، ودمشق محطة الانطلاق ، والمحطة الاخيرة .

اخذ ما وهب ، سقط ما وجب .

● العمل ١٩٧٨/٨/٥ .

١٤

أمن لبنان ... متى ؟

منذ ظهور المسيحية ، في الشرق ، والامن بالنسبة لابناء هذه العقيدة ، على مختلف آرائهم وطوائفهم ، هو عصب الحياة ، وأملهم المنشود ، والمناخ المؤاتي .

★ ★ ★

بالمحبة ، بشّر السيد المسيح، عندما كان السيف رباً يُعبده وبالمحبة، دعا الى الايمان ، يوم كان يسود الجهل والطغيان . وبالمحبة أوصى ، في زمن كان فيه الظلام يلف العالم ، وكان الحق صريع الباطل . ومن يدعو الى المحبة ، ويوصي بها ، لا بد ان يطلب الامن .

★ ★ ★

ففي الامن ، يستطيع الانسان ان يمارس حريته ، ويحتفظ بحقه ، ويصون كرامته ، ويجرؤ على القول ، واعلان الرأي .

يؤكد الحوار الذي دار في نواحي صور ، بين يسوع والمرأة الكنعانية على ان الامن الذي اعطي للكنعانية كان هو الدافع ، عندها ، لان تقول ما تريد ، وتفضي بما تحس وتشعر .

لقد تصدت هذه المرأة ، التي اقلقها جنون ابنتها ، ليسوع ، كي تحمله من همومها ، ومتاعبها .

ولانه يدعو الى المحبة ، وسع صدره ، اذ جعلها تعيش حريتها ، ولو لدقائق ، حتى اطمأنت ، فازدادت ثقتها ، وعظم ايمانها ، وشفيت ابنتها ، فذهب عنها القلق ، واستقرت المرأة وابنتها في محبة الله .

« ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيدا ، واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود . ابنتي مجنونة جدا ، فلم يجبها بكلمة . فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين اصرفها لانها تصيح وراءنا . فأجاب وقال لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة.فاتت وسجدت له قائلة يا سيد اغثني . فأجاب وقال ليس حسنا ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فقالت نعم يا سيد ، والكلاب ايضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة اربابها ، حينئذ اجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم ايمانك ، ليكن ما تريدين ، فشفيت ابنتها من تلك الساعة » (١) .

عرفت القرون الاولى من عمر المسيحية ، المذابح الجماعية ، والحروب والعنف ، للحد من انتشار هذه الدعوة الحق ، التي جاءت لتحرر بني البشر من العبودية ، والاثم . ولما كان الامن مفقودا ، والحوار معدوما ، بين الملوك والقديسين ، تلامذة المسيح وخلفائه ، خرج العبيد المضللون ، على هؤلاء ، بالسيف ، وتكاثروا عليهم كي يقهروهم . لكن دعاة المحبة صمدوا بايمانهم العظيم ، وتحدوا بصدورهم جيوش الطغيان ، صابرين على الموت والعذاب . فكان الاضطهاد الذي عانت منه الكنيسة قرونا واجيالا ، جسرا عبرته المسيحية ، من الشرق الى الغرب . هذا الجسر

(١) « انجيل متى » ف ١٥ من آية ٢١ الى آية ٢٨ .

الانساني تم بناؤه فوق جماجم وصدور القديسين الشهداء الذين تعلّموا من سيدهم ، يسوع ، حب الشهادة ، على طريق الحق ، ثم علّموه ، بدورهم الى المسيحيين الذين ما زالوا يناضلون دفاعا عن الكنيسة ، وحرمتها ، وكيانها ، وحقها .

عندما تعذر على فئة من المسيحيين (الموارنة) العيش بأمان ، في سهول حمص ، لجأوا الى جبال لبنان طلبا للحرية ، وذلك بعد ضغط شديد ، ادى الى استشهاد الالوف منهم ، وتدمير اديارهم ، ومنازلهم ، وحرق مزروعاتهم وممتلكاتهم (١) .

وفي جبال لبنان اضطر الموارنة ان ينكمشوا على انفسهم ، فترة غير قصيرة ، بعد ان فقدوا الثقة بغيرهم ، مسيحيين وغير مسيحيين ، فعاشوا حياة قاسية ، لكنهم استطاعوا ـ بفضل التعاون الذي بينهم ، واخلاصهم لقضيتهم ـ ان يذللوا هذه الصعوبات التي واجهتهم في جبال لبنان الباردة والعنيدة (٢) .

ولما بدا للموارنة ان الامن اخذ يتحقق ، في هذه المنطقة عادوا وانفتحوا على الشعوب التي كانت تسكن سواحل لبنان ، فعقدوا التحالفات ، ونزلوا من الجبال المعلقة ، ونشروا ثقافتهم ، وعلومهم ، كما اقتبسوا ، عن غيرهم العلوم ، واللغات (٣) .

وبسبب التيارات الغربية التي تتقاذف الشعوب ، سكان السواحل ، تجددت الحروب ، والفتن ، بين الموارنة ، وسائر الطوائف .

منذ ذلك الحين ، والموارنة يصرون على استقلال لبنان ، وسيادته ، ووحدة ارضه .

(١) يراجع « تاريخ الموارنة » الجزء الاول للاب بطرس ضو .
(٢) « تاريخ لبنان » للدكتور فيليب حتي .
(٣) « تاريخ الازمنة » البطريرك اسطفان الدويهي ، نشر وتعليق الاباتي بطرس فهد .

ولا غرو في ذلك ، فهم يرون في الاستقلال ، والسيادة ، والوحدة الوطنية ، خير دفاع لهم عن حريتهم ، ووجودهم •

★ ★ ★

لقد دعا الموارنة الى نبذ التيارات الغربية ، والابتعاد عنها ، لما لهذه التيارات من اطماع في البلاد ، ومآرب ، اقلها الاحتلال ، والهيمنة على مقدرات البلاد ومرافقها ، فكانوا يصطدمون ، دائما ، بتمسك سكان الساحل اللبناني بالعقائد الوافدة ، والاحزاب المستوردة • وفي كل مرة، كان الموارنة يدفعون ضريبة الدم ، ولطالما استعانوا بقوات غريبة (•••) كي يحموا انفسهم من خطر الغزاة الذين يلقون، دائما التأييد، والتحالف، لدى سكان الساحل •

فالمهم ، عند الموارنة ، بل الاهم ، هو ان يبقوا للبنان ، ليبقى لهم هذا الوطن الذي وجدوا في ربوعه الامن ، والحرية ، والهناء ، والاستقرار •

ما زالت الاحداث تتكرر ، في لبنان ، لتؤدي المعنى نفسه ، وتحقق الغاية ذاتها ، ولو اختلفت الدول ، والحكومات ، الطامعة ، والمتآمرة •

لكن الشيء الثابت هو رفض الموارنة لكل تدخل اجنبي • ويقابله شيء آخر ثابت ، مثله ، وهو تحالف بقية الشعب اللبناني (وهنا لا اعني المسلمين فقط) مع اعداء الموارنة واعداء الاستقلال •

★ ★ ★

هذا ، باختصار ، هو واقعنا ، اليوم ، وتلك هي مأساتنا •

ربما سيكون هكذا واقع الاجيال الآتية ، وحال مأساتهم ، اذا بقي اللبنانيون على حالهم •

وقد يكون الامن الاول (أمن لبنان) صعب المنال ما دامت القوة التي تتعهده غير لبنانية •

نحن لم نيأس بعد ، كما ولن نيأس • فأمن لبنان يتحقق عندما يصبح اللبنانيون كافة قادرين على رفض كل غريب •

لا نرى هذا العمل سهلا ، بل هو صعب • ولكنه ليس مستحيلا •

يبدأ هذا العمل بالمحبة • فعلى الذين سيسلكون هذا الدرب ، المحبة ، ان يكونوا اقوياء بايمانهم • ذلك لان لا قوة الا بالايمان •

متى سنؤمن ، جميعنا ، بلبنان الوطن ؟

متى سنكون أقوياء ؟

لا يملك الامن غير الشعب القوي المتحد •

● العمل ١٩٧٨/٨/١٣ .

١٥

فالج .. لا تعالج

(مناقشة هادئة مع الوزير عبد الحليم خدام)

« كل ما حملت عليه الحرّ احتمله ورآه زيادة في شرفه ، الا ما حطه جزءا من حريته فانه يآباه ولا يجيب اليه » .

— الامام علي —

قال صاحبي ،

« ما رأيك ، لو تكف عن الكتابة . فقد سقطت الكلمة ، واصبح الحوار ، على ارضنا ، بين الرصاص والرصاص . فهل تظن بأن احدا ، من العرب ، يسمعك او يقرأك ؟ »

كنا نتجاذب اطراف الحديث ، ونتبادل الآراء . وقد اخذ ، منا ، حديثكم مع «الحوادث» (١) ، ورسالة سماحة المفتي الشيخ حسن خالد ، بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك ، مزيدا من الاهتمام ، والتعليق ، الى ان اتخذ صاحبي مما قرأنا ، مثلا ، فتابع يقول :

(١) كان الوزير السوري عبد الليم خدام في العاصمة كوبنهاغن ، حيث اجرى مندوبها ، (عبد الوهاب السيد) معه حديثا مطولا .

« لنفترض ا نالعرب لا يقرأون ، مثلما قال « بن غوريون » ، فهل ان السيد خدام ، والمفتي خالد ، لا يقرآن ايضا ؟ » .

وقال ايضا :

« الم يقرأ احدهما ، باعتقادك، ما كتبته منذ اول الحرب الفلسطينية — اللبنانية ، وحتى اليوم ، وما كتبه الكثيرون سواك ؟ لنقل ان العرب لم يقرأوك انت بالذات ، وهذا هو فرض فاسد — لكنهم قرأوا ، بدون ادنى ريب : سليم اللوزي في مقاله الاخير ، في « الحوادث » حول « الملف الماروني » .

وقبل ان يختم الرجل كلامه ، عاد وكرر « نصيحته » لي ، (النصيحة كانت ، في الماضي ، تباع بجمل ، او ببقرة ، او بخروف ، اما اليوم فلا احد يتقبّلها وبظهرها جمل) وقال :

« يا اخي ! دعك من عذاب القلم ، وهموم الكتابة ، وخطر الكلمة . لقد جلبت لنفسك المتاعب ، واي متاعب ، ثم الفقر ، واي فقر ، وعداوة الآخرين » .

يا اخي ، باختصار ، اقول لك « فالج ... لا تعالج » .
ثم قام ، ومشى ، وهو يردد ،
« لا تقولوا ان العرب لا يقرأون » ... بل قولوا :
« فالج ... لا تعالج » .
حاولت ان استبقيه عندي ، وتعلقت به ، لكنه رفض ، وقال :

« دعني اذهب بسلام ، قبل ان يبدأ القنص والقصف فأنت لا تبعد عن مربض للجيش السوري (راجمة ، ومدفع ، ورشاش ، وجنود ، وذخيرة) اكثر من اربعمائة متر » (١) .

(١) يقصد مربض « الطيونة » الذي يطل على شارعي بدارو وسامي الصلح ، وعلى حرج الكفوري ، حيث يقع منزلي .

رجوته ان يبقى ، فتابع سيره ، وهو يردد :

« لا اريد ان اموت ، لا اريد ان اموت هكذا ، رخيصا . فالج ... لا تعالج » .

صدق صاحبي اذ قال « ان العرب يقرأون ... » فيما كذب « بن غوريون » .

كان « بن غوريون » يبحث عن مبرر لنشر اسرار ... كان يجب ان تبقى طي الكتمان ، فقال يومئذ كلمته « ان العرب لا يقرأون » وانتشرت ، مثلما النار في الهشيم ، فصدقناه ، وصدقه العالم اجمع .

لكن العربي يقرأ يا صاحبي ، ويا بن غوريون ، ويا ايها العالم . بلى !

ان العربي يقرأ . ولكن بأذنيه ، لا بعقله . وبعينيه ، لا بقلبه .

انه يقرأ بعاطفته ... وغريزته ... لا بوعيه ، وانسانيته .

ويقرأ العربي من خلال اسم الكاتب .

اذا كان الاسم ، عنده ، مرغوبا به حفظ كتابه عن ظهر قلبه ، واقتنع ، وراح يدعو له بحماس شديد .

اما اذا كان الاسم من نوع آخر (...) ، ونعوذ بالله ، فلا بد ان يتشنج هذا القارىء ، وتتوتر اعصابه ويستفز ، وتقوم حرب ، بينه وبين الكاتب ، قد تثير الغبار عن حقد الازمنة ، المخزون ، فيتخذ لنفسه ، مرغما ، موقفا من الكاتب عدائيا، ليشهّر به كلما التقى بصديق ، او بمن يعرفه ، بمناسبة ، وغير مناسبة .

اما « فالج ... لا تعالج » فأمر سننظر فيه : وندعو الى الله ان يقي العرب كل العرب ، مرض العقل ، وازمة الضمير ، وينجيهم من شر ما خلق ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد .

لم يكد صاحبي ان يغادر المنطقة ، حتى بدأت «الراجمات» السورية ـ العربية ، ترفع « آذان » المغرب ، داعية الى « الصلاة » على المحاور التقليدية (عين الرمانة ، فرن الشباك ، بدارو ، الاشرفية) وعلى المحورين الجديدين « الحدث » و « سن الفيل » . فكان من الضرورة ان اعود الى القلم ، سر شقاء الصادقين ، لاكتب مهما كانت النتائج « انا الغريق ، وهل اخشى من البلل ! »

معالي الوزير ،

رجعت الى حديثكم ثانية ، فقررت ان اناقش بعض الامور ، الواردة فيه ، والمتعلقة بالقضية اللبنانية بعد ان صممت على ان اتجنب العاطفة ، والانفعال ـ لقد أدان البعض مؤلفاتي لانها لا تخلو من العاطفة والانفعال ـ فرأيتني ارفض الكأس والشعور بالوجع ، والخوف ، وجميع اسباب الاثارة ، ما عدا القهوة .

وتجاهلت « صلاة » « الراجمات » ، و « اناشيد الرشاشات » ، و « زقزقة » رصاص «الدمدم» ويحدوني الامل بأن الوزير العربي السيد عبد الحليم خدام ، سيقرأ ، هذه المرة ، بعقله ، وانسانيته .

وقلت ،

ان هو فعل ذلك ، ويجب ان يفعل ، نكون قد نفعنا وانتفعنا .

وفي مطلق الاحوال ، ارجو من السيد الوزير ان يوسع صدره . فنحن قرأنا حديثكم المطول (ثلاث صفحات من « الحوادث » الغراء)

بصبر ، عز مثيله ، ومحبة ، رغم ما نلقاه ، يوميا ، من جنودكم ، وآلياتكم الثقيلة ، والحديثة •

لقد تعوّدنا ، نحن اللبنانيين ، ان نقرأ ، بعقولنا ، ما لنا ، وما علينا•

استميحك عذرا ، سأطيل عليك •

ذلك ، لان الظروف صعبة ، ومعقدة ، والحاجة تدعو •

معالي الوزير ،

في معرض جوابكم على السؤال الاول قلتم :

« لبنان بلد شقيق ، وليس هناك ما يغري بأن تكون منا مطامع فيه ... ونحن نتحمل اعباء اقتصادية وعسكرية ، وهنـاك من المشاكل الكبيرة في لبنان ما يتعب ويتطلب كثيرا من التضحيات • ثم ان مساحـة لبنـان ١٠ آلاف كلم^٢ ومساحـة سوريا ١٨٥ الف كلم^٢ ولماذا تكون لنا مطامع في لبنان ؟ وما هي المغريات ؟ اننا لا نريد سوى امرا واحدا ، وهو ان يستمر لبنان دولة مستقلة وموحّدة وذات سيادة وليس لنا اي هدف آخر » •

حبذا لو كان الامر يتعلق بمساحة الاراضي ، لكانت الامور هانت ربما •

لكنه يتعلق بالانسان، ذلك الذي يسكن الاراضي• واذن ، لا هم اذا كانت الارض صغيرة •

معالي الوزير ،

ان «الجماهيرية العربية الليبية» ـمثلاـ مساحتها ١،٧٥٩٥٤٠ كلم^٢ ويسكنها ١،٦٧٧،٠٠٠ •

وجمهوريـة السودان مساحتها ٢،٥٠٥،٨١٣ كلم^٢ وعدد سكانهـا ١،٦٦٩٤،٠٠٠ •

واليمن الجنوبيـة مساحتهـا ٢٨٧،٦٨٣ كلم^٢ ، وعـدد سكانهـا ١،٤٧٠،٠٠٠ •

وسلطنةعمان مساحتها ١٥١،١٦٤ كلم^٢ ، وعدد سكانها ٦٨٢،٠٠٠ •

واتحـاد الامارات العربيـة مساحتهـا ٨٣،٦٠٠ كلم^٢ ويسكنهـا ١٨٢،٠٠٠ •

فنحن ، في لبنـان ، شأننا كشأن جميع الدول المتحضّرة والراقية ، تتطلع الى الانسان ، قبل غيره •

واذا كان للبنان ، هذا الوطن الصغير بمساحته ان يتفاخر على غيره، من البلدان ذات المساحات الواسعة الشاسعة ، فلأنه وطن الانسان الذي لا يرضى بديلا عن حريته ، والذي يرفض ان يعيش غير مستقل •

من هنا ، عرف لبنان ، « المشاكل الكبيرة » التي اشرتم اليها • لقد رفض اللبناني فوضى الفلسطينيين ، وفوضى اليسار ، وفوضى الاحزاب العميلة ، التي تأتمر بأوامر من خارج لبنان ، وقد كنتم ، في اول الامر ، حلفاءهم ، ثم افترقتم عنهم ، ثم عدتم اليهم ، مثلما سنرى •

سبع سنوات (١٩٦٩ ــ ١٩٧٦) قدمتم لهم المساعدات • وبفضل مساعدتكم لهم ، استطاع هؤلاء ان يهيمنوا على الجنوب ، والبقـاع ، والشمال ، وفي بيروت ، وكل بيروت ، مثلماً في الجبل •

ولولا « فضلكم » عليهم ، في الحرب التي خاضوها ضدنا طـوال سنتين ، لما سقطت الدامور ، ولا بيروت انقسمت الى منطقتين ، واحـدة شرقية ، واخرى غربية •

ولولاكم ايضا لما تم حصار زحلة ، في البقاع ، والمسيحيين في عكار، وزغرتا ، واهدن ، وشكا .

الم يكن، بامكانكم، ما دمتم لا تريدون سوى امن لبنان «الشقيق» واستقلاله ، ان تحدّوا من انتشار الفلسطينيين ، في جميع المناطق اللبنانية، وانتشار الاسلحة ، والمسلحين ؟

ام هكذا يتعامل « الاشقاء » ؟!

معالي الوزير ،

لن اتردد ، بل سأقولها ، صراحة ، مؤكدا على انكم المسؤولون عن «المشاكل الكبيرة» التي يرزح تحتها «شقيقكم» لبنان ، والتي تحاولون، اليوم ، حلها بمشاكل اخرى ، اكثر منها تعقيدا ، وخطرا .

لقد تعلمنا ، في التاريخ ، ان الكوارث لا تحلها الكوارث ، بل التعاون الصادق ، المجرد ، والمساعدات البريئة من كل غ ضية ، وطمع .

وعلى كلٍ ، سأكون صادقا ، معك ، اكثر .

معالي الوزير ،

حدثني احد الاصدقاء قال :

« التقيت ، ذات مساء ، بأحد الضباط السوريين العاملين في « قوات الردع العربية » عائدا من طرابلس وكنا نجتمع على كأس (هذا الكلام جرى قبل احداث الفياضية) وكانت تبدو على وجهه علامات الغضب ، والاستفزاز ، فلما سألته عن السبب اجاب :

« تقف امام كازينو لبنان في المعاملتين ، اكثر من ستماية سيارة، جاء

اصحابها الى الكازينو ، للهو ، واللعب ، والمقامرة ، والرقص ، والمجون ، فهل نحن ، السوريين ، جئنا لحماية هؤلاء ؟! » .

وهدد قائلا :

« لا بد ان نحد من هذا الانفلاش ، وسوء الخلق عندكم في لبنان» .

قال صاحبي ، « كان الشرر يتطاير من عيني هذا الضابط » .

فما هو تعليقكم يا معالي الوزير ؟

معالي الوزير ،

سألكم الاستاذ عبد الوهاب السيد ، مندوب « الحوادث » عما اذا كانت الحكومة السورية تستهدف سحق الميليشيات المسلحة التابعة « للكتائب » وشمعون ، فكان ردكم كما يلي :

« الحكومة السورية ليست طرفا مباشرا في الوضع الداخلي في لبنان ، والقوات السورية تشارك في قوات الردع العربية ، ومهمتها تثبيت الامن ، ومنع استئناف القتال . واي فريق يحاول اعادة القتال ستواجهه قوات الردع العربية ... في مرحلة سابقة ، كانت قوات الردع تصد الافراد المسلحين في الطرف الآخر وقيل يومها بأنها تضرب المسلحين لصالح المسيحيين » .

ثم ذكرتم ان الزعامات المسيحية التي « ادانت عمليات الصدام مع قوات الردع هي كثيرة » ومنهم ، مثلما قلتم ، غبطة البطريرك مكسيموس الخامس حكيم ، وغبطة البطريرك الياس الرابع ، والرئيس سليمان فرنجيه ، كذلك رينيه معوض ، والاب سمعان الدويهي ، وجبران طوق ، وقبلان عيسى الخوري، وفؤاد لحود، وجوزيف سكاف، وفؤاد الطحيني،

وعبدالله الراسي ، والياس هراوي ، وميشال معلولـي ، وفؤاد غصن ، والياس الخازن ، وسالم عبد النور ، بانهم ـ حسب رأيكم ـ اتخـذوا مواقف وطنية ، وهم من القيادات السياسية البارزة والمحترمة في لبنان ، وفي مناطقهم .

لا ادري لماذا اجزتم لنفسكم بأن تستعملوا كلمة « سحق » . بينما هي كلمة قديمة العهد ، وقديمـة الاستعمال . و « سحق » و « ابادة » و « تدمير » كلها من اعمال الدول العنصرية ، الغارقة ، في التعصب ، حتى رأسها . فهل انتم غارقون ، حقا ، في رمال « العنصرية » و « التعصب » الى هذا الحد ، الذي جعلكم تثورون ، وتهددون ، بسحق « الكتائب » و الاحرار ؟

لماذا نسيتم ان اتخاذ مثل هذه الخطوة ، ضد فئة ، في لبنان ، ولو كانوا « عصابات » سوف تسلبكم المكاسب العظيمة ، والسمعة الطيبة ، والشهرة الصارخة ، التي حققتموها ، عام ١٩٧٦ ، عندما تدخلتم في فض النزاع الفلسطيني ـ اللبناني ، الذي كان من صنعكم ، وتدبيركم ؟

اما ان تقولـوا بأنكم ضربتم الفلسطينيين ، فهذا لم يتعد العمـل المسرحي ، والا كيف ، ولماذا ، تم الاجتياح الاسرائيلي للجنوب ، وانتم قوة ضاربة في لبنان ؟

الا تعتقد ، يا معـالي الوزير ، بأن اسرائيل لا يمكنها ان تجتـاح الجنوب الا بتحريض من الفلسطينيين ، وبسبب وجودهم المكثف هناك ؟

معالي الوزير ،

اذا صح ، وثبت ان الكتائب و«الاحرار» هم عملاء لاسرائيل، فليس

« سحقهم » او « ابادتهم » اسلوبا يحقق لكم النجـاح المطلـوب ، ولهم الفشل او التراجع . الم يكن اولى بكم ان تدققوا ، وتبحثوا ، في العمق، عن الاسباب ، البعيدة منها ، والقريبـة ، التي دفعت بهؤلاء لان يكونوا « عملاء لاسرائيل ؟ » .

« ... واذا كانت التهمة على الموارنة هي انهم انطلقوا من تسجيل تجاوزات الفلسطينيين الى الاجهاز على القضيـة الفلسطينية ، فان خطأ بعض المسلحين انهم انطلقوا من تجاوزات الموارنـة في السياسة والادارة والحكم والاقتصاد والثقافـة الى وضعهم خارج دائرة العرب والعروبة ، وهنا كان الماروني العادي ضحية اكثر مما كان مذنبا » (١) .

ان سحق الكتائب و «الاحرار» هو عمل يكاد ان يكون مستحيلا.

لقد دفع المسيحيون ، من مختلف الطوائف ، في المنطقة الشرقية ، الثمن غاليا، فسقط من بينهم الابرياء، ودمرت منازلهم، واحرقت مؤسساتهم، وتعطـل اقتصادهم ، وتوقفت ، عندهم النشاطات الثقافية ، والاعمـال الادبية ، والفكرية .

لكن احدا ، لا من مقاتلي الكتائب ، ولا من مقاتلي « الاحرار » قد قتل . فهل بامكانكم ان تصرحوا عن عدد القتلى في جيشكم « العزيز » ؟

لقد توهمتم بتأييد بعض « القيادات » المسيحية لكم . لكن هذا هو امر طبيعي .

ففي كل فتنة ، مر بها لبنـان ، كان المسيحيون والموارنـة منهم ، يتعرضـون الى التفكك ، والتبعثر . ومـرده ، بنظـري ، عائـد الى

(١) سليم اللوزي « الحوادث » العدد نفسه .

التدخلات الاجنبية ، من جهة ، والطمع بالنفوذ من جهة اخرى .

هذا ، عدا الارهاب الذي يمارس ، في كل فتنة من قبل الاكثرية بحق الاقليات . مع ما للمصالح التي تعود لرجال الطوائف المسيحية ، في بلاد غير لبنان لا سيما بلادكم [1] .

وفي رأيي المتواضع ، كان موقف صاحبي الغبطة ، البطريرك مكسيموس الخامس حكيم ، والبطريرك الياس الرابع ، من الصدام السوري ـ اللبناني ، دعوة للتهدئة ، والتفاهم ، لا لتحريض فريق ضد آخر ، مثلما اعتقدتم .

اما موقف رجال السياسة المسيحيين فسببه داخلي فقط ، الامر الذي يجعلنا نؤكد على انكم ، ويا للاسف ، قد تورطتم في لبنان ، بالرغم من معرفتكم للواقع اللبناني ، ونصائحنا لكم المخلصة ، والصادقة .

لقد اثار انتشار الكتائب السريع ، في الشمال ، والبقاع ، تخوف الزعماء التقليديين ، الذين يعتمدون على العائلات ، والسياسة العشائرية المتبعة عندنا ، كما اقلقهم ، فاستغلوا وجودكم ، على ارضنا ، وزينوا لكم، ضرب الكتائب و«الاحرار» ، مثلما استغل الزعماء المسلمون، و« الحركة الوطنية » الفلسطينيين ، ضد الموارنة ... وضد الكتائب بالذات ، حسبما اكد الرئيس حافظ الاسد في خطابه التاريخي ، الذي القاه على العالم ، في ٢٠ تموز ١٩٧٦ .

وقعت سوريا في الخطأ الذي وقع فيه الفلسطينيون ، وهذا ما سيؤكده المستقبل . اما الحق فهو ، دائما ، بجانب من يطلب الاستقلال ، ويصر على طلبه مهما بلغت التكاليف ، وغلا الثمن .

(١) لقد خاف بطريرك الكاثوليك على رعيته في سوريا ومثله بطريرك الارثوذكس .

ما زال الكتائب و «الاحرار» يبرهنون عن صمود رائع ، وتمسك بالارض يبعث على التقدير والاحترام .

ولنا ان نستغرب كيف ان « البعث » السوري ، ـ الحزب الذي يدعو الى الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية ـ يسمح لنفسه بالتعاون مع فئات ما زالت تكرس العائلية ، والطائفية ، وهي بنظر « البعث » ، فئات رجعية ، ومتخلفة .

لست أدري ، هل ان الغاية ، عند « البعث » ، تبررها الواسطة ام ماذا ؟

معالي الوزير ،

سألكم ايضا ، مندوب « الحوادث » متى ينتهي دور سوريا في لبنان ؟ فكان جوابكم الآتي :

« عندما يتوقف التآمر على لبنان وعلى الامة العربية من الساحة اللبنانية ، وبالتالي عندما تستطيع الدولة اللبنانية الممثلة لجميع اللبنانيين المحافظة على وحدة لبنان ، وهزم القوة التقسيمية ، وكذلك عندما تستطيع فرض الامن ، ومنع الحرب من العودة الى لبنان . ثم ان سوريا تتمنى اليوم قبل الغد ان تتمكن الدولة اللبنانية من القيام بمسؤولياتها ، ونحن لسنا مغرمين ، وانما نتحمل الكثير من المتاعب ، وليس سرا اذا قلت ان سوريا تنفق على قواتها في لبنان نحو سبعين مليون دولار في الشهر الواحد ، بينما تتلقى من الجامعة العربية نحو ٥ ملايين دولار فقط ، وما تنفقه يشكل مبلغا كبيرا بالنسبة لدولة مثل سوريا ، ولكننا نفعل ذلك لان لا نستطيع ان نتصور عودة الحرب الاهلية القذرة الى لبنان ، وكلنا يذكرها ويذكر مئات الضحايا » .

لقد كان للكتائب و«الاحرار» ملء الثقة بسوريا ، التي «دخلت الى لبنان لوقف القتال وانهاء المجازر القذرة » بعدما سمعوا ما سمعوه من الرئيس حافظ الاسد • واعتقدوا بأن سوريا ، حقا « لا تستطيع ان تميز بين مواطن عربي وآخر على اساس اتجاهه الطائفي » وقالوا انها دعوة الى « العروبة الحضارية » فرأينا العجب ، غير انهم بقوا على معتقدهم ، الى ان حصل بالفعل ما لا ينطبق على ما قالته سوريا ـ الاسد فتزعزعت ثقة الموارنة بسوريا ، واختلفت حسابات لبنان •

قد تسألني يا معالي الوزير ، عن الموارنة الذين تزعزعت ثقتهم بكم ، لاقول كل الموارنة ، وبدون استثناء بمن فيهم القيادات السياسية « البارزة والمحترمة في لبنان ، وفي مناطقهم » رغم العلاقات « الودية » و « الحميمة » معكم التي فرضتها ظروف ، واحداث ، ومصالح •

فالماروني ، اينما كان ، هو طالب حرية ، وطالب استقلال• والماروني الذي تحقق له ، بعد حرب السنتين ، بأن الفلسطيني عدو خطر على لبنان ، وسيادة لبنان ، سيبقى على هذا الرأي ولو كان حليفا لسوريا •

لذلك ، اخشى على هذه القيادات « البارزة والمحترمة » من سوريا، لاخشى ، بالمقدار ذاته ، على سوريا ، من ثورة هؤلاء ، غدا ، او عندما تشرق الشمس والجليد يذوب •

معالي الوزير ،

اريد ان استأذن قليلا • لقد دخلت رصاصة ، من المربض التابع لقواتكم ، الغرفة المجاورة لغرفتي • اريد ان ارى ما فعلت « الزائرة الكريمة » •

معالي الوزير ،

لم تصب الرصاصة « الزائرة » احدا منا • فاكتفت بكسر زجاج النافذة ، والمرآة المعلقة في الحائط •

وبعد ،

ارجو الا تغضب اذا ما قلت ان سوريا ستخسر كثيرا ، وكثيرا ، في لبنان •

معالي الوزير ،

انا معك • ولبنان هو غير اليمن • اما انتم فمثل عبد الناصر الذي خسر اليمن ، وخسر كثيرا من معنوياته في الحرب المصرية ـ اليمنية •

معالي الوزير ،

ان اعمالكم « الامنية » في لبنان ستحدث خطرا كبيرا ، ليس على لبنان فحسب ، بل على العرب ، كل العرب • فالتقسيم ، الذي ما زال يرفضه الكتائب و « الاحرار » بكل قواهم ، سيولد دولة « للمقهورين » واخرى لليسار ، والفلسطينيين •

وبالنسبة للدولة الثانية (دولة الفلسطينيين وحلفائهم) فستكون ، لا شك ، مركزا (قاعدة) للشيوعية المتطرفة • وعلى يد هذه الدولة اذا قامت ، سيحترق نفط العرب ، ويضيع كيانهم ، واملهم •

وبين اليمنيين ، واسرائيل ، ولبنان الممزق ، ستتوافر الاسباب جميعها التي يمكنها ان تغرق العرب في ظلمة ليست مثلها ظلمات العصور الماضية •

معالي الوزير ،

ما زال سماحة المفتي الشيخ حسن خالد يراوح مكانه •

وامس ، بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك ، قال سماحته ما كان يردده قبل الحرب :

« ان الطاعة للبنان الوطن ، التي درج الناس على تسميتها بالـولاء للبنان ، لا تكون والعدل مفقود ، والامتيازات قائمة ، والتفرقة الطائفية السياسية وفي كل مجال والتي كانت اصلا من اصول كل ظلم في لبنان ، وكل انفعال وخطر داهم ، ما زال ، بالرغم من الوعود الرسمية ، تبـرز آثارها في الحقول الداخليـة والخارجية على حـد سواء ، من يسهم في زعزعة الطاعة الوطنية والولاء اللبناني بشكل لا يسر الا العدو » •

بينما الحق هو ان الولاء واجب لا علاقة له ، لا بالفقر ولا بالغنى•

اذ هو لا يتصل ، لا من قريب ، ولا من بعيد ، بالامتيازات الطائفية التي طالما سمعنا سماحته ، وغير سماحتـه ، يندددون بها ، ويدعـون الى تذليلها وازالتها •

ــ هل لسماحة المفتي، فيبلد عربي آخر، مثل سوريا، او السعودية، او العراق ، ان يقول بمثل ما يقوله سماحة المفتي عندنا ؟

ــ هل الطاعة، عندكم ، لسوريا الوطن ، لا تكون والعدل مفقود ، والامتيازات قائمة ، ام ان الطاعة لسوريا ، الوطن ، هي قبل شيء ؟

معالي الوزير ،

مما لا شك فيه ، هو ان الطاعة للوطن ، في اي بلد كان ، هي قبـل الرغيف ، وقبل النوم ، وقبل العدل ، وقبل الامتيازات ، وقبل التفرقـة

على مختلف انواعها ، الا عندنا في لبنان •

الولاء شيء ، والانتفاضات ، في سبيل الاصلاح ، وتحقيق العدالة ، وتصحيح الاوضاع ، شيء آخر • ليتهم يعرفون • لقـد سبق لكم ان اتخذتـم ، من مثل هذه الاقوال ، والتصاريح ، مآخذ ضد فريـق من اللبنانيين ، فاستدرجتم الى الحـرب ، مثلما استدرج الفلسطينيون من قبلكم •

معالي الوزير ،

الى هنا ، تنتهي رحلتي معك •

ولكن قبل ان اتركك الى عقلك وضميرك ، اريد ان انقل لك حادثة قصيرة ، جرت لرجل عظيم وخالـد ، من بلادي ، هو البطريرك الماروني اسطفان الدويهي من اهدن ، (١٦٣٠ ــ ١٧٠٤) الذي « اغنى المكتبـة العربية بتآليفه اللاهوتية والليتورجية والتاريخية ، حتى اعتبر بحق اعلم بطاركة الموارنة واحد ابرز المؤرخين العرب في العهد العثماني وابا التاريخ اللبناني واعظم المؤرخين الموارنة » [١] •

فاليكم الحادثة بتفاصيلها ، ننقلها عن الكتاب المذكور :

« وقع خلاف بين حكام الجبة من آل حمادة ولما رجع الشيخ عيسى حمادة الى حكم مقاطعة الجبة في سنة ١٧٠٣ ، شرع في جمع الاموال بالقوة من الشعب ليؤديها الى متسلم طرابلس ارسلان باشا •

وبهذه المناسبة حضر الشيخ عيسى حمادة الى دير قنوبين ، وطلب

(١) من مقدمة الاب انطوان ضو الانطوني ، لكتـاب « اصل الموارنـة » للبطريرك اسطفان الدويهي •

المال من البطريرك • فاعتذر البطريرك عن تلبية رغبتـه لان دفتر ضرائب البطريركية معروف• فغضب الشيخ المذكور وهدد البطريرك بالقتل ولطمه لطمة قوية كادت توقعه ارضا لو لم يستند الى الحائط ووقعت الطابيـة عن رأس البطريرك •

وعلم الناس بالحادثة ، وراح البطريرك يهدىء روعهم ، وقام يكتب الى الشيخ حصن الخازن راويا له ما حدث • فما ان تسلم الشيخ الخازن الرسالة حتى طرح الصوت على اهالي كسروان ، فجهز جيشا بقيادة اخيه الشيخ ضرغام الخازن ، الذي صار فيما بعد بطريركا ، وامره بالتوجه الى قنوبين فورا للدفاع عن البطريرك واحضاره الى كسروان •

وما ان علم الشيخ عيسى حمادة بقـدوم الجيش من كسروان الى قنوبين حتى راح يطلب المغفرة من البطريرك ويترجـاه بأن لا يذهب الى كسروان لئلا تتطور القضية وتتدخـل القناصل والحكام ضد الحماديـة واكثر من ذلك وعده بألا يطالبه بعد الآن بأموال مستحقة او غير مستحقة فأبى الشيخ ضرغام ان يرجع الى كسروان الا ومعه البطريرك الشيخ •

ونزل البطريرك عند رغبة الشعب وترك قنوبين متجها الى كسروان فما ان وصل الى غزير حتى هب المشايخ والشعب لاستقباله وطلبوا اليه ان لا يبرح بعد الآن كسروان • فشكرهم البطريرك على حسن استقبالهم وصعد الى دير مار شليطا •

وبدأت المفاوضات بشأن الحادث وتعديات الحكام على البطريركية• وبعد اخذ ورد اعتذر المسؤولون عما حدث وكتبـوا الى البطريرك كل بدوره مطالبينه بالعودة الى كرسيه في قنوبين •

فوالي طرابلس كتب الى الدويهي على يد الخواجه طربيه الماروني ،

ترجمان ملك فرنسا يقول : « انه بلغنا ما صار عليك من هالمتلاعب عيسى، سود الله وجهه ، فالهشي ليس يرضي فيه حضرة افندينا المحترم ، حفظه الله تعالى ، ولكن سعادته مزاجه كان مشوشا ، فما اعلمناه حتى لا ينزعج خاطره الشريف • فلزم اننا حررنا مكتوبا للمير بشير نخبره بهذه الامـور الردية • وحررنا ايضا مكتوبـا الى اسماعيل (حمادة) وطلعنا في شله ، وما خلينا عليهم مغطى ، انشاء الله تعالى بيلاقوا فعلهم وبشاهدوا الندامة، فالمراد تطيبوا خاطركم ولا يجي في بالكم الا كل خير• نحن هذه ما نسكت عنها قطعا » (١) •

وكتب الامير بشير شهاب الاول رسالة الىالبطريرك بهذا الخصوص جاء فيها ،

« الى حضرة اعز الاصدقاء والمحبين البطريرك اسطفان المكرم حفظه الله تعالى •

اولا مزيد الاشواق الى رؤياكم في خير وعافيـة • وبعده بلغنا ان الشيخ عيسى نزل لعندكم ، وصار منه تنكيد في حقكم • واخذ منكـم دراهم بغير وجه حـق • ونحن هذا الشيء ما منرضى فيه ، خصوصا في حقكم • ونحن ارسلنا الى الشيخ عيسى مكتوبا نعرفه خاطرنا بالكليـة وتتلاوم عليه على هالفعلة التي صدرت منه في حقكم • المراد انكم تكونوا طيبين الخاطر من سائر الوجـوه ، وتضلوا في مواضعكم ، ولا تقدمـوا قدامكم الا كل مليح • ان شاء الله ما بقي عليكم اضامة لانكم محبوب ، وعلى كيسنا لا يخطـر في بالكم الا كل خـير ولا تقطعـوا اخباركم عنا والدعاء » (٢) •

---

(١) موقعة من الحاج اسلام كتخوا .

(٢) موقعة من بشير شهاب .

وكتب آل حمادة وثيقة على نفسهم بأن لا يتعرضوا للبطريرك فيما بعد ، لا بشؤون الضرائب ولا بغيرها من الشؤون . وهذه الوثيقة محفوظة في البطريركية المارونية ، وقد جاء فيها ما يلي :

« وجه تحرير الاحرف هو انه اجتمعنا نحن وحضرة اخواننا المشايخ الخوارنه ، وتكلمنا معهم بسبب رجوع حضرة محبنا البطريرك الى ديره. وطلبوا منا هذه الشرطية بيدهم بخطنا وختومنا بأن الخرج المعتاد ماية وثلاثة واربعين قرش بكل سنة ، ما نكلف الدير درهم الفرد ولا ذخيرة ، ولا احد من ناسنا وجماعتنا بنازعوه ولا لهم عنده شغل . ويكون مكروم معزوز ورزقه ورهبانه واجراته لهم عندنا الناموس والحماية والرعاية بسواب ناسنا وربعنا . وحررنا هذه الدقيقة بيننا لاجل البيان والاقامة على هذا الشرط » (1) .

وهكذا عاد السيد البطريرك اسطفان الدويهي الى قنوبين من كسروان ، في السادس والعشرين من نيسان ١٧٠٤ .

وفي قنوبين توفي البطريرك الخالد اسطفان الدويهي، وذلك في سَحَر السبت في الثالث من ايار سنة ١٧٠٤ ، فأقيم له مأتم حافل ودفن في مقبرة القديسة مارينا حيث مدفن البطاركة في قنوبين » .

معالي الوزير ،

هل نكون اليوم احسن من اهل ذلك العصر ، او مثلهم على الاقل ؟

---

(1) التواقيع : عيسى حمادة واسماعيل حمادة تحريرا في شهر شوال سنة ١١١٥هـ – ١٧٠٣م.

وان كنا لا نستطيع ، فالحق سيكون مع صاحبي الذي ما زال يردد: « فالج ... لا تعالج . فالج ... لا تعالج » .

● صوت الاحرار ١٤ و ١٥ و١٦/٨/١٩٧٨ .

١٦

نحن ... وكامب ديفيد

« ان هذه القلوب تحل كما تحل
الابدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة»
ـ الامام علي ـ

دعا الرئيس الاميركي السيد جيمي كارتر الى لقاء في منتجعه الصيفي (كامب ديفيد) يضم المتصارِعَيْن، المصري (السيد محمد انور السادات) والاسرائيلي (السيد مناحيم بيغن) على ان يكون هذا اللقاء المنتظر آخر « فرصة » للسلام ، في الشرق الاوسط ، حيث سيقول كل من السادات ، وبيغن ، كلمته الاخيرة ، ليعلن «الحَكَم العالمي» ـ الشريك هذه المرة ـ الرئيس كارتر ، النتائج النهائية ، وملاحظاته .

★ ★ ★

ومن (كامب ديفيد) سيتحرك احد « القطارين » . فاما رحلة نحو السلام ، وتلك بدايتها عناق حـار بين السادات وبيغن ، يضمهما الشيخ كارتر الى صدره الواسع ، وينحني فوقهما كالام الحنون، وعلى فمه بسمة عريضة ـ عفو الجبهـة العريضة ، عندنا ، فلا اريد ان احرك المشاعر ـ

وعندئذ يفتح « شباك التذاكر » وينادي على « المشتركين » (كل باسمه) ليأخـذ مكانه في « القطار » الكبير ، الذي سيخرق ـ باسم الوفـاق ، والسلام ، والاتفاق ـ الحواجز القائمة منذ ثلاثين عاما .

واما رحلة نحو المـوت ، عبر حرب تفوق ما سبقتها من حـروب ، وصراعات ، لا يعرف نتائجها الا من يكتب له العمر ، منا . هذا ، اذا بقي ذوو الاعمـار الطويلة (...) على وعيهـم ، او بقيت لهم عقولهـم ، واعصابهم ، ولم يشوهوا .

★ ★ ★

والى يوم (كامب ديفيد) ستشهد المنطقة العربية غليانا ـ في النفوس ـ شديدا ، وتلاسنا ـ عبر الاذاعات والصحف ووسائـل الاعلام كافة ـ عربيا ، وهيجانا ، تتهـاوى ، على أثره ، رؤوس « اينعت فحان قطافها » وتتساقط الضحايا ، من الشيوخ ، والنساء ، والاطفال ، وستعيش هذه المنطقة ، حتى يوم اللقاء ، رعبا قل نظيره ، وقلقا ، وتمزقا ، فالابرياء ، دائما ، هم الخاسرون .

وكما الحرب ، كما السلام .

ان الطريق الى (كامب ديفيد) مملوء بالاشواك ، والاخطار ، وعلى جنباته زرعت الغام .

فهل يمشي النجمان ، السادات ، وبيغـن ، بتـؤدة ، وحـذر ، ام سيتأبط احدهما التوراة (العهد القديم) ، والآخر القرآن ؟.

★ ★ ★

اذا كان الحوار ، في (كامب ديفيد) سيتم بين التوراة ، والقرآن ،

فلن يكون للرئيس كارتر ادنى حظ بذلك ، بل سيقف حائرا بين كتابين كريمين ، منزلين ، لا يمكنه ان يغير حرفا واحدا او يحذف حرفا واحدا ، فما جاء في الاول (التوراة) هو من عند الله ، سيقول بيغن ، ومن يمثل من اليهود •

وكذلك ما جاء في الثاني (القرآن) سيقول السادات ، ومن يمثل من المسلمين ، العرب خاصة •

فبين التوراة ، والقرآن ، لن يستطيع كارتر ان يجلس ، ليوفق بينهما ، مهما حسنت نواياه ، ورق قلبه لشعوب الشرق الاوسط ودفع الطائل من المال •

القرآن هو القرآن •

والتوراة هي التوراة •

وقد تسقط السماء على الارض ، قبل ان تسقط كلمة واحدة من القرآن ، او التوراة •

وهنا ، سينطلق « قطار » الحرب ، ليتوقف « قطار » السلام •

★ ★ ★

واذا كان الحوار ، في (كامب ديفيد) سيدور بين العروبة ، والصهيونية ، فان الرئيس كارتر سيصاب بالصمم ، ان حاول ان يسمع ، لان العروبة هي التزام بالقرآن ، والاسلام ، والصهيونية التزام بالتوراة ، واليهودية •

واللقاء بين العروبة ، والصهيونية ، هو اللقاء بين القرآن ، والتوراة ، ولو على طاولة كريمة مثل طاولة الشيخ الاميركي جيمي كارتر •

وهنا ، ايضا ، ستكون الغلبة « لقطار » الحرب •

★ ★ ★

لكن اذا اجتمع بيغن ، الانسان ، الى السادات ، الانسان ، وبرعاية كارتر ، الانسان ، وتباحثوا ، جميعهم ، في موضوع انقاذ الانسان ، في الشرقين ، الاوسط والادنى ، بمعزل عما جاء في التوراة ، او القرآن ، وبعيدا عن شروط العروبة ، وشروط الصهيونية ، فلا بد ان ينتصر (كامب ديفيد) لينتصر انساننا المعذب ، وتبدأ رحلة السلام ، ورحلة الانسان •

فأين نحن ، اللبنانيين ، من (كامب ديفيد) ؟•

★ ★ ★

في لبنان ، انسان يتعذب ، ويشقى •

يصلي للوفاق ، ويدعو للسلام ، فيُقصف بصواريخ « الراجمات » ويتهم بالعمالة ، والخيانة ، والتواطؤ ، والانعزالية •

هذا الانسان يبحث عن حل !

★ ★ ★

قبل حرب ١٩٧٥ ، خاطب لبنان الفلسطينيين ، والعرب ، بأصدق الكلمات ، ودعاهم الى نبذ العصبية ، ونصحهم بالالتفاف حول بعضهم البعض ، فاستغربوا قوله ، وحكموا عليه بالموت ، او الاستسلام •

ولما أصر على قوله ، وموقفه ، تنادوا الى الحرب ضده ، فاشتعلت النار في سهوله ، وجباله ، ومدنه ، وبرزت العروبة ، على ساحته ، بتناقضاتها ، تريد رأسه ، كأنه رأس الافعى •

والافعى تقتل ، طبعا ، من رأسها لا من ذنبها •
فماذا جنت العروبة من حربها ضد لبنان ؟
وماذا استفاد لبنان من اخلاصه للعرب ، والفلسطينيين ؟

★ ★ ★

خسرت العروبة الحرب في لبنان ، كما خسرها الفلسطينيون الذين خسروا الرهان •

وخسر لبنان من اقتصاده ، وشبابه ، وفقد أمنه • لكنه لم يخسر انسانيته ، اذ ربح الرهان •

★ ★ ★

ان لبنان ، الانسان ، الذي يسأل ، اليوم ، الشام ، واللاذقية عن أمنه ، هو كل الانسان في الشرق الاوسط ، وكل الحق •

ولبنان ، الانسان ، الذي يدفع من ماله ، ودمه ، كلما تصارع الفلسطينيون ، والفلسطينيون ، او اختلف العرب ، والعرب ، او العرب ، واسرائيل ، هو الانسان في مصر ، وسوريا ، والعراق ، والسعودية ، واسرائيل ، وكل مكان •

وهو ايضا ، الانسان ، في روسيا ، كل روسيا ، وفي اميركا ، كل اميركا ، وفي (كامب ديفيد) بالذات • فاذا انتصر الانسان ، في (كامب ديفيد) انتصر لبنان ، وانتصر معه الانسان في الشرق الاوسط ، ذلك الانسان المعذب •

★ ★ ★

يا كل انسان ، في الشرق ، او في الغرب ، صل مع لبنان الانسان ، من اجل السلام ، والحق والعدل •

صل ، معنا ، فنحن ، هنا نصلي تحت القصف ، وفوق النار •

● العمل ١٥ آب ١٩٧٨ .

١٧

خطاب على باب كامب ديفيد

عندما تسوء ظروف المرء ، يقل اصدقاؤه ، ويكثر اعداؤه ، والمستبدون به ، ويحيطه الفقر من كل جانب •

واذ يصبح المرء فقيرا ، تغدو حياته جافة ، لا رونق فيها ولا جمال•

ومن كان على شيء من اليسر ، ويدرك ، من خلال غيره ، خطر التجربة ، وشر ما يُدبَّرُ له ، لا بد ان يرفض الدخول في التجربة •

فاذا هم شدوا تصلب • واذا عنفوا كان اعنف • واذا ضربوا اتقى وضرب • واذا حاصروه استأسد ، وابدع • واذا استمروا في مضايقته ، رأى في الموت شرفا ، وفخرا ، وانتصارا ، وفي الاستسلام ، هزيمة ، وذلا ، وعارا •

★ ★ ★

لقد دخل الاسكندر الكبير الى صور ، بعد ان اصبحت ركاما ، وخرابا • فلم يشعر بأنه هو المنتصر • بل تأكد له ان صور هي المنتصرة فعلا ، وانه هو المنهزم • فانسحب تحت وطأة الخيبة ، والشعور بالذنب ، اذ لا يستقر مجد ، ولا نفوذ ، على جماجم شعب ضرب المثل بالصمود ، والتضحية ، والتعلق بالحرية •

★ ★ ★

سمع تنس (ملك صيدا) بأن ارتحششتا (ملك الفرس) قادم على رأس جيش كبير ، بعدده وعدته ، فتملكه الخوف ، وحاول ان يسلّم المدينة للفرس رشوة لكي يسلم رأسه • ولكن اهالي صيدا صمموا على الموت اباة احرارا ، لا سيما بعد ان علموا بأن ارتحششتا قتل ٥٠٠ وجيه من وجهاء مدينتهم الذين كانوا قد خرجوا لملاقاته وبأيديهم اغصان الزيتون •

ولما يئس اهالي صيدا ، الاحرار ، احرقوا جميع مراكبهم في الميناء لئلا يهرب احد المواطنين بحرا ، ودخلوا بيوتهم واقفلوا ابوابهم ، واستسلموا للموت حرقا • ويقال ان اكثر من ٤٠ الف نسمة قضوا في هذا الحريق الهائل •

واتفق المؤرخون على ان ارتحششتا قد امر بمراقبة رماد الموتى ، حتى عثر على الكثير من الذهب ، والفضة ، فباعها بالمزاد •

اما الذين نجوا من اهل صيدا ، فقد قبض عليهم ، واخذوا سبيا الى بابل •

وهكذا اصبحت صيدا كومة رماد سنة (٣٥٠ ق•م•) بعد ان كانت سيدة البحر المتوسط (١) •

★ ★ ★

وبعد ؟

حقق لبنان ، منذ استقلاله (١٩٤٣) والى أول عام ١٩٧٥ ، ازدهارا اثار اهتمام العالم •

وفي هذه الفترة القصيرة ، استطاعت بيروت ، العاصمة ، ان تستقطب رؤوس الاموال ، العربية ، وغير العربية ، لما لهذه المدينة من مميزات ،

(١) « تاريخ لبنان » ، الدكتور فيليب حتي •

قلما نجدها في مكان آخر ، اهمها الأمن الذي كان يسود لبنان ، من اقصاه الى اقصاه ، والانفتاح الذي يتفرد به اللبناني عن سواه من ابناء الجوار •

غير ان الخلاف ، في وجهات النظر ، بين المسؤولين اللبنانيين ، اخذ يتزايد ، ويتعمق ، حتى شمل الشارع اللبناني ، الشعب ، فغدا اللبنانيون في فوضى من امرهم ، وضياع • وتضاربت آراؤهم حول لبنان ، وسيادته ، فحصل فراغ هائل بين المسؤولين والشعب ، جعل التيارات الفكرية تدخله ، من كل مكان ، كما شجع على انتشار العقائد ، والاحزاب الاجنبية •

★ ★ ★

في ظل النزاع بين المسؤولين اللبنانيين ، الذي تمثل ، بشكل اوسع ، في الصراع الدائر في الشارع اللبناني ، استطاع الفلسطينيون ان يتخذوا لانفسهم مكانا في هذا الصراع ، ويستدرجوا الى جانبهم فريقا من اللبنانيين ، الشارع ، وفريقا من اللبنانيين ، المسؤولين ، بعد ان اصبح لدى الفلسطينيين المال الطائل ، والسلاح الكثيف •

★ ★ ★

ان الشيء الذي يلفت النظر ، ويؤسف له ، حقا ، هو ان يهدم المرء بنفسه ، ما كان قد سعى جهده الى توفيره • وقد بات من المؤكد ان ما توصل اليه اللبنانيون ، خلال ثلاثين عاما من عمر استقلالهم ، انما كان عملا عظيما يفرض الاستمرار والمثابرة ، كما يتطلب المحافظة على روحيته ، وعلى الاعجاب الذي اثاره ، لا اغتياله ، وحرقه ، على مذابح الانانيات ، والاهواء ، والميول الشخصية ، والاطماع •

فهل نكون قد افترينا ، حسبما يزعم البعض ، اذا نحن قلنا ان الفلسطينيين قد اتخذوا من احقادنا ، وتباعدنا عن بعضنا البعض ، اسبابا

جعلتهم يستخفون بكياننا ، ويستضعفوننا ، ويطمعون باحتـلال بلادنا ، والانقلاب على نظامنا !

★ ★ ★

ان من يحاول ان يبرىء ساحة الفلسطينيين ، يكون قد حاول تبرئة ساحته • وهذا شيء لن نسمح به ابدا ، كما ولن ينفع الدفاع عن الفلسطينيين ، ما دام اكثر اللبنانيين ، قادة وشعبا ، هم اعداء لبنان ، وقاتليه •

بعد حرب دامت سنتين ، تنازل الفلسطينيون ـ عملا بشروط « العقد » ـ عن بيروت ، والبقاع ، وعكار ، والجبل ، والشوف ، وصيدا ، وجزين ، لسوريا ، بينما ابقوا لهم قسما من الجنوب ، يمتد بين صور والزهراني •

ولما قوي نفوذ سوريا ، عندنا ، كثر حلفاؤها ، وجاءها « التأييد » ـ بعد الاستنكار الشديد ـ من كل الاقطاب ، ما عدا الكتائب و « الاحرار » •

وما ان قالوا باستقلال لبنان ، وحماية الشرعية اللبنانية ، والنظام اللبناني الديمقراطي ، حتى اشتعلت النار في بيوت المسيحيين ، في المنطقة الشرقية ، فشهدت الاشرفية ، وبدارو ، وفرن الشباك ، وعين الرمانة ، والحدث ، هجوما بالصواريخ ، و « الراجمات » سبب لابناء هذه المنطقة ، من بيروت، خسائر، بالارواح، والاموال، فادحة •وكان ذلك ردا على ما اعلنته الكتائب و « الاحرار » •

لقد سبقت اعمال القصف ، على الاحياء المسيحية ،مجازر، ومذابح بالعشرات ، في معظم المناطق اللبنانية • وغاية سوريا ، كما تقول اذاعتها ،

وصحفها ، هي توطيد « الامن » في البلاد ، والحفاظ على « وحدة » لبنان ، وعروبته •

★ ★ ★

اذا كنتم ستسألون عن النتائج التي حققها القصف السوري ، والتي انتهت اليها المجازر والمذابح ، فهي لا شك ، مزيد من الرعب ، والقلق ، يؤكده التهجير الذي شهدته المنطقة خلال شهري تموز وآب ، ومزيد من التقسيم ، الذي ترسخ في النفوس ، واصبح المسيحي ، اليوم ، لا يأمن للمسلم ، والمسلم لا يأمن للمسيحي •

وفي كل يوم ، يسقط اكثر من ضحية من الطرفين • وبكل أسف ، نلفت الى حادثة البناية في شارع الفاكهاني، في بيروت الغربية، التي ذهب ضحيتها اكثر من مائة قتيل (١) •

اليس غريبا ان تتحول الاحياء، في العاصمة، والمدن، الى مستودعات للاسلحة ، والذخيرة ؟!

وماذا بالنسبة لعروبة لبنان ؟

انها قد افلست ، ولكن على مرحلتين •

المرحلة الاولى ، كانت على يد الفلسطينيين ، وحلفائهم • والمرحلة الثانية ، كانت على يد السوريين ، الذين يحسبون انفسهم حماة العروبة، ودعاتها ، وحصنها الحصين •

وتم ، في المرة الثانية ، القضاء على العروبة ، في لبنان ، حتى بدا ما فعله السوريون هو ذاته الذي عجز عن تحقيقه الفلسطينيون •

★ ★ ★

الى هنا ، وصلنا بلبنان •

(١) تم نسف بناية ضخمة في شارع الفاكهاني كان طابقها السفلي مستودعا للاسلحة ، وفي بعض طبقاتها العليا مكاتب لمنظمتين فلسطينيتين •

والتهمة موجهة الى الدول الكبرى ، ثم الى العالم • فلماذا يسود العالم هذا الصمت الرهيب ؟

واذ نحن ، في لبنان ، على هذه الحال ، ننتظر ، بفارغ الصبر ، يوم (كامب ديفيد) •

★ ★ ★

ان كل ما نرجوه من سادة (كامب ديفيد) هو ان يعلموا بأن المسيحيين ، في المنطقة الشرقية ، من بيروت ، هم صامدون واباة واحرار • وفي ساعة قنوط ، ويأس ، قد يفعل هؤلاء ما فعله اهالي صيدا احتجاجا على ما فعله ارتحشَشتا الفارسي [1] •

فأي عار سوف يلطخ جبين الامم المتحدة ، وارتحشَشتا يبعد ، عنا ، اكثر من الفي سنة •

لقد جاء في سفر الحكمة « ان الحكمة لا تلج النفس الساعية بالمكر ولا تحل في الجسد المسترق للخطيئة » •

---

(١) ارتحشَشتا (ARTAXERXE.S) اسم ثلاثة من ملوك فارس الاخمينيين :

١ ـ الملقب بالطويل اليد (٤٦٥ ـ ٤٢٤ ق.م.) عقد مع اليونان « صلح قيمون » لوضع الحدود بين الدولتين .

٢ ـ الملقب بالحسن الذاكرة (٤٠٤ ـ ٣٥٨ ق.م.) هو الذي اجتاح صيدا . حفل عهده بالمؤامرات . حاول اخوه قورش خلعه بمساعدة المرتزقة من اليونان فلم ينجح رغم انتصاره في كونكسا .

٣ ـ (٣٥٨ ـ ٣٣٨ ق.م.) غزا مصر بمساعدة الاغريق . مات مسموما .

● العمل ١٧ آب ١٩٧٨ .

١٨

رسالة الى جريدة البعث الدمشقية

الامن النسبي ، او الجمود العسكري ، الذي نشهده ، اليوم ، في بيروت ، يمكنه ان يجعلك تنام ، في الليل ، وتذهب ، في النهار ، لزيارة بعض الاصدقاء • لكنه لا يسمح لك ، ابدا ، بأن تطيل زيارتك الى ما بعد الظهر •

ان الذي يخرج من منزله، في المنطقة الشرقية، لا يثق بأنه سيعود اليه سالما ، ولا يدري ماذا سيحل به •

على أثر القصف السوري للمنطقة الشرقية ، هربت عائلات لبنانية ، الى الاحراج ، والاديار ، والمدارس • وفي الفترات التي كان يتخللها وقف اطلاق النار ، كان الرجال يغامرون ، تحت رصاص القنص ، ليتفقدوا منازلهم •

فالذي يقع بيته ، على خط التماس ، او حيث يوجد مربض لقوات « الردع » العربية ، لا بد ان يجده فارغا من كل شيء ، وعلى جدرانه آثار النار ، والصواريخ ، والرصاص •

وحال هؤلاء سكان « الحدود » ، تشبه ، تقريبا ، حال ابناء الدامور •

اذكر انني مررت بالدامور، بعد ان سقطت بيد العرب والفلسطينيين، وكنت ، يومها هاربا من الجنوب ، فرأيت ابناء « القبائل » العربية ينهبون المنازل ، والمحلات ، وقد غصت شوارع البلدة الشهيدة وساحاتها ، بالسيارات ، والشاحنات ، التي كان « الرجال السمر » ، والنساء الفلسطينيات ، والغلمان ، يحمّلونها بالمفروشات ، والاجهزة الكهربائية ، والابواب ، الخشبية ، والحديدية ، وبالشبابيك ، التي اقتلعها «الابطال» وشاهدت بعضهم ينقل ، بالسيارات ، المغاطس ، والمغاسل (البورسلين)، والبلاط ، التي كانت في بيوت الداموريين ، بينما اكداس الموز الاخضر ، والبرتقال ، مثلما الجبال .

لقد ضاعت رائحة الدم ، والموت ، في الدخان الكثيف المتصاعد . وظهر على وجوه الفلسطينيين ، الذين نفذوا « عملية » احتلال الدامور ، الفرح ، والاعتزاز بـ « النصر » كما لو كانوا قد دخلوا حيفا ، او عكا .

★ ★ ★

لم ينس الغزاة العرب ان يكتبوا « من هنا مرت المقاومة » و « من هنا مر البعث » ، و « من هنا مرت الاشتراكية » ، و « من هنا مرت الثورة » ثم « الصاعقة » و « فتح » و « الحزب التقدمي الاشتراكي » و « العمل الشيوعي » و « الجبهة الديموقراطية الشعبية » و « الجبهة العربية لتحرير فلسطين » وكتبوا ايضا ، « عاش كمال جنبلاط » و «الموت للعملاء ، الكتائب ، والشمعونيين » و « من قال ان معروف سعد سيذهب رخيصا ؟ » .

اما عن قصر الرئيس الاسبق كميل نمر شمعون ، في السعديات ، فحدث ولا حرج . كان الدخان يتصاعد من النوافذ ، والمسلحون الفلسطينيون ، و « التقدميون » يقفون ، عند مدخله المطل على الطريق

العام ، بالعشرات ، عندما كانت تنتظر الشاحنات المعدة لنقل محتويات القصر .

★ ★ ★

ان المنازل الفخمة ، والانيقة ، التي تقع على حدود بدارو ـ سامي الصلح ، وفي « حرم » برج رزق ـ الاشرفية ـ وفي ساحة « غاليري سمعان » قد نهبت ، واحتلتها « قوات الردع العربية » . وكذلك في منطقتي سن الفيل ، وجسر الباشا .

هذه المنازل صرف اصحابها اعمارهم ، كي يفرشوها بالسجاد ، والتحف ، والموبيليا ، والثريات ، فتحولت ، اليوم ، الى مراكز للجيش السوري ـ العربي ، اذ انك ترى اكياس الرمل ، من الشبابيك ، وعلى الشرفات ، بعد ان كانت تزينها ستائر المخمل ، والتركال ، وتحيطها احواض الورد .

ترى هل نسي « حماة » الامن اللبناني ان يكتبوا « من هنا مر البعث » و « من هنا مرت الاشتراكية العربية » و « من هنا مرت الشرعية اللبنانية ـ السورية » ام كتبوا « عاش الجيش السوري الباسل » و « عاش الرئيس حافظ الاسد » و « تحيا سوريا قلب العروبة النابض » و « لبنان جزء لا يتجزأ من سوريا الكبرى » ام اكتفوا بما يلي ، « الموت للموارنة » و « لن نسمح لعملاء اسرائيل بتقسيم لبنان » .

على كل حال ، سيأتي يوم نقرأ فيه ما كتبوا ، وما سيكتبون .

★ ★ ★

رفضت « قوات الردع العربية » تقسيم لبنان ، حسبما تعلن سوريا، كل يوم ، من اذاعتها ، في الشام ، وعلى صفحات جرائدها ، لكنها جعلت من احياء بيروت الشرقية ساحات للقتال ، وهدفا للراجمات ، والمدافع ،

تم على أثرهـا ، اقصاء السكان الآمنين عن منازلهـم ، واقيمت الحواجز العربية ، واصبحت الاقامة ، في معظم الاحياء المسيحية ، عملا انتحاريا ، مما ادى بالعائلات المسيحية الى الانتشار ، بين احراج كسروان ، والمتن الشمالي ، وعلى الشواطىء ، كما في الاديار ، والمدارس .

★ ★ ★

لقد حصل هذا لسكان المنطقة الشرقية، لانهم مسيحيون. والواقع، انها ليست المرة الاولى ، ولا هي الاخيرة ، طبعـا ، ما دام هنالك من لا يؤمن بحرية المعتقـد ، ولا بحقـوق الانسان ، وما دام هنالك ، ايضا ، مسيحي .

ان ما رآه المسيحيـون ، في المنطقـة الشرقيـة ، من « اشقائهم » السوريين ، لم ير مثله ابناء الجنـوب ، سكان المناطـق الحدودية ، من اسرائيل ، مهما قيل عن الكارثة التي حلت بهم .

★ ★ ★

ما زلنا نذكر « الاقدام » العربي ، والعالمي ، على مساعدة مهجري الجنوب ، في شهر آذار الماضي .

يعتبر العرب ان قضية الجنوب هي من صلب هموم القومية العربية.
لذلك أغدق العرب ، كعادتهم ، على المنظمـات الفلسطينية ، و « فتح » خاصة ، بالملايين ، مع كافـة المـواد الغذائيـة ، والالبسة ، والخيـام ، والبطانيات ، يكفي حاجـة المهجرين الجنوبيين لمـدة ، أقلها ، سنة ، فاستولى عليها السيد ياسر عرفات ، ومعاونوه ، دون ان يصل ، منها ، الى ابناء الطائفة الشيعية ، الذين نزحوا من الجنوب ، ما يستحق الذكر .

ونفى السيد « ابو عمار » استلام المساعدات العربية ، وخاصة التي

جاءت من العراق ، فقال « بعثت الينا العراق طمرا » حتى تجرأ مسؤول عراقـي ، على فضحه ، عبر جريدة « النهار العربي والدولي » معترفا بأن العراق قد دفعت الى «ابو عمار» مبلغ ١٥ مليون دولارا ، عدا المساعدات العينية التي تم شحنها بواسطة الطيران الجوي ، الى بيروت .

ونالت « النهار » في بيروت « تحية » فلسطينية ، ثلاث متفجرات ، وضعت واحـدة ، على مدخلها ، وانفجـرت ، اما العبوتـان ، الثانية ، والثالثة ، فكانتا مؤقتين لكي تنفجرا في وقت لاحق ، لكن تـم العثـور عليهما ، قبل انفجارهما .

★ ★ ★

وبناء لـ « التعليمات » العربيـة ، بذلت الدولة اللبنانية (...) مجهودها ، لمساعدة مهجري الجنوب، فجندت التلفزيون (؟) والاذاعة (؟) ودعت الى حملة صحفية كبيرة ، قامت بهـا صحف ومجـلات لبنـان ، ونشطت اتصالاتها الديبلوماسية ، ذات المستوى الرفيع ، لشرح قضيـة الجنوب ، والاعتداء الاسرائيلي على أمن الجنوب ، وحريته .



كل ذلك جرى ، وقد يجري ، كلما اجتاحت اسرائيل الجنوب . اما السبب فهو واضح ، وصريح ، ويعود الى الصراع العربي ـ الاسرائيلي (الاسلامي ـ اليهودي) القديم . فانه ، لو قامت دولة ، غير اسرائيل ، سوريا ، مثلا ، واجتاحت الجنوب ، لساد الصمت ، وتم اعتبـاره عملا قوميا عربيا . لكن هذا لن يتعدى كونه حلما ، يراود سوريا ، واسرائيل موجودة .



يمكن ان تقول سوريا ، ومعها العرب ، « لن يقصى ابنـاء الجنوب عن ديارهم وممتلكاتهم ، لو ان سوريا دخلت الجنـوب » • اما نحن ، فنقول لها وللعرب ايضا ، ان الشيعة ، والمسيحيين ، في الجنوب ، لا يقبلون بغير السلطة اللبنانية على منطقتهم • كما انهم يرفضون رفضا باتا الحاق الجنوب بدولة غير الدولة اللبنانية •

ويحمّل ابناء الجنوب الملوك ، والرؤساء العرب ، مسؤوليةسكوتهم على التجاوزات الفلسطينية ، في مناطقهم التي أدت الى تنفيذ الاعتداءات الاسرائيلية ، المتكررة على أرضنا ، والتي تسمـح لها بتحقيق اهدافهـا التوسعية ، على حساب الجنوب ، وخيراته ، وامكاناته الطبيعية •

★ ★ ★

لقد عاش الجنوبي حوالي سبع سنوات مشردا ، بين هنا ، وهناك ، وكفر بالعرب ، والفلسطينيين • كما رفض ، بإباء ، «المساعدات» العربية، والفلسطينية ، التي قدمت له • وطالب ، جهارا ، بالعـودة الى قريتـه ، وبيته ، وبسحب جميع الفلسطينيين من الجنوب • طبعا لم يسمح للصحف نقل صوته •

لا ابالغ ان قلت ، ان الجنوبي ، عندما يقدّر له ان يحمل السلاح في وجـه الفلسطينيين ، لن يتردد ابدا ، ومن يعلـم ، فقد يضطر الجنوبـي (الشيعي) مستقبلا، الى التعامل المكشوف مع اسرائيل، ضد الفلسطينيين، كي يطردهم عن ارضه •

ان هذا الامر الخطر لا يريد ان يعرفه العرب • وتحاول سوريا ان تبرىء نفسها من العنصرية ، مثلما تحاول ان تنفي عن العرب ، العنصرية ، ايضا • وهي تدعو ذلك عملا عربيا حضاريا اصيلا ، كما تدّعي بأن لها ، في لبنان ، مصالح قومية ، تستمد منها سياستها ، ومواقفها •

واليكم برهانا ان كنتم لا تصدقون •

★ ★ ★

منذ بدأت سوريا قصف الاحياء المسيحيـة ، والصمت يخيّم على الدول العربية كافة •

وبالرغم مما حدث لسكان فرن الشباك ، وبدارو ، وعين الرمانة ، والحدث ، والاشرفية ، تجـاهل العرب ، كل العـرب ، ما جرى لهؤلاء المسيحيين ، الذين لا ذنب لهم سوى انهـم مسيحيـون ، مثلما قلنـا ، ويسكنون هذه المنطقة • ومن العرب ، فريق ارغم على السكوت •

اما الاخطر من سكوت العرب ، فهو ارغـام الحكومة اللبنانيـة ، نفسها ، على الصمت ، والانصراف ، كليـة ، عن المأساة التي تعيشها ، اليوم ، اكثر من ٤٣٠٠٠ عائلة مسيحية • لقد اجبروا رئيس الجمهورية ، الاستاذ الياس سركيس ، ان يقـول « ان قوات الردع العربية هي قوات نظامية ، هدفها الحفاظ على الشرعية ، وتحقيق الامن في البلاد » •

★ ★ ★

ويعتبر العرب ان قصف المسيحيين ليس الا دفاعـا عن أمن لبنان ، ووحدته ، وعروبته •

فمنذ اول تموز الماضي ، لم يتلقّ المهجرون المسيحيون اي مساعدة عربية •

لقد تمكنت « كاريتاس » من احصاء ٢٧٦٤٧ عائلـة ، نزحت الى كسروان ، والمتن الشمالي ، وذلك بموجب بيانين صادرين عنها نشرتهما « العمل » في عددها الصادر يوم الجمعة الموافق ١٨ آب الجاري •

وهنالك ، حسبما تقول المعلومات ، ما يقارب الـ ١٥٠٠٠ عائلة ،

موزعة بين الاحراج ، والفنادق ، في الجبال ، وفي منطقتي جبيل ، والبترون .

فلماذا سكت العرب عن هذه المأساة ، ولماذا سكتت الدول العالمية جميعها ؟؟؟

أليس لان قضية مسيحيي المنطقة الشرقية ، من بيروت ، هي ، بنظر العرب ، غير قضية ابناء الجنوب ؟!

ألا يعدّ هذا العمل من الاعمال العنصرية ؟

★ ★ ★

لقد اتخذ العرب هذا الموقف ، من المسيحيين المهجرين ، لان « الاحرار » والكتائب رفضوا ان يذوب لبنان في غيره ، فقامت قيامة العرب ، واعلنوا استنكارهم ، بالصمت الرهيب الذي خيّم عليهم ، وبما قدّموه الى سوريا ، تقديرا منهم على مواقفها « القومية » في لبنان .

وظنّ العرب ان العروبة سوف تنتصر في لبنان ، وانها لا بد ان تعفّر جبينه العالي ، فيا ليتهم فكروا بعض الوقت .

★ ★ ★

اذا كان بود سوريا ، والعرب ، ان يتعرفوا الى ما وصل اليه المسيحيون اللبنانيون ، بفضل « المبادرة » الاخوية ، فليتفضل مندوبوهم كي يطلعوا عن كثب ، ويسمعوا ، من فم الصغير ، قبل الكبير ، ما هو رأي المسيحيين ، اليوم ، بسوريا ، والعرب .

ونقبل ، منهم ، ان يسألوا ايضا من يثقون بهم من القادة المسيحيين ، والذين يتفاخر الوزير السيد عبد الحليم خدام « بتعاونهم » معهم .

★ ★ ★

ان النكبة — وهذا ما يجب ان تعرفه سوريا ويعرفه العرب — التي حلت بالمسيحيين ، على يد سوريا ، هي مثل تلك النكبات التي أنزلت بأبناء الجنوب ، على يد اسرائيل ، الدولة العنصرية ، بل واشد خطرا .

فلماذا يلام المسيحيون اذا ما نظروا الى العرب كأنهم « أقوام أجانب » ؟!

أين هو الخطأ ، في قول الشيخ بيار الجميل ، « ان الدور الذي بدت فيه الصهيونية العالمية على صعيد العالم اجمع هو دور عنصري يهودي ، تماما كما العرب على صعيد العالم اجمع يظهرون بمظهر عربي عنصري » .

كيف تتفق على ان العنصرية الصهيونية هي التي قتلت الجنوبي ، ودمرت «العباسية» (١) و «الغندورية» (٢) وقرى كثيرة، بحثا عن المخربين الفلسطينيين ، الذين تعتمدهم اسرائيل دائما ، سببا « طبيعيا » لهجماتها على الجنوب ، وبيروت ، وطرابلس ، والبقاع ، ولا تتفق على اعتبار العمل السوري ، في لبنان ، عنصريا مثلما هو العمل الاسرائيلي ؟!

لماذا تقوم قيامة العرب ، والذي جرى للمسيحيين ، في المنطقة الشرقية ، لا يرضى به كل ذي ضمير ؟!!!

★ ★ ★

تطالب العنصرية الصهيونية بابعاد الفلسطينيين ، عن الجنوب ، وتطالب العنصرية العربية بتدمير الكتائب ، و « الاحرار » وسحقهم ، فيما يطالب المسيحيون ، الذين منهم الكتائب و « الاحرار » بسيادة لبنان ، ووحدته ، وبالحل العادل للقضية الفلسطينية . ويصر المسيحيون ، الذين منهم الكتائب و « الاحرار » على سيادة لبنان ، واستقلاله ، مثلما يحترمون استقلال كل وطن ، وسيادة كل شعب ، وهم يرفضون التعصب ،

---

(١) العباسية قرية تقع في قضاء صور .
(٢) الغندورية قرية تقع في قضاء النبطية .

والعنصرية ، لكنهم يلجأون ، مضطرين ، الى العنف ، احيانا ، للدفاع عن حريتهم ، ووجودهم ، وكرامتهم ، وهذا ما قد اظهروه منذ بداية حرب ١٩٧٥ .

لماذا يفسر العرب ، وسوريا خاصة ، مواقف هؤلاء ، عملا « انعزاليا » ، ويلصقون بهم شتى انواع التهم ؟

ألا يعرف العرب بأن العنصرية هي وحدها التي تأبى حرية الغير ، وترفض الحوار ؟

والى جريدة « البعث » الدمشقية ، الغراء ، نقدّم جولة قصيرة مع المهجرين ، الشهداء الاحياء .

بتاريخ ١٧ آب الجاري ، دعا الاب الدكتور جورج رحمة ، مدير « المركز الكاثوليكي للاعلام » جميع الصحافيين ، والمراسلين الاجانب الى جولة صحافية على المهجرين . لبى الدعوة عدد لا بأس به من مراسلي الصحف ، والوكالات العالمية ، وكان لي شرف الحضور .

لقد رأينا البؤس الذي تعيشه آلاف العائلات المسيحية ، ولمسنا خطر هذا الوضع الذي توصل اليه المسيحيون . ففي المراكز التي زرناها ، سمعنا الشيوخ ، والنساء ، والاطفال ، يستغيثون « نريد الامن » و « ولدنا مسيحيين ! وسنبقى مسيحيين » . ثم سمعنا ايضا « لن تستطيع الراجمات السورية ان تنتزع من قلوبنا مسيحيتنا » .

ودوت اصوات اخرى « ماذا يريد منا العرب ؟ » .

مهجرون ، من العيشية ، في الجنوب ، ومن الدامور ، والشوف ، وعكار ، والبقاع — بعد مجزرة القاع — هربوا من المجازر ، والمذابح ، التي نفذت في مناطقهم ، الى بيروت ، حيث اقاموا على أمل بأن تحل قضيتهم . واذا بهم يهربون ، من بيروت ايضا ، خوفا من القصف السوري .

★ ★ ★

سألنا امرأة ، كانت تقف مع اولادها ، وشقيقتها ، واولاد شقيقتها (مجموعهم ١٥ فردا) امام خيمة ، « من أعطاك هذه الخيمة ؟ » .

قالت :

« اشتريتها منذ ثلاث سنوات ، بمبلغ (٨٠٠) ليرة لبنانية ، واحتفظت بها ، لانني كنت أحس بأننا سوف نهجّر ، ذات يوم ، وستكون لنا هذه الخيمة بمثابة « المنزل » . وفعلا حصل ما كنت اتوقع » .

كانت دموعها على خديها تسيلان وجعا وحزنا .

★ ★ ★

عدنا الى الاب رحمة لنسأله عن المساعدات التي وصلت الى المهجرين ، فأجاب :

« المساعدات التي قدمت لا تكفي لان عدد المهجرين كبير ، واما المحسنون فهم قلة » .

واستطرد يقول :

« هنالك الهيئة العليا للاغاثة — رئيسها الوزير الدكتور اسعد رزق — قدمت ، لمرة واحدة ، بعض المعلبات ، والسكر ، والارز ، ثم غابت ، وما زالت « غائبة » .

وماذا بعد ، قلنا للأب المدير ، فقال : « ان « كاريتاس » ما زالت تقوم ، حسب امكاناتها ، وهي مهتمة ، ايضا ، بالعائلات الموجودة خارج التجمعات » .

وأضاف :

« تبذل « المنظمة الكاثوليكية الاميركية » مع « الهيئة المارونية للتخطيط والانماء » — رئيسها المطران رولان ابوجودة — مجهودا بارزاء وكذلك الصليب الاحمر في بعض المناطق » .

لم ينس الاب رحمة ان يعلن عن استغراب « المركز الكاثوليكي للاعلام » لسكوت الاعلام الرسمي •

وختم الاب رحمة قائلا :

« نريد مساعدات تكفي ، واعلاما مخلصا ، وجريئا • وهذا ما حدا بنا الى دعوتكم ، كي تطلعوا عن كثب على حالة المهجرين • وها ان الشتاء يسرع الخطى ، اما الجبل ، فكما تعلمون ••• لقد اصبح ليله باردا ••• فهل يجوز ان تبقى العائلات البريئة في العراء ؟؟؟ » •

بدأنا رحلتنا مع المهجرين بالدموع ، وانتهت بالدموع ، والاسئلة الكثيرة ، الكثيرة •

يبقى ان نقول ان المهجرين اجابوا باجماع ــ عندما سألناهم عن وزارة الصحة اللبنانية ــ وقالوا : « انها في اجازة ، منذ اول تموز الماضي » •

★ ★ ★

أليس المسيحيون هم ضحية العنصرية العربية ؟

انه السؤال الذي يبقى ، ولو عاد هؤلاء الى منازلهم •

★ ★ ★

ها هو بعض ما رأيت ، وسمعت ، فاما ان يصدق العرب ، والسوريون ، وما ان يرسلوا مندوبين عنهم ، « والذي يراه الحاضر لا يراه الغائب » •

● صوت الاحرار ١٩٧٨/٨/٢٢ •

١٩

« عصابات » المسلمين قد تنقذ لبنان [1]

النداءات المتكررة التي نواصل اطلاقها ، كل يوم تقريبا ، لن تفيد لبنان بشيء • فصار علينا ان نطلّق هذا الاسلوب ، لنتجه نحو اسلوب آخر ، لان واقع لبنان ، حقيقة ، لم يعد يسمح ، ابدا ، بقرع الطبول ، وضرب الصنوج ، في احياء لا يملك سكانها ، من هذه الدنيا ، سوى السمع •

★ ★ ★

لا اريد ان اعود الى ما قبل حرب السنتين • فخلال الفترة التي اولها الثالث عشر من نيسان ١٩٧٥ ، والى اليوم ، صدر ما يكفي ، من التصاريح والنداءات والابحاث والمقالات والمحاضرات ، التي تدعو « جناحي لبنان الاصيلين المسيحي والمسلم الى التفاهم على تقرير المصير دون ان تكون هناك وصاية على اي من هذين الجناحين » وكأنها تعمل العكس • فالحالة تشتد سوءا ، يوما ، عن يوم ، والامن قد انعدم في جميع انحاء البلاد ، والاقتصاد يسير نحو الانهيار الكلي ، والدمار اوشك ان يعم جميع المناطق اللبنانية • كذلك التقسيم الذي ما زال يقف ، على الابواب ، ينتظر مزيدا من المذابح ، والمجازر ، لكي يتكرس • وقد سبق للحرب

(١) مناقشة مع الكتائب و « الاحرار » •

الفلسطينية ــ اللبنانية ان غرسته في النفوس، اذ دفعت بالناس الى التبعثر، والانشقاق ، بعد ان حققت التهجير الطائفي ، وانقسام العاصمة ، بيروت، الى مدينتين ، واحدة شرقية ، واخرى غربية .

★ ★ ★

كانت الحرب تشتعل في الاسواق ، وعلى جبهة الشياح ــ عين الرمانة ، وكنا نطالب المسلمين بأن يتدخلوا لانقاذ لبنان ، واطفاء نار الحريق المشتعلة ، لكن احدا لم يجرؤ ، فامتدت النار نحو الجنوب ، والبقاع ، حتى شملت الشوف ، والجبل، وعكار ، وطرابلس، والكورة.

كنا نخاطبهم ، كل يوم ، عبر الصحف ، واذاعتي « صوت لبنان » و « عمشيت » .

ذكرّناهم بأيام الوحدة اللبنانية ، وبليالي الهناء . قرأنا عليهم فصولا من التاريخ ، وروايات ، وقصائد ، نحرّضهم على طلب السيادة ، ونحثهم على الدفاع عن الحرية ، والكرامة ، والاستقلال ، فلم تنفع الذكرى .

حاولنا ان نقنعهم بأن الفلسطينيين سيهدمون البلاد ، وسيطيحون بالشرعية ، والديمقراطية ، فذهب كلامنا هباء منثورا .. وعدنا لنؤكد لهم ان الخطر سوف يصيب نفوذهم ، وزعاماتهم ، وبأنهم سيكونون ضحية صمتهم ، وسكوتهم ، فانصرفوا عنا . والتحقوا في الركب الفلسطيني ، لتأمين « حقوق » المسلمين و «المحرومين» ولحماية الجنوب، حسبما ، ادعوا ، لكن لا المسلمون نالوا « حقهم » ولا « المحرومون » تحسنت معيشتهم ، ولا الجنوب سلم من الاعتداءات الاسرائيلية ، فأضعنا الوقت سدى .

★ ★ ★

ولما انتهت المرحلة الاولى من المؤامرة ، عدنا اليهم ثانية . جمعتنا المناسبات (...) والمآدب . فقلنا لهم الكلام ذاته ، وتم تبادل الآراء ، فسمعنا منهم كلاما جميلا ، ووعودا (...) وتلوا اسمى آيات الشكر ، والتقدير ، واعلنوا عن استيائهم مما يحدث في « مناطقهم » واعترفوا بخطأهم ، فقبلنا الاعتراف ، والاعتذار ، واعتقدنا بأن لبنان سيقوم من بين الموتى .

وجاء يوم طلبنا فيه بأن نحوّل القول الى فعل ، فاصفرت وجوه ، وخفقت قلوب ، ثم انقطعت عنا اخبارهم . وارسلنا ندعوهم الى لقاءات أخرى ، فردت الينا « البطاقات » مع عبارة « العنوان غلط » .

عندئذ ، فكرنا بأن نذهب اليهم ، فأعلمناهم بأننا قادمون (ومن لم يأت معك فتعال معه) وكان الجواب « لا وقت لدينا الآن » ومنهم قال « نريد ان نراجع الدولة العليّة » .. فانتظرنا ، وكانت تنفجر قنبلة هنا ، واخرى هناك ، ويعتدى على عائلات ، بالذبح ، في منازلها ، وعلى قضاة ، ومحامين ، وتجار ، واطباء ، ومعلمين ، تحت مظلة جيش الدولة « العلية » الذي لا هم له سوى اصدار البيانات بالاسلوب الصحافي . وغاب الذين ذهبوا الى دمشق لاجراء المشاورات ، فطال غيابهم .

وغاب الذين ذهبوا الى دمشق لاجراء المشاورات ، فطال غيابهم .



ثم حصل ، في الجنوب ، ما حصل ، فأعطينا رأينا ، ورجعنا لنقول ما كنا نعلنه ــ في اول الحرب الفلسطينية ــ اللبنانية ــ اذ ان موقفنا هو واحد ، لا يتغير (لا نبغي سوى المحافظة على لبنان ، وعلى وحدته) وطالبنا من جديد بسحب الفلسطينيين،من الجنوب، وهنا خرج علينا الذين ردوا الينا «البطاقات» لان «العنوان غلط» ــ حسبما ادعوا ــ فأشادوا بصمود المقاومة الفلسطينية ، على ارض الجنوب ، وذرفوا دموع التماسيح على

الجنوبيين ، ولفلفوا المأساة بقليل من المساعدات العربية ، والعالمية ، التي وصلت الى لبنان لحساب مهجري الجنوب ، فيما حوّلوا الباقي الى عنابر المقاومة الفلسطينية ، والى حساباتهم تقديرا « لصمود » ابطالها ، و « دفاعهم » عن عروبة الجنوب ، وكرامته ، وشرفه .

لم ينس الجيش « الشقيق » ان يوافينا بالتقارير ، والاخبار ، التي كانت تصله من مراسليه « التقدميين » في صور ، والصرفند ، والزهراني، وصيدا .

★ ★ ★

كانت قضية الجنوب على السطح ، عندما اشتعلت الفياضية . فأنزلت الاولى ، لتحل محلها الثانية . وقُصف المسيحيون في عين الرمانة، وفرن الشباك ، وبدارو ــ بالراجمات السورية ، فوقعت خسائر جسيمة، حاولوا ان ينسونا اياها بلعبة استقالة الحكومة ، ففشلت هذه المحاولة ، وانفجرت من جديد ، على المحاور التقليدية ، مثلما ندعوها .

أيّد الزعماء المسلمون سوريا ، وأثنوا على مواقفها ، كما أدانوا الكتائب و « الاحرار » ، بعد ان اصطلحوا على تسميتهم « بالعملاء » .

وفوق ذلك كله ، نادينا « انقذوا المسيحيين من الاعتداء السوري » فكانت صرخة في واد .

★ ★ ★

في هذه الاثناء ، كان الشمال يغلي ، وينذر بالانفجار ، فحدثت مجزرة اهدن ، التي اتهم بها الكتائب (؟) [١] .

وتوالت برقيات التعزية على زغرتا ، وزحف الى هناك، الانتهازيون، والنفعيون ، واصحاب المآرب ، ليعانقوا الرئيس فرنجيه ، ويبكوا معه ،

(١) تواردت انباء تقول ان الذين هاجموا اهدن كانت تغطيهم اكثر من عشر سيارات عسكرية سورية . ومصدر آخر قال ان السيارات السورية رافقت الذين هاجموا اهدن الى شكا .

وفي حضرته ، ومنهم من قطع العهد ، على نفسه ، امام الرئيس فرنجيه وعائلته ، بأخذ « الثأر » من « اعداء لبنان » الكتائب ، وبالقضاء على « الاحرار » .

لقد جاءتهم احداث الشمال ، على طبق من ذهب ، فاستغلوها . ثم اجمعوا على ضرب حزبي الكتائب « والاحرار » في كل لبنان ، باسم الشرعية ، والوحدة اللبنانية .

ونصحنا جميع الاطراف (...) بأن يتمهلوا ، لكن حب الشهوات قد طغى ، فسقطت القيم ، وشبت النار في المنطقة ، حيث سقط الابرياء ، من الشيوخ ، والنساء ، والاطفال .

لوّح الرئيس الياس سركيس بالاستقالة ، لاكثر من خمسة ايام ، لكنه لم يقدم على تنفيذ انذاره ، بينما استمرت الاعتداءات السورية على المسيحيين الآمنين ، الذين كانت استقالة الرئيس ستنقذهم لو انها تمت ، ربما .

اما الذين « هزتهم » احداث اهدن ، ومقتل المرحوم طوني فرنجيه بالذات ، فقد رأوا ان على الكتائب و « الاحرار » ان يدفعوا ، بعد ، الثمن غاليا ، لا مثلما دفعوه . فكأن ما خسره المسيحيون ، في المنطقة الشرقية ، لا يوازي ، بنظرهم ، ما خسره الرئيس فرنجيه ، واصحاب النوايا « الحسنة » والاخلاق « الحميدة » .

نقل ان الوزير السيد عبد الحليم خدام قال للرئيس فرنجيه ، عندما زاره اخر مرة ، في اهدن :

« نحنا بنعمل واجباتنا يا فخامة الرئيس ، فالمرحوم الشهيد طوني هو واحد منا ، ومواقفه العربية هي دين علينا ما دمنا احياء » [١] .

(١) لا اعرف كيف يكرس « البعث » المرحوم طوني فرنجية شهيدا عربيا .

ونقل ايضا ، ان الدكتور عبدالله سعادة ، رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي ، قال له :

« ان دم طوني فرنجيه وزوجته وابنته يستصرخ ضمائرنا ، فلا بد من الثار ، ولسوف نلقن اعداءكم ، واعداءنا ، الضربة القاضية • فاشر علينا ، لننفذ يا فخامة الرئيس » وكانت دموع الدكتور ـ الرئيس ـ تكرج على خديه ، على ذمة الراوي ؟!

* * *

عادت الاحداث الى الشمال ، لتنطلق الدبابات ، والمصفحات ، السورية ـ العربية ، في تمشيط احراج البترون ، والكورة ، من « عصابات » الكتائب و « الاحرار » •

وعلى ذكر « التمشيط » ••• هذه الكلمة ترد دائما في بيانات جيش الدفاع الاسرائيلي ، ولطالما سمعناها •

* * *

« ان وعد الحر دين عليه حتى يفيه » بلى !

لقد وعدت سوريا حلفاءها ، الرئيس فرنجيه ، والشرعية ، بتطبيق « الخطة الامنية » المتفق عليها في « قمة اللاذقية » وبأخذ الثأر ، من المسيحيين ، وعزل حزبي الكتائب ، و « الاحرار » وتصفيتهما •

واذ تنفذ سوريا وعدها ، نصرخ ، بعد يأس ، « وباستطاعة المسلمين الا يمكنوها من ذلك ان ارادوا ، فلا يكون تقسيم على الاطلاق » (١) •

ونهب لنحرك في المسلمين (•••) المشاعر ، قائلين ، « اما الآن ، فوحدة لبنان ، وجها لوجه امام التجربة • والارض ـ ارض الوطن ،

(١) « من حصاد الأيام » ـ « العمل » ـ ٢٦ آب •

كلها ، محتلة • ولا فضل للمسيحيين ، اليوم ، ان طالبوا بالسيادة الكاملة، والاستقلال ، مثلما لم يكن للمسلمين ، بالامس ، اي فضل في ذلك ـ •

البطولة المطلوبة اليوم ، بطولة من فعل المسلمين ! ان وحدة لبنان موقوفة على ذلك • وما معنى « وحدة الارض والشعب » ان لم تكن مبنية على هذا الاساس » (١) •

وهكذا ، عدنا لمضيعة الوقت •• مثلما فعلنا خلال حرب السنتين ، في الفترة الاخيرة •

* * *

لا اتمنى ان نستمر هكذا! • وهنالك مناطق لبنانية تنتظر دورها •

اليوم ، جاء دور الشمال • فاذا ما انتهى الوقت ، سيأتي ، ولا شك، دور الوسط (من جبيل الى جونيه) ودور زحلة ـ ولو اشيع انها قد حيدت ـ ودور كسروان ، الجبل ، ثم عودة على بدء (عين الرمانة ، الاشرفية ، فرن الشباك والحدث) •

فلنكف عن النداءات •

لقد تعبت السنتنا « طلع عليها الشعر » دون جدوى •

* * *

« البطولة المطلوبة اليوم ، بطولة من قبل المسلمين » فمن هم المسلمون الذين نطلب منهم البطولة ؟ لعلكم تقصدون الرؤساء : صائب سلام ، تقي الدين الصلح ، رشيد الصلح ، عبدالله اليافي ، وامين الحافظ أليس كذلك ؟

ان هؤلاء قد مضى علينا اكثر من ثلاث سنوات نسألهم فلا يجيبون، ونحرضهم على الانتفاضة فلا يتحركون ، وندفعهم الى الميدان فيقولون

(١) « من حصاد الايام » ـ « العمل » ـ ٢٦ آب •

« ان الاخطار تحيط بنا من كل جانب ، وقد قل انصارنا ، وابتعد عنا ازلامنا » .

ولعلكم تقصدون ، ايضا ، الرئيس كامل الاسعد ، وعادل عسيران، مع جميع نواب الشيعة ، ووجهائهم ، وأئمتهم .

اذا كان الزعماء السنيون لا يستجيبون ، فان زعماء الشيعة لا يسمعون .

ام انكم تسألون الرئيس رشيد كرامي ؟

ماذا ينفعنا لو سألنا جميع هؤلاء ؟ ومنهم الذي لا يسمع ، والذي لا يجرؤ ، والضعيف ، والانتهازي ، علما بأن جميعهم يتقنون « فن » الطاعة والانصياع ؟!

★ ★ ★

آن لنا ان نتجاهل الذين لا يسمعون ، والذين لا يستجيبون ، والانتهازيين ، والوصوليين ، والضعفاء ، فالاوطان لا يبنيها مثل هؤلاء . ولماذا « نجرب المجرب ؟ »

ان هؤلاء قد اساؤوا الى انفسهم ، فأساؤوا الى لبنان .

★ ★ ★

قد تسألون ، ما هو العمل ، ما دام الامر كذلك ؟ لاقول ، هناك فريق آخر من المسلمين ، فلنجرب « حظنا » معه .

هذا الفريق يمتلك ، اليوم ، الشارع الاسلامي . لنطالب المجموعة من السادة : ابراهيم قليلات ، كمال شاتيلا ، عاصم قانصوه ، محسن ابراهيم ، اسامة فاخوري ، سمير الصباغ ، وسنان براج .

لماذا لا نسأل السيد وليد جنبلاط انقاذ لبنان ، من الخطر السوري، وخطر التقسيم ؟

ألم نيأس بعد ؟

لقد قلت « طلع الشعر على ألسنتنا » ونحن نصرخ ، ونستغيث .

لنجرب ، اذن ، وماذا سنخسر ، اكثر مما خسرنا ، لنجرب ، ما دام الذين ناديناهم « لا حياة لهم » .

★ ★ ★

قد يفعل الشارع الاسلامي شيئا من اجل لبنان ، اذا ثبت لهم ان الكتائب و « الاحرار » قد طووا ، الى الابد ، حساباتهم مع الزعماء التقليديين .

الم يحمل «المرابطون» و « الناصريون » و « البعثيون اللبنانيون » و « الشيوعيون » و « الاشتراكيون » السلاح طمعا بالحكم ؟

لنجرب ! ربما قالوا لسوريا « انتهى دورك في لبنان » وللفلسطينيين « لا لزوم لحمل السلاح على ارضنا » فلعل بين هؤلاء « رياضا جديدا ».

★ ★ ★

لماذا لا نحاول ، وقد رأينا ، ولمسنا ، الموقف الذي اتخذوه ، امس ، من احداث اهدن ؟

ان هؤلاء لم يقاتلوا ، ضدنا ، من اجل عقيدة ، بل من اجل غاية واضحة ، وصريحة ، هي ان يحلوا محل الزعماء التقليديين .

اما عروبة لبنان ، والاشتراكية، فما هي الا ضرب من ضروب المزايدة، لا اكثر ، وحبذا لو تعرف سوريا ، وليبيا ، والعراق .

لقد تعاطف الشارع الاسلامي مع الرئيس سليمان فرنجيه ، بعد

احداث اهدن ، ونسوا ما فعلوا معه ، او تناسوا . فلماذا لا نكشف اوراقهم ، ما دام الامل بغيرهم معدوما . والذي كان ، بالامس ، زعيما اصبح اليوم سجين الارهاب الذي يمارسه عليه الشارع الاسلامي .

★ ★ ★

تشير التطورات بأن « الميثاق الوطني » يجب ان يكتبه الشباب ، وكلهم طلاب مجد ، ونفوذ .

انني أرى انهم قد اتخذوا من العروبة والقضية الفلسطينية، مطيتين، لكي يصلوا الى اهدافهم وغاياتهم .

اذا اتفق الكتائب و « الاحرار » مع زعماء المسلمين الجدد (قادة الشارع الاسلامي ــ اليوم) على انقاذ لبنان ، تنسحب سوريا ، وينسحب الفلسطينيون ، ويتم بناء لبنان الجديد .

واذا ما تخلف المسلمون الجدد عن انقاذ لبنان ، تبقى لنا محاولة واحدة ، واخيرة ، هي التقسيم ، ومن بعدها لا نعرف ماذا قد يجد .

فهل ننتظر معركة بين السوريين ، والشارع الاسلامي ، مثل تلك المعارك التي تخوضها سوريا ضدنا ؟

لنجرب ،

وعندئذ لا يلوم المرء الا نفسه .

● العمل ٢٩ آب ١٩٧٨ .

القرعاء .. والشعر المستعار

غروب يوم الثلاثاء ، الموافق ، ٣٠ آب الجاري (٢٦ رمضان) ، وقف « الحجاج » ، عفوا ، رئيس الحكومة ، الدكتور سليم الحص ، يقرأ خطبته ، على عدد من رؤساء الحكومة السابقين ، والوزراء ، والسفراء ، و «اركان الفعاليات السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية»، في فندق « كارلتون » بعد تناول الافطار الذي دعت اليه « مؤسسات الرعاية الاجتماعية في لبنان ــ دار الايتام الاسلامية » .

★ ★ ★

لقد تراءى لي كأننا في بغداد ! وها هو «الحجاج» يخطب بـ«المصلين» وحوله المارقون ، والمنافقون ، والمرابون ، والمراؤون (الذين يمنعون الماعون) وانصار « السلم » و « الامن » ودعاة « الحرية » والقومية العربية .

من وحي المكان ، يهدد « الحجاج » الخارجين على الطاعة ، والمتمردين ، المنشقين ، طلاب الحرية ، والثأر « انى أرى رؤسا أينعت فحان قطافها » [1] .

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي (توفي ٩٥هـ ــ ٧١٤م) قائد وخطيب عربي. ولد في الطائف واشتهر بولائه للبيت الاموي . ولاه عبد الملك بن مروان امرة جيشه فقضى على ابن الزبير وابن الاشعث وتولى مكة والمدينة والطائف والعراق .

لكن ارتباك «خطيب رمضان» ، وهو يلفظ بعض الكلمات ، جعلني اصحو فأقول : ما علاقة « الحجاج » برئيس حكومتنا ... والفرق بينهما هو كالفرق بين الارض والسماء !

الاول رجـل سيف ، وخطيب (كان يرتجل خطبـه) وله قلب من حديد ، وكان داهية ، وعنيدا ، وجبارا . ما شهر سيفه ، مرة ، وتراجع . ولا غضب الا واشتـد غضبه ، فارضاؤه امر عسير . اذ كان لا يهدأ الا بعد ما يرى رؤوسا تتدحرج ، واعناقا تدك .

والثاني (الرئيس الحص) اكاديمي (دكتور في الاقتصاد) يتعاطى تجارة المال . ومثله مثل جميع ارباب المال ، والاقتصاد ، في هـذا البلد ، وفي كل مكان ، يخاف من الشفرة ان تجرحه ، ومن الوسادة ان تزعجه اذا ما انحرفت من تحت رأسه . يتعبه الاكل الحار ، والخبز ، والدسم ، كما تؤثر فيه الكلمة .

عينه دائما ، على حركة البناء ، والعمـران ، لانه يطمح بأن تكون بنايات بيروت ، جميعها ، مرهونة لمصرفه .

قدم استقالته ثم تراجع ، مثلما لو كان يقبل سحبا على مصرفه ـ من قبل احد عملائه ـ سبق ان رفضه لان حساب الساحب مكشوف . فهو رجل خجول ، لا يحتمل الرجاء ، ولا يرد قاصدا ، اذ كان ملاّكا كبيرا ، او « زعيما » حوله رجال يأكلون الزرد .

جيء به ليوطد الامن ، في بلـد تتناهشه الاحقـاد ، والاطمـاع ، والانانيـات ، والتناقضات ، وتجلس على صدره جميع القوى المسلحة ، وتنتشر في مدنـه ، وقراه ، مستودعات الذخيرة ، والاسلحة ، من جميع القياسات ، والانواع .

فأنى له ان يكون هو صاحب هذه الكلمات التي قرأهـا ، في تلك الليلة الرمضانية ؟!.

اقسم بالله (وليس لكم عليّ يمين) بأن لا علاقة للخطيب بكل مـا ورد في هذه الخطبة .

فلا الاسلوب هو اسلوبه .

ولا القوة التي تريد ان تظهر ، على الناس ، هي قوته .

كم مرة أخطأ في القراءة ؟!

ان الذي يكتب خطبته ، عادة ، لا يخطىء عندما يقف ليتلوها ، ولو كان صعلوكا ، فكيف و « خطيبنا » هو رئيس الحكومة ؟!

لقد بدا عليه كأنه يقرأ كتابا لم يعرفه من قبل .

★ ★ ★

لا تقولوا : ان وقت رئيس الحكومة لا يسمح له بأن يكتب خطبة بنفسه .

قد تكونون على حق . لكن الافكار ، على الاقل ، يجب ان تكون من عنده ، لا من افكار جاره .

وكلمة الرئيس الحص ، فكرة وبيانـا ، لا تخصه مطلقا . فلنبحث عن الذي طرح مواضيعها ، وعن الذي صاغها .

★ ★ ★

« في هذا الجو الطيب من موسم الصوم : وفيه ما فيه من ايقـاظ لانسانية الانسان . ما احرانا ان تتوجه بوجداننا وفكرنا من الاعماق الى المعذبين ، كل المعذبين ، على ارض لبنـان ! الى ثكلى تترقرق في عينهـا دمعة ، الى يتيم تغص على قلبه حسرة ، الى مترمل تفطّر صدره حرقة ، الى مشرد تعصر في حلقه غصة ، الى كل من اصابت الاحداث المجنونة منه موجعا » (١) .

---

(١) من خطبة الرئيس الحص في « الكارلتون » .

هذا شعر : والرئيس الحص ليس بشاعر .

فتشوا ، اذن ، عمن في قصر بعبدا ، يكتب شعرا . وكما عرفت « دعد » قاتل زوجها — صاحب القصيدة اليتيمة —

« ان تتهمي فتهامة وطني
او تنجدي ان الهوى نجد »

لا بد ان تعرفوا من هو صاحب هذه الكلمات الشاعرية المؤثرة .

لعله مسيحي من الشمال ، او من الشوف ، يعاني من الكبت ، والتمزق ، ما يعانيه ، فلما اعطيت له الافكار (...) ليصوغها في قالب جميل ، استهلها بهذه الكلمات التي شاءها ترجمة لاحزانه الخفية ، على اخوان له يموتون ، باسم الامن ، وباسم الشرعية .

★ ★ ★

« نحن من القائلين ان مفتاح حل القضية اللبنانية في وجهها السياسي ، هو في فك الارتباط ، بالقدر الممكن . بينها وبين قضية الشرق الاوسط ، علما ان عزل القضيتين عزلا مطلقا امر متعذر علميا » .

لقد صرح ، بمثل هذا القول ، الرئيس حافظ الاسد ، عندما كان يودع الوزير فؤاد بطرس .

فحبذا لو كانت قضية لبنان لا ترتبط بقضية الشرق الاوسط فعلا .

اليس الفلسطينيون هم الذين سببوا لنا هذه الكوارث ؟

عندما ينسحب الفلسطينيون ، من لبنان ، ويتوزعهم العرب ، تغدو القضية ، في لبنان ، مشكلة سياسية ، واذ ذاك يسهل حلها ، ويتفق اللبنانيون — شرط الا يخضعوا لضغوط من الخارج — على حل يرضي الجميع .

فهل ما زال الرئيس الحص « مقتنعا » بما قاله ، عفوا بما طُلِب منه ان يقوله ؟

★ ★ ★

« ان وفاق الحكم سيكون من شأنه ، في ما سيكون ، حسم الجدل الدائر حول كثير من القضايا الاساسية والمصيرية ، وبالتالي تكوين الارادة الوطنية الواحدة التي يرجى ان يكتسب لبنان ببروزها قدرا من المناعة والوقاية تجاه ما يتعرض له من انعكاسات العوامل الخارجة المتصلة بتطورات قضية الشرق الاوسط . وسيكون من شأنها فرز الناس الى فريقين : فريق يساندها في خطها ، وفريق يعارضها . ومن المرجح ، ان لم يكن من المحتم ، والناس متعطشة الى السلطة بعد طول غياب ، ان يلتف الناس بسوادهم الاعظم حول الحكم فيكون حزب الحكم ، ان جاز التعبير ، هو الحزب الاكبر والغالب » (١) .

وهذه هي ايضا من فبركة الدولة « الشقيقة » سوريا . ففي سوريا، يجري استفتاء شعبي ، فتأتي النتائج ، المعروفة سلفا، مئة في المئة، والويل للذي لا يقول نعم .

ان الذين قالوا « لا » للرئيس الاسد ، عام ١٩٧١ ، وهم قلة حقا ، لانهم اجرئاء ، ما زالوا في السجون حتى اليوم ، وقد بذلت مساع ، من قبل ملوك ورؤساء عرب ، لاجل الافراج عنهم ، لكن هذه المساعي باءت جميعها بالفشل .

★ ★ ★

ترى ، اتحلم « الشرعية » عندنا ، ان تزيد عدد السجون في لبنان ، كي تزج فيها جميع الذين سيقولون « لا » ؟.

(١) من خطبة الرئيس الحص في « الكارلتون » .

ليس هذا الوجه هو وجه شرعيتنا •• بل هو وجه«الشرعيةالسورية»

★ ★ ★

اما ان يتحدث الرئيس الحص عن قوة الشرعية وقدرتها ، فهو امر•• كنا ولا نزال نتمناه •

ألم تكن حرب السنتين من اجل الاطاحة بالشرعية وبقدرتها ؟
من الذي قاتل من اجل الشرعية في حرب السنتين ؟

القوات اللبنانية (كتائب ، احرار ، حراس الارز ، التنظيم الماروني) هم الذين تحملوا التشرد ، والتهجير ، وتقلب عليهم جميع الفرقاء ، من اجل الشرعية •

ومن اجلها ، ايضا ، صمدوا ، وما زالوا صامدين • كانوا سيف الشرعية ، ودرعها ، وحصنها الحصين ، فلماذا تستعير الحكومة « أمنها » من الخارج ؟

ان قوة الشرعية لا تقوم بدون القدرة العسكرية • ومهما تعاظمت قدرة خصومها ، فكلمة الشرعية هي اشد فتكا من اسلحة خصومها ، وموقف الشرعية هو اعظم رهبة من جحافل اعدائها وذلك بدليل ان ما من مناوىء للشرعية من داخل لبنان او من خارجه تجرأ حتى اليوم على المجاهرة بعدائه لها •

أين كان دولةالرئيس الحص عام ١٩٧٦ ؟ يسأل الكتائب و«الاحرار» وحلفاؤهم •

وللقوات اللبنانية ان تقول اليوم :

عندما كنا ندافع عن الشرعية ، كان رئيس الحكومة ، في الدوحة ، وربما قضى فترة غير قصيرة في الخارج •

★ ★ ★

من هم خصوم الشرعية بنظر « الحجاج » خطيب رمضان ؟ ليراجع الدكتور حساباته جيدا •

★ ★ ★

لقد زينت سوريا للرئيس الحص الحكم ، فدفعته الى المنبر ، خطيبا، وحرضته على القول :

« حتى الذين حاربوا الشرعية او وقفوا في وجهها ، في مرحلة او في اخرى ، انما فعلوا ذلك ، ان اتفاقا او نفاقا ، باسم المحافظة عليها والدعم لها »

الكتائب و « الاحرار » وحلفاؤهم ، يريدون الشرعية ، يا دولة الرئيس ، سيدة ، حرة ، مستقلة • ويريدونها كاملة ، متكاملة •



دولة الرئيس ،
لعلك تعرف حكاية المرأة القرعاء ، التي استعارت شعر جارتها ، لكي تستعين به على ضرتها •

دولة الرئيس ،

ان الذين تجر « الشرعية عليهم ، عضلاتها ، هم أبرياء • وخطبتكم « الحجاجية » في « الكارلتون » لن تترك اثرا ، لانها ليست طبيعية •

فالشعر المستعار لا يقاوم المشط ، والقرعاء اذا ضحكت مرة ، ستبكي الى الابد •

● العمل ١٢ ايلول ١٩٧٨ .

٢١

ما زلت ابحث عن العيد[1]

« لانه كما تتكاثر آلام المسيح فينا
كذلك تتكاثر بالمسيح تعزيتنا » .

– بولس الرسول –

سيدي الحبر الاعظم ،

اخذوا مني العيد ، واضرموا النار في السنابل ، ثم نثروا الملح في الارض .

كانت وجوههم قاتمة .

يومذاك ، حملتني « العاصفة » على نعش صنعته « الثورة » وكنت التفت نحو الجنوب ، فلا ارى سوى الغبار ، والناس على خوف، ونقص في الانفس والاموال .

وحدها ، امي كانت تبكي بصمت !

ولما اقتربت من « العاصفة » لتسألها « لماذا تفعلين بابني هكذا ؟ » صرخ جميعهم :

(١) كتاب مفتوح الى قداسة الحبر الاعظم البابا يوحنا بولس الاول بمناسبة تتويجه ابا للكنيسة الكاثوليكية .

« اسكتي يا امرأة ! ان ابنك ينطق بلغة غير لغتنا ، ويحتج على ذبح « المشركين » و « الكافرين » ويتعرض « للثائرين » فهل فهمت بالعربي ؟ » .

قالت امي « الله يعلم » .

اجابها احدهم :

« هه ... تريدين ان تقولي ان ابنك بريء ؟! »

قالت : « يعلم الله » .

فتعالت الاصوات ... تقول :

« الله يعلم ، ونحن نعلم » .

ضحكت « العاصفة » وقالت :

« احسنتم ، لقد حفظتم الدرس جيدا ، رددوا معي ، ان ابن هذه المرأة لمجرم ، وسأنزل عليه غضبي . ان غضبي لشديد » .

فردد الجميع :

« ان غضبي لشديد » .

كانت «العاصفة» تضحك ، بينما امي تبكي : وتتمتم : « الله اعلم، الله اعلم » .

★ ★ ★

حصل هذا في عام ١٩٧٥ ، والحرب لا زالت في « اللفافة » وتعيش على « الحليب » .

★ ★ ★

قررت ان اذهب الى بيروت ، لابحث عن العيد ، والفرح . وكان قد صار للمدينة (بيروت) اسمان .. غربية ، وشرقية . فسرقت ثيابي ،

وانطلقت كما اللص : لئلا اقع في قبضة « العاصفة » او « العدالة » ...
ويضيع مني العيد .

★ ★ ★

على الطريق ـ بين صور وبيروت ـ كانت تقع مدينة ، اسمها الدامور . احترقت ، وهرب الذين نجوا من اهلها ، الى بيروت ، ليبحثوا عن النوم ، والرغيف ، والكنيسة .

لكنني تذكرت نعش « الثورة » : وسياط العروبة ، وخوف الناس ، والاحقاد ، وشهود الزور ، والعمائم الى جانب احذية « الثوار » ، وليالي الجنوب الموحشة ، وشمسه الذليلة ، وبساتينه المحتلة ، وجباله الطائعة ، وقراه المحكومة بالموت ، واي موت .

ثم تذكرت مدينة صور ، التي احبها الرب يسوع ، وهي تنزف الدم من فمها : وانفها ، واذنيها ... ومن صدرها ، واظفارها ، وقدميها ...
فتابعت طريقي قائلا : لا بد ان اجد العيد ، والفرح .

★ ★ ★

دخلت بيروت الشرقية ، في اول عام ١٩٧٦ ، وانا لا املك شيئا ، غير الشوق الى العيد ، والامن ، والفرح .

في بيروت الشرقية ، وجدت الناس على خوف ، ونقص في الانفس والاموال .

الكنائس تغص بالباكين .

الشوارع مملوءة بصور الشهداء ... الشباب ، واكثرهم من الطلاب .

والرايات السود قد رفعت في كل حي .

سألت الى متى هذا الحزن ؟
فقيل لي :
« عندما تعود لنا حريتنا ، نخلع السواد ، ونعيّد ، ونملأ الدنيا فرحا وغناء » .
قلت :
« ليس اغلى من الحرية، فهل علمتم اننا ، هنا ، في الشرق، معرضون للقهر ، او السحق ، او الابادة . وان على الذي يطلب الحرية ان يفتح صدره للموت ؟ »
قالوا :
« نموت من اجل حريتنا .. واننا على طريقها لسائرون ، فعندنا شباب لا يهابون الموت » .
سألني بعضهم :
« ولماذا انت هنا ؟ » .
فقلت :
لو كان في الجنوب من يؤثر الموت على الذل لما اتيت .
وقلت ايضا :
جئت الى هنا لابحث عن العيد ، والفرح .
فقال جميعهم :
« انتظر ! غدا نعيّد معا . لقد اقتربنا من الحرية » وهكذا كان .

★ ★ ★

انتهت ، يا سيدي ، سنة ١٩٧٦ ، ثم تبعتها سنة ١٩٧٧ : و ١٩٧٨ ، وها نحن ، اليوم ، على ابواب عام ١٩٧٩ .
فماذا كان ؟
خراب ، ثم خراب .
وموت يجر موتا .

قداسة الحبر الاعظم ،

الكنائس ، في بيروت الشرقية : هجرها المصلون . والاحياء خلت من اهلها .

الظـلام ... يلف المدينـة . يحاول ان يحجب العروبـة عن أعين الشباب ، وهي تتسلل الى اسرتهم ، ومكتباتهم ، ومدارسهم ، وجامعاتهم .

ولشدة الرعب ، يبدو على الناس كأنهم جاؤوا من التاريخ .

ووسعت العروبة معاركها معنا ، فامتـدت الى الشمال حيث امرت جيوشها ، وراجماتها (قيل انها جاءت لحماية المواطنين) بالصعـود الى جبل الارز : وهناك نفذت مجزرة رهيبـة ، سيظل الارز شاهدا عليها ، ما بقي الجبل .

لا زلت يا سيدي ، انتظر العيد ، والفرح ، والحرية .

★ ★ ★

قداسة الحبر الاعظم ،

جاءني ، امس ، من يقول لي ،

« يحتفل ، اليوم ، العالم الاسلامي بعيد الفطر المبارك ، والعـالم المسيحي بتتويج قداسة البابا يوحنا بولس الاول حبرا عظيما ، وسيـدا للكنيسة الكاثوليكية » .

فقلت : وماذا عن العيد الذي اخذ مني ؟

اجاب صاحبي :

« اذا كنت مسلما فعيدك اليوم ، واذا كنت مسيحيا فعيدك ، اليوم ، ايضا » .

قلت :

انا لبناني ... فمتى عيدي ؟

قال :

« اليس اللبناني من هذا العالم ؟ »

قلت : بلى .

قال :

« يبدو انه ليس من هذا العالم » .

قلت :

« لا بأس ، الم يقل السيد المسيح مملكتي ليست من هذا العالم ؟ »

مضى صاحبي ، وهو يقول :

« اللبناني ليس من هذا العالم » .

★ ★ ★

سيدي ،

حاولت ان افـرح مع المسيحيين ، فلم اتمكن . ومع المسلمين فلم استطع كذلك .

ساعتين ونصف الساعـة ، جلست الى التلفزيون لاشاهد وقائـع الاحتفال المسيحي العظيم ، في باحة كنيسة القديس بطرس (زرتها بمناسبة اعلان قداسة شربل مخلوف ـ اللبناني) فأخذني تواضعكم .

ولما ذهبت لانام ، وجدت همومي ، واحزانـي ، قد سبقتنـي الى السرير ، فنامت معي ، بينما نام العالم كله في قلبك ، وعينيك .

ما اكبر قلبك .. وما اضعفني !

فاغفر لي يا سيدي ، ما زلت ابحث عن العيد .

وانما عيدي هو لبنان .

ما كنت احب ان اشكو ، واتألم ، في هذه الليلة ، لو لم يكن الجرح عميقا ، عميقا .

● العمل ١٩٧٨/٩/٥ .

٢٢

من الانفجار .. الى الانفراج

« اقتراب الانفجار العسكري يعني اقتراب الانفراج السياسي » .

ـ بشير الجميل ـ

صار يجب ان تنفجر ، على الصعيد العسكري ، لان وضع البلاد ، السياسي ، والامني ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، يفرض حلا عادلا وسريعا .

وقيل في الماضي « اذا ما بتكبر ما بتزغر » .

فماذا عن وضعنا ؟

هل كبرت مشاكلنا ، فعلا ، ام ان الاحداث التي نمر بها لا زالت تخبىء ، لنا ، ما لم نشهده ، بعد ، من الويلات ، والكوارث، والنكبات ؟

★ ★ ★

بصراحة ، يعتبر الوضع الحالي ، للبنان المسيحي ، من أسوأ ايام حياته ، بالنسبة لتاريخه الحديث .

فالفترة التي يحاول ان يجتازها عسيرة ، وشاقة . وما يطلبه لبنان

المسيحي ، اليوم ، هو صعب التحقيق ، لكنه ليس مستحيلا .

فكلما أصر المسيحيون ـ لا اقول كل المسيحيين ـ على طلبهم ، كلما ازدادوا سوءا . مثلما هي حالة الشرفاء ، في اي مكان ، والذين لا يتخذون للحرية بديلا .

★ ★ ★

منذ بدأت الحرب القائمة ، والمسيحيون اللبنانيون يحثون ، بين الدول الشقيقة ، والصديقة ، عمن يناصرهم ، او يقف الى جانبهم ، والى الآن لم يوفقوا في بحثهم المستمر ، بينما يتهافت العالم ، من اقصاه الى اقصاه ، على مساعدة الفلسطينيين ، وشركائهم ، واعلان التأييد للموقف الذي تقفه سوريا منهم .

★ ★ ★

ان المصالح هي التي تقرر ، دائما ، المواقف ، وتفرض التحالف ، كما تفرض العداء .

فالدول العربية لا يمكنها ، على الاطلاق ، مساعدة لبنان المسيحي ، لان البندقية الفلسطينية هي التي توجه السياسات العربية ، الى حد ما ، وخصوصا في لبنان .

تأكد ، لنا ، هذا ، ولمسناه ، خلال الحرب الفلسطينية ـ اللبنانية ، التي دامت سنتين الا بضعة اشهر .

لقد ابتعد العرب ، كثيرا ، عن لبنان المسيحي ، عندما اشتعلت الحرب بينه وبين سوريا ، لما لسوريا ـ الدولة ـ من تأثير على الدول العربية، بأجمعها، وسوريا هي التي ارغمت«الشرعية اللبنانية»على الاعتراف بأن القوات السورية ، المتواجدة في لبنان ، هي قوات شرعية ، مهمتها

حفظ الامن اللبناني ، والمحافظة على المواطنين ، مما اعطى العرب حجة لا تحتمل المغالطة ، او الاحراج •

* * *

يعتقد العرب بأن موقفهم ، اليـوم ، من لبنان المسيحي ، هو اكثر وضوحا من موقفهم السابق ، عندما كان الفلسطينيون هم المعنيين •

فلا يرى العرب اي داع للقلق ، ما دامت « الشرعية اللبنانية » هي المظلة التي تعتمدها سوريا في حربها ضد لبنـان المسيحي ، الذي تنسبه الى الكتائب و « الاحرار » (؟)

فالعرب الذين لا يملكون مواقفهم ، يختبئون وراء « الشرعية اللبنانية » ويبحثون ، تحت السراج السوري ، عن المبررات والاسباب ، التي تدفع بهم الى رفض طلب لبنان المسيحي للمساعدات •

وهكذا بالسنبة للدول الغربية •

فكما يحدد الارهاب الفلسطيني ، والاعلام السوري ، واعتـراف « الشرعية اللبنانيـة » بالقـوات السورية ، الاتجـاه الذي تسير فيه السياسات العربية ، والمساعدات الطائلة المتنوعـة ، التي تدفعها الدول العربية ضرائب ، بالقوة ، يبذل النفط العربـي ، بأمر من الفلسطينيين ، ورجال « المخابرات السورية » كذلك ، اقصى جهده ، مع الدول الغربية، في موضوع تحديد المواقف ، وتقديم التسهيلات ، والمعونات •

وبسبب النفط العربي ، طرأ تغيير ، وتعديـل ، على السياسة التي كانت تتبعهـا ، في الشرق الاوسط كل من فرنسا ، وبريطانيا ، والنمسا ، والمانيا ، وايطاليا ، قبل زمن النفط •

ولولا النفط لما اظهرت اميركا ادنى اهتمام بمشاكل الشرق الاوسط• فلو طلب ، من الدول الغربيـة ، واميركا على رأسها ، ان تضع في

الميزان (ميزان المصالح) لبنان المسيحي ، والنفط العربي ، كلا في كفة ، لرجحت كفة النفط ، على كفة الانسان ، بلا ريب •

لا اظن بأن الغربيين قد نسوا ليالي الشتاء القارسة ، التي عاشوها عام ١٩٧٣ ، بسبب انقطاع النفط العربي عنهم •

* * *

الذي يثير الخوف ، مع الاسف ، هو ان العرب ، بتوجيه سوري ـ فلسطينـي ، قد فسروا الصمود اللبنانـي ، تواطؤا ، من قبل المسيحيين (الكتائب ، و « الاحرار ») مع اسرائيل •

وكي تخذل سوريا العنفوان اللبناني ، اتهمت الكتائب و «الاحرار» بالتعامل مع اسرائيل •

ان الارهـاب الفكري ، والسياسي ، الذي يمارسه الفلسطينيون ، و « البعث » على العرب ، لن يكون حظه ، في لبنان المسيحي ، مثل حظه في اي مكان آخر • وسيقابل ، هنا ، بالنفور ، والرفض ، الى ان يتراجع•

* * *

لقد قال السيد « لوي ترينوار » : « كيف يمكن ان اترأس جمعية تضامن فرنسي ـ عربي ، في فرنسا ، والعـرب يقتتلـون فيما بينهـم ؟ كان هدف الجمعية ان تظهر حقوق العرب المهضومة ، وتكشف التسلط الاسرائيلي على الاراضي العربية ، وتبرز عدالـة القضية العربية • ماذا يمكننا ان نفعل اليوم ؟ كيف نبرر للرأي العام الذي يتعاون معنا ان يقدم العرب على قتل بعضهم البعض ، وعلى قتل رجال الشرطة ؟ لقد وجدت انه لم يعد باستطاعتي ان ابقى في مركزي انسجاما مع نفسي ••• فقـررت ان استقيل » [1] •

وقال ايضا ، السيـد « لوسيان بيتلان » الامين العـام للجمعيـة (جمعية التضامن العربي ـ الفرنسي) :

(١) « الحوادث » ، العدد ١١٣٩ .

« ان اعمال العنف العربي التي وقعت مؤخرا فوق الاراضي الفرنسية تستهدف بطريقة ، غير مباشرة ، سياسة فرنسا الخارجية » [1] .

فلماذا يحق للفرنسي ان يرفض العنف العربي ، ويتوقف « انسجاما مع نفسه » عن التضامن مع العرب ، لمجرد اعتداء ، من قبل عرب ... على سفارة عربية ، او على مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في باريس، ولا يجوز للبناني المسيحي ، ان يطالب بسيادة دولته اللبنانية ، على ارض لبنان ، بينما بلاده قد خربت كلها ، على يد العرب ؟

وهل يتهم العرب ، غدا ، السيدين « تيرانوار » و « بيترلان » بالتواطؤ مع اسرائيل ، مثلما اتهم الكتائب و « الاحرار » ؟

قد يحصل ذلك ، ما دام العرب لا يملكون مواقفهم .

★ ★ ★

عندما نقول ان وضع لبنان المسيحي هو سيء جدا ، فلا يعني ان وضع لبنان المسلم هو احسن منه . فمطالب لبنان المسلم ليست صعبة ، مثلما هي مطالب لبنان المسيحي ، التي اولها وآخرها الحرية .

قد يفضل لبنان المسلم الهيمنة الفلسطينية ، وغير الفلسطينية ، على طلب الحرية ، والسيادة .

لذلك ، لا ارى انه من المعقول ان يستعيد لبنان المسلم العهد الذي كان عليه قبل الحرب .

فأي نائب ، من النواب المسلمين، يستطيع ممارسة نفوذه، وسلطانه، في منطقته ، بعد اليوم ؟

واي من النواب المسلمين بمقدوره ان يضمن فوزه في الانتخابات القادمة ، اذا حصلت ؟

---

(1) « الحوادث » ، العدد ١١٣٩ .

في لبنان المسلم ، سيفوز في الانتخابات الآتية ، النواب الذين ترشحهم الاحزاب ، وتزكيهم المقاومة الفلسطينية .

وسيتغيب ، عن البرلمان ، معظم الوجوه السياسية الحالية ، التي مضى عليها اكثر من ست سنوات في السلطة .

اليست حال هؤلاء (لبنان المسلم) آسوأ كثيرا ، من حال لبنان المسيحي ، الذي يدفع ضريبة الدم ، عن حريته ، وكرامته ؟

وكما سيطرأ تغيير على الساحة السياسية ، في لبنان المسلم ، سيطرأ ايضا تغيير على الساحة السياسية في لبنان المسيحي .

ان الشعب الذي يناضل، ويتعرض للموت ، والابادة ، لن يأتي، ابدا بزعماء كانوا في منأى عن همومه ، ومصائبه .

في معركة الانتخابات القادمة ـ اذا تمت دون ان تستعمل سوريا نفوذها ـ سيكون الفوز مئة في المئة لمرشحي الكتائب و « الاحرار » في لبنان المسيحي ، وهذا هو الذي اثار التخوف ، والقلق ، عند « القيادات السياسية المسيحية التقليدية » فجعلها تلجأ الى سوريا ، كي تساعدها على منافسيها ، الآتين من كوادر حزبي الكتائب و « الاحرار » .

وسيمثل المجلس النيابي القادم الاحزاب العاملة في لبنان ، لا الطوائف ، ولو بقيت الهوية الطائفية محافظة على وجودها .

وابتداء من اول مجلس نيابي ، قد يتألف ، سيكون الحوار « اي لبنان نريد » بين الاحزاب ، وربما سيتفقون على لبنان الجديد ، ما دامت هنالك « قواسم مشتركة » و « اهداف » تدعو اليها هذه الاحزاب ، مثل العلمنة ، والوحدة الوطنية ، والعدالة الاجتماعية، وتأمين العلم، والطبابة، والضمان الصحي ، والاجتماعي ، لكل لبناني .

وفي البرلمان ، قد يتحول اليسار من يسار هـدام ، الى يسار بنـاء مثلما في فرنسا ، وغير فرنسا •

عندئذ يتحرر اليمين اللبنانـي (يسار اليمين اللبناني) مـن عقدة الخوف ، وينفتح على محاوره آمنا مطمئنا •

★ ★ ★

في أول ثلاثاء ، من بعـد ١٥ تشرين الاول القـادم ، يجب ان يتم انتخاب رئيس لمجلس النواب •

وبما ان الاوضاع الامنية ، والسياسية ، لا تسمح لعدد من النواب — بنظري — بالمجيء الى قصر منصور ، وربما لغير سبب ايضا ، يصبح مجلس النواب ، مهددا بالحل ، ويجب ان يحل ، ما دام عاجزا عن القيـام بصلاحياته •

فماذا قد يحصل ، يا ترى ؟

هل يحل الرئيس المجلس ، ويعلق الدستور ، ويأتي بحكومةعسكرية او غير عسكرية ، تشرف على معركة الانتخابات ، بدون ان تتحيز ، ام ان الانفجار العسكري ، المنتظر ، سوف لا يراعي هذه الشكليات ، ويقتحم التقاليد ، والاعراف ، من اجل انقاذ لبنـان ، وتحقيق الانفراج السياسي الذي يرفض المجاملة والتسويف ؟

تدعو الحاجة ، في لبنـان — المسيحي ، المسلم — الـى الانفجار العسكري ، فعلى جميع الاطـراف ان تعي ••• كما على اللبنانيين « ان يستعدوا منذ الآن لمرحلة ما بعد الحرب » — حسبمـا قال الشيخ بشير الجميل يوم الاثنين الفائت •

● العمل ١٩٧٨/٩/٧ •

التحدي الكبير

من لبنان « المزارع » الى لبنان الوطن

« قد تكون انتهت الحرب اللبنانية ، لكن الثورة لم تبدأ بعد » •

— بشير الجميل —

على اثر مقتل المرحوم طوني فرنجية ، في اهدن ، سرت موجـة من الذعر ، هنا ، وهنـاك ، واخذ النـاس يتساءلون ، ويتداولون ، همسا « لماذا مجزرة اهدن ؟ » و « من الذي خطط لها ؟ » ثم ذهب الخـوف بالناس (•••) الى ان قالوا « اهي سياسة الحزب الواحد ؟ » •

وعلى الفور ، فتحت طريق زغرتا ، في وجه الذين كانوا ، بالامس ، اعداء للرئيس فرنجية ، والمرحوم ابنه ، من جهة ، ومن جهة اخرى ، اعلن ان المنطقـة « المزرعة » لن تسكنها الاحزاب ، من بعد اليـوم ، لا سيما الكتائب •

هرب الاساتذة ، والجامعيون ، والطلاب ، ممن صعب عليهـم ان يسلموا بطاقاتهم ، واسلحتهم ، وينسحبوا من الحزب (الكتائب) •

لقد تمنينا على عائلات الشمال ، وزعماء المنطقـة ، وشبابهـا ، ان

يتصرفوا بحكمة ، ووطنية ، من اجل الحفاظ على أمن المنطقة ، والهدوء فيها ، فلم يستجيبوا لنداء العقل ، والمنطق • وفاز الذين بكت اعينهم فيما قلوبهم فرحة،عندما تأكد لهم ان الشمال سيخلو من الكتائب،فأظهروا الولاء للرئيس فرنجية ، وادعوا الاخلاص له ، وحرضوا على التحالف معه •

كثرت اللقاءات بين الرئيس فرنجية وبين الرئيس رشيد كرامي ، فالسيد وليد جنبلاط، والامام موسى الصدر، وقادة الاحزاب «الوطنية»•
كان الرئيس فرنجية يردد ، دائما في الكفور، امام زواره، قوله المشهور « ان اكبر ثلاثة مجرمين في لبنان هم رشيد كرامي، والسيد موسى الصدر، وكمال جنبلاط » ــ فسبحان الذي يغيّر ولا يتغير !•

★ ★ ★

واذ يسود التوتر اقضية زغرتا ــ الزاوية ، والكورة ، والبترون ، انطلقت الشائعات ، في بيروت الشرقية ، تحث ابناء زغرتا ، الذين يسكنون الاشرفية ، وبدارو ، وفرن الشباك ، وعين الرمانة ، وجديدة ، والزلقا ، وجل الديب ، وانطلياس ، وجونيه ، على النزوح ، فمنهم من دخل بيروت الغربية ، حسبما قيل ، ومنهم من عاد الى الشمال •

تصدى لهذه الشائعات ، بالاستنكار الشديد ، كل من رئيس الكتائب ، الشيخ بيار الجميل ، ورئيس اقليم المتن الشمالي ، الشيخ امين الجميل ، حيث صرحا بأن اعمال الانتقام لن تزيد البلاد الا خرابا •

دعا رئيس الكتائب الزغرتاويين الى العودة الى منازلهم،وطرد الخوف والوهم ، من نفوسهم ، ونبذ الشائعات التي غايتها التفرقة ، وتمزيق الصف اللبناني •

لكننا لا نعلم ان كان التجاوب ، لدعوة الشيخ بيار ، والشيخ امين، قد تم بنسبة كبيرة ام لا ، فالقصف السوري الذي تعرضت له المناطق

المسيحية ، في بيروت الشرقية ، اضعف ، لا شك ، التجاوب الذي كان يمكن ان يحصل •

وهكذا تشابكت الاحداث ، وشمل النزوح الزغرتاويين، وسواهم• فلا يستبعد ان يكون بعض العائلات الزغرتاوية من بين العائلات المهجرة، والمنتشرة بين المدارس ، والاديار ، في الجبال ، وفي احراج المتن الشمالي، وكسروان •

★ ★ ★

بعد الوفاق الذي نشأ بين الرئيسين فرنجية وكرامي ، حاول الزغرتاويون الذين كانوا يسكنون ، شتاء ، في طرابلس ، شارع عزمي ، والميناء ، مثلا ، ان يعودوا الى منازلهم ، لكن هؤلاء لم يلقوا من الطرابلسيين ما يطمئن ، حتى انه قيل عن لسان من بيدهم الامر من « رجالات » طرابلس ، ما معناه ، ان طرابلس هي مفتوحة للزغرتاويين في النهار فقط ، واما في الليل فكل يعود الى حيث أتى •

★ ★ ★

ليس غريبا ان يدافع كل حزب عن وجوده • فالاحزاب في كل مكان ، تناضل من اجل انتشارها ، واستقطاب الجماهير الفلاحية ، والعمالية ، والطلابية ، والفئات المسحوقة •

ولكل حزب ان يسعى الى الاستيلاء على الحكم ، لكي يحقق ما يهدف اليه ، ويطبق البرامج التي يرى ، من خلالها ، الاصلاح ، واستقلال الامة ، وأمنها ، وسيادتها •

وكل حزب ، معرض للاضطهاد ، والتنكيل • فبعض الاحزاب قد انقرض ، وبعضها ضعيف البنية • وهنالك احزاب حاكمة وقوية •

تشهد الامة التي تنتشر ، على ارضها ، الاحزاب ، الصراعات

ـ العنيفة ، والسلمية ـ بين فلسفة واخرى ، عملا من اجل صيانـة هذه الامة ، ومصالحها ، استنادا الى رؤى حزبية ، وافكار عقائدية ، وبرامج عمل موضوعية ، تؤكد جميعها على سيادة العقل ، والعلم ، والمنطـق ، مثلما تتنكر للسلطة العمياء والحكم الغـاشم ، والدكتاتورية المستبـدة الظالمة ، والانغلاق الجاهل ، والانحراف •

★ ★ ★

في تاريخ كل حزب ، ما يشهد على عذابه ، وعلى الصعوبات التي واجهته ، وتواجهه • كما ان لكل حزب شهداءه ، وابطالـه ، ورجالاته المخلصين ، ومفكريه ، وادباءه ، وشعراءه ، وفنانيه •

وفـي لبنـان ـ هذه الايام ـ احزاب تعمـل ، في وضح النهار ، لها مكاتب غير سرية ، وقادتهـا معروفون ، يتحركـون من غير تحفظ ، ويدلون بآرائهم ، دون خوف ، للصحف الحزبية ، والمستقلة •

هذه الاحزاب ••• كانت ، لسنوات خلت ، مكسر عصا السلطة •

نشراتها كانت توزع ، في الليـل ، خوفا من نفوذ الدولة ، الـتي كان يؤازرها « الامراء » ، والمشايخ ، ورجال الدين ، والوجهـاء ، وابنـاء العائلات الاقطاعية ، والبورجوازية ، والتجار ، والرأسماليون •

ان حكومتنا التي تهيمن عليها العقلية الاقطاعية ، ذات المفهـوم العشائري المتحجر ، هي التي اعطت الفرصة لهذه الاحزاب (المضطهدة) لان تطمع بالاستيلاء على الحكم ، والاطاحة بالقدماء المتخلفين •

وكان لا بد لهذه الاحزاب من التعاون ، مرحليا ، مع الفلسطينيين ، والنظم العربية ذات النزعـة الاشتراكية ، التي مدتهم بالمال ، والسلاح ، حتى استطاعوا ان يكوّنوا فريقا هاما ، في الحربين ، اللبنانية ـ الفلسطينية ، واللبنانية ـ السورية •

من هنا وجب على حزبي الكتائب ، و «الاحرار» ان يواجها هذا المد الحزبي الذي يستعين بالخارج ، لكي يحفظا الشرعية بقاءها ، ونفوذها •

غير ان الذين كان عليهم ان يتحالفوا مع هذين الحزبين (الكتائب ، و « الاحرار ») التزموا الصمت ، فتركوا واجب الدفاع عن الشرعية ، للكتائب ، و «الاحرار» وحدهم ، وذلك اما خوفا من الكتائب و«الاحرار» واما ايمانا منهم بأن الشرعية هي باقيـة ولا خوف على زعاماتهم ، اذ رأى هؤلاء انه كلما احتدم الصراع ، بين اليسار واليمين ، كلما التف حولهـم الشعب اللبنـاني ، الفئة الصامتة ، الذين ينشدون الامن ، والاستقرار ، ويخافـون من انتشار الاحـزاب ، كل الاحزاب ، سـواء اليمينية ، ام اليساريـة •

★ ★ ★

وحـده الرئيس سليمان فرنجيـة ، الذي تحـالف مع الكتـائب و « الاحرار » ، في حرب السنتين • كانت غايته من هذا التحالف الاستمرار في الحكم ، الذي تمكن الكتائب و « الاحرار » من الدفاع عنه خير دفاع •

وعندما انتهت مدة ولايتـه ، عاد ليفكر مثلما يفكر سائر « زعماء » لبنان ، و « امرائه » ، فاصطدم مع العقلية الحزبية ، والتطلعات الجديدة ، والجريئة ، التي كان يعرضها الشيخ بيار الجميل ، خاصة ، على « الجبهة اللبنانية » التي من اعضائها الرئيس فرنجية •

لقد وجدت الاحزاب المناوئـة ، في انفصـال الرئيس فرنجيه عن حلفائه ، فرصة لاحتوائه ، والتعاون معه ، كي يتمكنوا من تحجيم حزبي الكتائب ، و « الاحرار » •

تبنت سوريا عزل هذين الحزبين ، فانضم اليها ، رأسا « الامراء »

اللبنانيون ، يقينا منهم بأن سوريا سوف تخلصهم من خطر الاحزاب ، الآخذ في الانتشار ، في كل انحاء لبنان •

وكانت الصدمة الكبرى ، ان صمد الكتائب و « الاحرار » في وجه هذا التحالف الذي ملؤه التناقضات ، والغرائب •

★ ★ ★

ليس سرا ان تكون سوريا « البعث » قد تحالفت مع الاحزاب « الوطنية » والتجمعات السياسية الطائفية ، والامراء ، والعشائر ، واصحاب الزعامات العائلية ، و « الشرعية اللبنانية » لضرب الكتائب و « الاحرار » وتأمين سيطرة « البعث » على البلاد ، ثانيا •

لكن هذا السر ادركه الحزبان (الكتائب و «الاحرار») فيما جهلته الاحزاب الاخرى ، وجهله بقية حلفاء سوريا •

★ ★ ★

لقد تحالفت الثورة البلشفية (عام ١٩٠٧) مع جميع الطبقات الروسية ، للاطاحة بالقيصر ، عدو الجميع المشترك ، حيث أمّنت هذه الثورة لنفسها النصر • ولما انتهت من معركتها الاولى ، بدأت حرب التصفية مع سائر الحلفاء ، فانتصرت ايضا •

★ ★ ★

وكما الثورة البلشفية ، تحاول سوريا ان تفعل ، اليوم ، في لبنان •

لكن صمود الكتائب و « الاحرار » سوف يفقدها النصر الذي تتوخاه ، والذي يشبه ، الى حد بعيد ، انتصار البروليتاريا الروسية ، ان هو تحقق •

اذا انتهت الحرب اللبنانية ـ السورية ، بانتصار الكتائب و « الاحرار » في مناطقهم ، سترتبك سوريا ، بعدئذ ، في صراعها مع حلفائها • وفي هذه الحال قد تنتصر الاحزاب (الشيوعيون ، التقدميون الاشتراكيون ، الناصريون، القوميون السوريون، والبعثيون اللبنانيون) بمساعدة الفلسطينيين الذين تريد سوريا رأسهم ، واخضاعهم لنفوذها ، في لبنان مثلما هم على ارضها •

وسينتصر كل هؤلاء على سوريا اسوة بانتصار الكتائب و«الاحرار» عليها ، لتتراجع سوريا عن مناطقهم ، بعد ان يكون الفشل الذريع للحلفاء التقليديين ، مسيحيين ومسلمين ، ذوي النظر القصير ، والآفاق الضيقة ، والمحدودة •

★ ★ ★

قد يسأل البعض ، متى سيكون هذا ؟

ان هذا قد يحصل ، عندما ينتصر الكتائب و « الاحرار » ، في مناطقهم ، على سوريا •

ولا بد ان تخرج سوريا ، من لبنان ، ان لم يكن اليوم ، فغدا • وسيبقى لبنان للبنانيين ، كل اللبنانيين ، يمينيين ، ويساريين •

اما الفلسطينيون ، فبينهم وبين اليسار ، صراع ايضا •• لن يقل اهمية عن ذلك الذي كان بين اللبنانيين والفلسطينيين •

وقد يتجه اليسار اللبناني ، بعد الحرب ، الى بناء لبنان الجديد ، بالاشتراك مع الكتائب و «الاحرار»، الامر الذي سيثير حنق الفلسطينيين، الطامعين حتى الآن، بالسلطة حيث هم ••• ولكن الغلبة ستكون لليسار اللبناني ـ اللهم اذا اتجه نحو الاعتدال ـ مثلما كانت للكتائب و«الاحرار» الذين جاهدوا وصبروا وصمدوا •

ان الاحزاب التي اعتمدت العنف ، خلال الحرب ، دفاعا عن وجودها هي مرغمة على ان تنطلق ، في السلم ، نحو التفاهم ، والحوار البنـــاء ، المثمـــر .

فعليها اذن ، ان تعيد، ابتداء من اليوم، النظر في اس[illegible] العقائدية ، والفلسفية ، بطريقة منهجية ، علميـــة ، موضوعية ، تتناسب مع لبنـــان الوطن ، اذ ان لبنان يريد ان يكون وطنـــا ، لا مجموعـــة « مزارع » . ووحدها ، الاحزاب ، ترفض لبنـــان « المزارع » .. فلماذا لا تتفق على انقاذه ، وبنائه وطنا واحدا ، موحدا ؟

انه التحدي الكبير .

٢٤

في ذاكرتي حكاية صغيرة [1]

« الذي يستطيع ان يركب على ذيل نمر من دون أن يجعله يصرخ ينجح في الحياة » .

ـ مثل صيني ـ

فخامة الرئيس ،

ترددت كثيرا قبل ان اكتب اليك ، ذلك لانني اعرف انك منهمك ، ووقتك لا يسمح لك بقراءة غير التقارير . ثم عـدت لاجد نفسي قد استسلمت للقلم « الجلاد » الذي ما زال يعمل بسوطه ، على جلدي ، رغم الجراح التي حملتهـا ، وعذاب الشوق الى الجنوب ، ووجع الحنين الى الامن ، والحرية ، والفرح .

وها ان صاحبـي (القلم) قد اوشك ان يأتي على آخـر ما املك ـ ومثلـي لا يعرف « م ن اين تؤكل الكتف » ـ فسامحني يا فخامـة الرئيس ، سأسرق منك بعض الوقت ، كما أمرني صاحبي ، في هذه الليلة العربية ، التي اخذت من اعيننا النوم، فقضيناها ـ امي، واطفالي، وانا ـ على الادراج ، لان الملجأ يقع في البناء الآخر الذي تفصله عنا الطريق .

(١) كتاب مفتوح الى فخامة الرئيس الاستاذ الياس سركيس .

فخامة الرئيس ،

ان كتابي هذا لن يتناول لا السياسة ، ولا الاقتصاد ، ولا القضايا العسكرية ، فهذه تركتها لزوارك ، لعلمي بأن شؤون البلاد السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، والاجتماعية ، تنام كلها معك ، وتوقظك قبل طلوع الشمس ، فتسبقك الى الشرفة اذا رأتك تحنّ الى الجلوس على الشرفة ــ والى مكتبك ، كما الى الصالونات . وأراها تلاحقك حيثما اتجهت . فهي ، عندك ، في كل فنجان قهوة ، يقدم اليك ، كلما جاءك زائر ، وفي كل كأس تؤتى به لتشرب نخب سفير جديد ،حضر، بين يديك ، ليقدم اوراقه . وعلى المائدة ، كلما دخلتها ، الى الغداء ، او العشاء ، سواء كنت وحدك، ام كان معك ضيوف. ويحضرني سؤالان يا فخامة الرئيس ،

الاول : هل تتركك هذه الامور الثقيلة ، والمتشابكة ، تنام ، بعد الظهر ؟

الثاني : هل تذهب مشاغلك الصعبة ، والحرجة ، قبلك ، في المساء، الى غرفة نومك ، لكي تسهر ، ولو ساعة واحدة بدونها ؟

لا اظنك بغنى عن العقاقير المهدئة ، وحبوب النوم ، فما انت فيه لا تحسد عليه . وقد قال صاحبي (غير لبناني) مرة :

« ليس في العالم ، اليوم ، بائس مثل رئيس جمهوريتكم » .

فخامة الرئيس ،

وفي كتابي هذا ، لن احكي عن المهجرين . فالحديث عنهم يطول ، ويطول . ولعلك سمعت عنهم ما يكفي .

فخامة الرئيس ،

في ذاكرتي حكاية صغيرة ، اريد ان اقصها عليك ، بعيدا عن الاجواء السائدة ، ولا شيء اكثر .. فأرجو ان تعيرني اصغاءك ، ومحبتك .

كان احد المرابين (اخذه الله منذ سنتين تقريبا) يقرض امواله الى المزارعين ، والتجار ، والصناعيين ، والموظفين ، بفائدة قدرها ٣٥ في المئة.

وكان لهذا المرابي بساتين واسعة . اما انا فكنت اتاجر بالمواد الزراعية ، فقصدته لامر تجاري . كان ذلك قبل اكثر من ست سنوات .

وبينما نحن في الحديث ، دخل عليه احد المدينين ، يشكو له الخسارة التي لحقته بسبب العاصفة المجنونة التي هبت على بساتين المنطقة ، فكسرت الموز ، والبرتقال ، في بستانه ، وطلب منه ان يؤخر دفع المال الذي له في ذمته ، الى الموسم الذي يتلوه .

(علمت ان اساس المبلغ هو ٦٠ الف ليرة لبنانية، ثم اصبح ٨١ الفا).

تناول المرابي قلما وورقة ، وهو يقول « لا حول ولا قوة الا بالله »، واجرى حسابا ، وقال له : « يصبح المبلغ ١١٠ الاف ليرة ، مع الطوابع ».

قال المدين ، وقد اصفر وجهه « هذا كثير .. وامكاناتي لا تسمح.. كما تعلم ، لا سيما ان خسارتي في هذا الموسم هي كبيرة وجسيمة » .

قال المرابي « كأنك لا تعرف طريقة معاملتي » ، وسحب دفترا . من مكتبه ، ليطلعه على حساب عملائه .

وهنا اخذ ينظم كمبيالة بالمبلغ (١١٠ آلاف ليرة لبنانية) والصق عليها طوابع كانت مستعملة ، فهمت ، اخيرا ، انه يغسل الطوابع من الحبر ، وينشفها ، ثم يستعملها مرة اخرى ، ويقبض قيمتها من المدين ، اما نقدا ، او مع الحساب ، ودفع بالكمبيالة الى المدين ليوقعها .

تلاسن الاثنان ، واحتدم النقاش بينهما .

المرابي يطلب توقيع السنـد . والمدين يقول « حرام عليـك . الا تخاف الله ! »

بعد جـدال طال نصف ساعة ، وقّع المدين الكمبيالة ، بينما كانت عيناه تقطران دمعاً كما الجمر .

لما وقّع المدين الكمبيالة، اخذها المرابي، وقبّلها، ورفعها الى جبينه، والبسمة تملأ فمه ، ثم وضعهـا في خزانته ، وهو يقـول له « يجب ان تعرف طريقتي في المعاملة ... وهذا هو حقي » .

ما ان فرغ المرابـي من كلامـه ، حتى انهـال عليه المدين بقامتـه الضخمـة ، وضربه على وجهــه ، ورأسه ، ضربة ، ضربتين ، ثلاث ، ثم اربع ... وبصق ، بعدها ، بين عينيه ، وأدار ظهره ، وهو يصرخ بصوت متهدج فيما كان يفتح البـاب ليخرج ، « هذا اجرام . هذا كفر . هذا حرام . ويل لكم من عذاب الله ، ايها المرابون » .

لم يجبه المرابي ولا بكلمة واحـدة . ولما تأكد له انه ذهب ، مسح وجهه بكفه ، ومسد شعره ، وقال لي :

« بسيطة يا استاذ .. ليفعل هذا الشرس ما يريد . المهم ان يوقّع السند . فبستانه مرهون لامري في الدوائر العقاريـة . واذا لم يدفع ، عند الاستحقاق ، سأشلحه الارض » .

ثم اخذ السند من الخزانة ليقول لي :

« انظر الى هذا السنـد انه اقوى من عضلاتـه ، واقوى من كل شيء .. غـدا ، في المحكمـة ، هو الـذي سينتصر ، لا ذلك الشرس ، الخبيث ، وناكر الجميل » .

وقبل ان يرجعه الى الخزانة ، قبّله ثانية ، ورفعه الى رأسه .. وهو يبتسم ، ويهز رأسه .

فخرجت لا اعرف ماذا اقول .

● صوت الاحرار ١٩٧٨/٩/١١ .

٢٥

الاسد ينقلب على الاسد (١)

لو كنت مواطنا سوريا ـ من الشام ، مثلا ـ وحاولت ان اعلـق على تصاريـح الرئيس حافظ الاسد ، التي منها ما اذيع من راديو المانيا الاتحاديـة ، عشية سفره الى بون ، وما قاله في بون امام الرئيس الالماني السيد فالتر شيل، يوم الثلاثاء ١٢ الجاري ـ بما يخص القضية اللبنانية ـ فلم اخالفه الرأي ، الا حول فكرة واحدة ، لالقوا بي الى السجن ، ومن هناك ، لا يعلم الا الله و « الراسخون في العلم » متى سيكون الخروج .

★ ★ ★

فالذين دخلوا السجون السوريـة ، لاجـل مواقفهم السياسية ، وآرائهم ، وافكارهم ، المعارضة لسياسة الدولة منذ عام ١٩٧١ ، ما زالوا ينتظرون اما العفو ، واما التصديق على الاحكام .

لهذا ، احمد الله على انني من لبنان ، وليقل « السوريون القوميون الاجتماعيون» ما شاء لهم، فبالرغم من كل ما في لبنان، اليوم، من مآس ، ومصائب ، وخوف ، وقلق ، وغموض ، وانهيار في المؤسسات الوطنية ، والحكومية ، وتفكك في صفوف الشعب ، وتناحر بين المسؤولين ، يبقى

(١) قراءة لتصاريح الرئيس حافظ الاسد في بون،عاصمة المانيا الاتحادية.

هذا الوطن بلدا للحرية ، والفكر ، والانفتاح ، يشرفني الانتماء اليه ، كما لا ارضى عنه بديلا .

★ ★ ★

ولانني من لبنـان لا اظن بأن الرئيس الاسد سوف يضيق صدره بكلمة ، سأحرص على ان تكون صادقة ، وان تكون حقا ، وهو القائل ، يوم ٢٠ تموز ١٩٧٦ :

« نحن في سوريا نقبل ان يقول لنا رئيس لبنـان اخرجوا ، او لا تخرجوا ، رئيس وزراء لبنان اخرجوا او لا تخرجـوا ، رئيس نـواب لبنان .. ومن اي مواطن في لبنان . اي مواطن في لبنان يمكن ان نقبل منه ، ولكن لا يمكن ان نقبله من مواطن عربي فلسطيني . ان يقول لنـا اي مواطن عربي فلسطيني اخرجوا من لبنـان ، فهذا امر مرفوض قطعا ليس بالنسبة لنا فحسب ، بل بالنسبة لكل العرب سياسة سورية من اجل فلسطين ، لم تكن من اجل فلان من النـاس ، لم تكن من اجل زيد ومن اجل عمرو » .

★ ★ ★

كان يوم ٢٠ تموز ١٩٧٦ ، بالنسبة للبنانيين ، يوما تاريخيـا ، قدم اللبنانيون فيه ، للرئيس حافظ الاسد اروع آيات الشكر ، والامتنـان ، واعربوا عن تقديرهـم لشخصه ، اذ رأوا فيه الزعيـم العربي الصادق ، والمخلص ، والشجـاع . وتحسسوا من خلال مواقفـه المفاجئة القائـد المتحـرر من العقد ، والاحقـاد ، والرواسب ، والداعي الى العروبـة (الحضارية) مثلما سماها فريق لبناني كبير .

وارتفعت صور الرئيس الاسد ، في ساحـة الاشرفيـة ، وسائـر

المناطق المسيحية ، اعترافا منهم بحسن ما صنعـه الرئيس الاسد ، عندما اوقف الحرب الفلسطينية ـ اللبنانية .

★ ★ ★

جاء في مقـال كتبته « سمعت عليا في الشام » نشر في « العمل » ، « صوت الاسد ، من الشام ، كلمة حق طالما انتظرناها » [1] .

★ ★ ★

فنحن الذين لم نقصر عن شكر الرئيس الاسد ـ قدر المستطاع ، طبعـا ، اذ « لا يكلف الله نفسا الا وسعهـا » ـ نـرى ان من حقنـا الاعتراض على كل كلمة لا تجسد واقعنا ، ولا تخدم قضيتنـا ، ولو كانت صادرة عن الرئيس الاسد نفسه .

كذلك ، لا نجد حرجا ، اذ ننظر الى الحق ، فننحني امامه ، ونأخذ به اكبارا ، واجلالا .

فالحق ، عندنا ، هو السيد . من اجله نناضل ، ومن اجله نستميت.
واما الباطل فهو عدو لنا ، وسنبقى نحاربه حتى آخر شهيد .
وعلى هذا ، نقرأ اليوم ، تصاريح الرئيس الاسد .

★ ★ ★

« دخلنا لبنان استجابة لطلبات الاستجابة لاستغاثات نجدة وردتنـا من مئات العائلات ، من آلاف المواطنين اللبنانيين ، ومن جهات متعـددة وبموافقة السلطة الشرعية في لبنان . وكلفنا الدخول الى لبنان تضحيات كبيرة بعضها مادي وبعضها بشري » .

بلـى !

لقد استغاثت مئات العائلات اللبنانية ، وطلبت النجـدة السورية ، حقا .

---

(١) كتابنا « اية عروبة اة قضية » ص ٢٠٦ .

لكن هذه العائلات فعلت ذلك واكثر قبل ان تشتد الازمة في لبنان، يوم خـرج اللبنانيـون (ربيع ١٩٧٥) ــ مسلمون ومسيحيون ــ الى الشوارع بالزهور ، واليافطات التي تحث على المحبة ، والتفاهم ، غير ان المؤامرة على لبنان بقيت مستمرة ، وعبثا حاولت هذه العائلات اللبنانية .

ثم حملت الصحف اللبنانية رسائل ، من الكتّاب، والشعراء ، والادباء، الى المسؤولين اللبنانيين ، كما الى الفلسطينيين ، والعرب ، كل العرب ، تطالبهم بانقاذ لبنان ، وابعـاد خطر الحرب عنه ، فلا النار اخمدت ، ولا الفلسطينيون اوقفوا اعتداءاتهـم على اللبنانيين ، وامتدت الحرب حتى شملت جميع انحاء البلاد .

★ ★ ★

كان السيد عبد الحليم خدام ــ كلما جاء الى بيروت ، وسيطا ــ يستقبل بالزهور ، ومثله كل مندوب عربي ، وعلـّق اللبنانيون آمالهم على العرب ، عامة ، وسوريـا خاصة ، فيما بقي العـرب يمدون الفلسطينيين بمختلف الاسلحة ، وبالاموال والمرتزقـة . وبقيت سوريا على موقفها ، طوال حرب السنتين ، تساعد الفلسطينيين ، وحلفاءهم ، على تمزيق لبنان، وجيشه .

« عندما بدأت احداث لبنان منذ اشهر طويلة ، كان لنا تفسير لهذه الاحداث ، وكنا نشترك في هذا التفسير مع الكثير من الاحزاب التي تطلق على نفسها الاحزاب الوطنية في لبنـان ومع فصائل المقاومة الفلسطينية ، كنا نقول ان احداث لبنان نتيجة مخطط استعماري يهدف الى :

١ ــ تغطية اتفاقية سيناء .

٢ ــ توريط المقاومة وضربها وتصفية المخيمات وارباك سوريا .

٣ ــ تقسيم لبنان .

هكذا كنا نقول ، وهكذا كانوا يقولون ، وفي تقديري لو سألناهم اليوم ربما كرروا هذا الكلام » [١] .

كان بود سوريا ا نينتصر الفلسطينيون وحلفاؤهم ، ويطيحوا بنظام الحكـم في لبنـان ، لكن شيئا من هذا لم يكن ، مما ارعب سوريـا ، واجبرها على ان تتدخل عسكريا ، عبر جيش نظامي ، لتحسم المعركة بين الفلسطينيين واللبنانيين ، وتوقف حمامات الدم التي فتحها الفلسطينيون في لبنان ، كي تتمكن ، مستقبلا ، من ان تصبح طرفا رئيسيا ، وتحقق ما تصبو اليه .

« ساعدناكم سياسيا ــ الكلام للرئيس الاسد موجه الى المرحـوم كمال جنبلاط ــ وساعدناكم عسكريا . اقصد عسكريا بامدادكم بالاسلحة والذخائر ، مع هذا لم تستطيعوا ان تصمدوا ودخلنا لبنان وغامرنا باحتمال مجابهة الحرب مع اسرائيل . وحققنا للمقاومة كل الضمانات التي تريدها والكفيلة بحرية عمل المقاومة ثم ناقشنا الاصلاحات الوطنية واتفـق على الوثيقة الدستورية » .

ان هذا يعرفه المسيحيون حق المعرفة .

لكن خطاب الرئيس الاسد ، الشهير ، قد غطى كثيرا من العيوب ، السورية ، فدخل قلوبهم ، وعقولهم ، بمحبة ، طالما تمناها هؤلاء .

★ ★ ★

واستبعد المسيحيون ان تفتح سوريا ، في لبنـان ، حمامات دم ، مثلما فعل الفلسطينيون ، والرئيس الاسد هو القائل : « في لبنان ليست هناك مشكلات ، اذا اردنا ان نصفي حساباتنا عسكريا ، فالامر سهل . ولو اردنا ان نسلك درب تصفيـة الحسابات عسكريا لانتهى الامر منذ زمن. ولكننا لم نسلك هذا الدرب ، لن نسلك، هذا الدرب » [٢] .

(١) من خطاب الرئيس الاسد في ٢٠ تموز ١٩٧٦ .

(٢) المصدر نفسه .

فكأن ما نقوله ، في عام ١٩٧٦ ، يجب ان تتناساه ، وتتنكر له ، عام ١٩٧٧ ، او بعده •

فالجيش النظامي الذي « لن يسلك درب تصفية الحسابات عسكريا، قد بدأ ، منذ شتاء ١٩٧٨ ، يصب جام غضبه على السكان ، في الاحياء المسيحية ، حيث قتل اطفالا ، ونساء ، وشيوخا ، وهدم منازل ، وهجّر اناسا كانوا آمنين •

وخنقت لبنان الازمات الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية • كما غدا اهله في وضع ينذر بالانفجار ، على جميع الصعدان •

يقدر الخبراء ان الخسائر الناتجة عن القصف السوري ، قد تفوق ما سببته حرب السنتين ، على الصعيد الاقتصادي ، وبوجود الجيش السوري ، في لبنان ، سمعنا بمجازر ، ومذابح ، لم نسمع بمثلها طوال حرب السنتين •

★ ★ ★

ولدى السؤال عن الاحداث في لبنان ، يجيب الرئيس الاسد :
« وفي طبيعة الحال كل ما فعلته هذه القوات حتى الآن هو الرد على مصادر النيران واسكاتها ومن يعد الى البيانات التي تصدر عن قيادة قوات الردع لدى كل اشتباك يتأكد له ذلك » •

ماذا تقول بيانات « الردع » ؟

انها تدّعي ، دائما ، ان مسلحين قد اطلقوا النار على قوات تابعة لقوات الردع العربية ، فردت « قواتنا » عليها واسكتتها •

فقوات « الردع » التي « ترد » على نيران المسلحين ، قد شردت اكثر من ٦٠ الف عائلة ، واحرقت آلاف المنازل ، والمؤسسات ، وقتلت مئات من الابرياء ، وساعدت على هجرة الطاقة الانسانية اللبنانية •

هذه القوات ، هي بنظر الرئيس الاسد ، سلاح «الشرعية» و «تعمل من اجل الامن » دون ان تعتدي على احد من اللبنانيين « ليست هي التي تواجه الميليشيات • الميليشيات هي التي تواجه قوات الردع » •

كأني بالرئيس الاسد يريد ان يقول لو كانت قوات الردع ستواجه « الميليشيات » لما بقي مسلح ، ولا حجر فوق حجر •

★ ★ ★

في مكان آخر ، ينفي الرئيس الاسد ان يكون لسوريا اي هدف سوى حماية الشرعية ، وصيانة لبنان ، والحفاظ على وحدته ، فيقول « لا مصلحة لنا ذاتية في لبنان ، ولو اجتمع اللبنانيون الآن واتفقوا بعضهم مع البعض وقالوا لنا اصبحنا في غنى عن مساعدتكم ايها الاخوة في سوريا ستترك لبنان مباشرة • لو طلبت الحكومة الآن ان تترك لبنان لتركناه مباشرة » •

يبدو ان الرئيس الاسد قد تحجر قلبه ، ونسي ما قاله منذ سنتين •

والغريب في الامر هو ان يرى خسائر لبنان ، وويلاته ، التي لحقت به في حرب السنتين ، فيبكي مع اللبنانيين ، بينما ينظر الى الذي يجري اليوم ، عندنا ، على يد قواته ، بعين الرضى والاستحسان •

« لقد استمرت الحرب الاهلية في لبنان اكثر من سنتين وذاق هذا البلد العربي الشقيق الكثير من الويلات • قتل الآلاف من ابنائه ، شبابا وشيوخا ، نساء واطفالا ، ودمر اقتصاده ، وهجّر سكانه ، ويكفي ان اقول انه خرج الى سوريا من لبنان ما يقرب من مليون انسان » •

لماذا تراجع الرئيس الاسد ، وسمى الحرب في لبنان « أهلية » ، وهي ، حسب اعترافه ، مخطط استعماري ؟



ليس اصعب من ان يغير المسؤولون مواقفهم ، وينقلبوا على انفسهم .

لقد انقلب الرئيس الاسد ، على نفسه ، وغير موقفه من القضية اللبنانية ، فزادها تعقيدا .

« نحن لسنا طرفا في لبنان ، الذين يواجهون قوات الردع هم عبارة عن ميليشيات في تجمعين : الكتائب والاحرار . لو كان الصراع ثنائيا لما كان في مقدور هؤلاء موضوعيا ان يواجهوا الجيش السوري . استطاعت اسرائيل ان تتصيد بعض قادة هذين التجمعين وهي تحركهم » .

لقد وقع الرئيس الاسد في التناقضات ، ولم يعد يعرف كيف ينقذ نفسه .

يتهم قادة الكتائب و « الاحرار » بالعمالة ، والتواطؤ مع اسرائيل، ويطلب من اللبنانيين ان يجتمعوا كي يتفقوا على انسحاب القوات السورية من لبنان . فيما هو يعرف جيدا بأن اللبنانيين لن يجتمعوا ما دامت القوات السورية موجودة على الاراضي اللبنانية .

ان الارهاب الذي تمارسه « المخابرات السورية » على السياسيين اللبنانيين ، وعلى الاحزاب العاملة في لبنان ، يمنع على اللبنانيين ان يجتمعوا ، مثلما يزيدهم تفرقة ، وتباعدا .

ان « المخابرات السورية » هي التي استطاعت ان تشق صفوف المسيحيين ، ففصلت الرئيس سليمان فرنجية عن حلفائه .

وهي ، ايضا ، التي استقطبت بعض القيادات الروحية والسياسية .

« الجميع يعرف ان الرئيس سليمان فرنجية كان بالامس رئيس جمهورية لبنان ، وكان العضو الرئيسي في الجبهة اللبنانية التي تدّعي انها تمثل الموارنة . الرئيس فرنجية اختلف معهم وانفصل عنهم لسبب اساسي

هو انهم لا يريدون ان يتركوا السلطة اللبنانية ، للدولة اللبنانية ، ان تنمو وان تأخذ مؤسساتها مكانها الطبيعي » .

هنالك اسباب ، غير التي ذكرها الرئيس الاسد ، تقف وراء النزاع الدائر بين الرئيس فرنجية ، وحلفائه السابقين ، والكتائب خاصة ، ابرزها ان الرئيس فرنجية لا يرتاح الى انتشار حزب الكتائب في الشمال .

فكيف يسمح الرئيس الاسد لقواته بأن تستغل هذا الخلاف ، وتعمل على توسيعه .

وفي مطلق الاحوال ، نحن لا نثق بأن القوات السورية تعمل من اجل اعادة السلطة الى الدولة اللبنانية .. ولو كانت تنوي ذلك فعلا ، لاظهرت مواقف غير قصف المسيحيين وتهجيرهم .

الم يعلم الرئيس الاسد بأن التحيز لفئة دون اخرى يؤدي الى الحقد ، والكراهية ، ثم الى ثورة ترفض كل سلطة ليست لبنانية ؟

لماذا لا يعترف الرئيس الاسد بأن في مقدور الكتائب و « الاحرار » ان يواجهوا الجيش السوري ، وهم الذين أبلوا البلاء الحسن في حرب السنتين ؟

★ ★ ★

لا بد ان يكون الرئيس الاسد ، في قرارة نفسه ، قد شعر بالخطأ الكبير الذي فعلته قواته في لبنان .

ولكي يقلل من اهمية هذا الخطر ، ومن وهج العنفوان اللبناني ، والمجابهة اللبنانية ، سلّط على الكتائب و « الاحرار » حربا اعلامية ، تعتمد على التهم ، فقط ، من دون ان يعرف ان نتائجها ، عليه وعلى قواته، ستكون سيئة وقاسية .

من المؤكـد ان الكتائب و « الاحرار » سوف يثبتون بالبرهـان ، للجيش السوري ، ان لبنان انما هو كيان ثابت ، ومستقل ، يستطيع ان يتصدى لكل محاولة « احتلال » في كل وقت ، ولو كانت على يد جيش قوي ، ومجهز بأحدث الآليات ، والمعدات ، مثل الجيش السوري •

★ ★ ★

لن ينتظر الكتائب و « الاحرار » الى يوم يتفق فيه اللبنانيون على خروج سوريا من لبنان ـ لانهم لن يتفقوا والسوريون عندنا ـ او الى ان تقول الحكومة اللبنانية ، للسوريين ، « صرنا بغنى عنكم » فهذه ايضا لن تصل الى ذلك اليوم •

لذلك ، بات على الرئيس الاسد ان يتذكر ما قاله منذ سنتين :

« اذا كنت سأنطلق من كوني ثائرا ، الامر يختلف ، الثورة عـدل وعدل للجميع • والثـورة ضد الظلم وضد كل ظالم • ولكل النـاس • الثـورة اصلاح وتصحيح • الثـائر لا يرفع الظلـم عن نفسه ليوقع به الآخرين ، وانما يرفـع الظلم عنه وعن الآخرين • هكذا الثائر ، وهكذا المسلم ، والمسلم الحقيقي هو الثائر الحقيقي والاسلام هو الثورة الكبرى في تاريخ أمتنا العربية وتاريخ البشرية » •

ففي لبنان لن يعرف الطامعون لا الاستقرار ، ولا الطمأنينة •

تصاريح الرئيس الاسد الاخـيرة تكشف النقـاب عن انقلاب من الرئيس حافظ الاسد على الرئيس حافظ الاسد • ومن يستعين بلبنـان ينتصر •

● العمل ١٥ ايلول ١٩٧٨ •

٢٦

لبنان يدخل مرحلة جديدة

ان الاحداث المتلاحقة ، في لبنان ، هي عناوين عريضة ، واشارات ، لما حدث ويحدث في المنطقة ، واحيانا في مناطق اخرى •

لقد جعل لبنـان ، من نفسه ، مرآة تنعكس عليها صور واشكال ، هي ، في الواقع ، بعيدة عن بعضها البعض ، لكن لبنان استطاع ان يعرف الواحدة بالاخرى •

ونظرا لما في هذا البلد (المركّب ، والموازييك) من عجائب، وغرائب، وتناقضات ، تتجاوز هذه الصور والاشكال حدود التعارف • فبعضهـا يتجـه نحو تحالف عسكري ، واقتصادي ، وسياسي ، يبقى عرضة لكل خلل ، والبعض الآخر يستعجل الصراع الذي قد لا يدوم •

★ ★ ★

فمن لبنان ، وعلى حسابه ، تنطلق الشرارة الاولى لكل حرب ، بين دولة واخرى •

ومنه ايضا ، وعلى حسابه ، يتم التوصل الى معاهدة صلح ، وعقد اتفاق ، بين فريقين متنازعين او اكثر •

وكأن لبنان ، بالنسبة للشعوب الاخرى ، هو حقل تجارب ، لا يحق للانسان الذي يولد فيه ، ويعيش تحت سمائه ، ان يعترض ، او يرفض التجربة •

★ ★ ★

من هنا ، نشأ الصراع الذي يشبه الدائرة ، والذي يستقطب النزاعات العربية والعالمية •

فعلى محيط الدائرة ، وفي داخلها، تتشابك القضايا، وتتعقد الامور، لتضيع نقطة الانطلاق •

وشيئا فشيئا يقترب لبنان (الدائرة) من القفزة في المجهول ، حيث يصبح الحل مستحيلا ، ويضعف الامل بانقاذه ، الى ان ينعدم •

★ ★ ★

ان اول صراع ، في لبنان ، هو الذي بين الانسان ومحيطه • ويعود هذا الصراع ، في تاريخه ، الى يوم كان هنالك انسان يرفض ان يعيش غير حر •

★ ★ ★

فبالرغم من مشيئة محيطنا ، وما يتفق معها من اهداف ، ومآرب ، تعود الى قوى عالمية ذات تأثير ، مباشر ، وغير مباشر ، سيستمر هذا الانسان ، في صراعه ، من اجل الحرية التي هي اول اهدافه ، وآخرها •

★ ★ ★

لو لم يكن ، في لبنان ، الانسان المميز ، وهو الذي يصر على حريته، واستقلاله عن محيطه ، من اجل تحرير محيطه من عقدة المتسلط والمستبد، لتمت التسويات التي تسعى الى تحقيقها الدول الكبرى التي تساعدها الفئات المعنية ، ودول هذه المنطقة •

★ ★ ★

للمرة الالف ، نقول ان الصمود الذي اظهره ، ويظهره ، هذا الانسان اللبناني ، هو الذي يبطل ، بالرفض ، كل حل غير عادل •

★ ★ ★

لذلك يختلف الانسان اللبناني ، عن غيره ، بنظرته الى الامور ، والقضايا •

وكلما اشتد هذا الخلاف ، وتباعدت آراؤه عما يسعى بالاجماع ، نجد ان الحرب القائمة على ساحتنا قد اخذت تتصاعد ، وان الازمات التي تعانيها المنطقة تشتد وتتفاقم •

★ ★ ★

فالحرب التي يخوضها لبنان ، منذ عام ١٩٧٥ ، هي التي دعت الى عقد المؤتمرات العربية ، بين الرياض والقاهرة ، وهي التي تدعو الى لقاءات ثنائية ، وغير ثنائية ، من وقت الى آخر ، في دمشق ، وبيروت ، كما في عواصم عربية اخرى • والحرب اللبنانية هذه ، هي التي دفعت بالرئيس المصري السيد محمد انور السادات الى زيارة القدس لكي يحاور المسؤولين الاسرائيليين •

وتباعا ، هي التي اودت بالرئيس الاميركي السيد جيمي كارتر لان يفكر بلقاء « كامب ديفيد » ، بعد ان اجرى ، على انفراد ، لقاءات مع كل من السادات ، وبيغن ، والاسد ، والامير فهد •

★ ★ ★

كاد الفلسطينيون يحكمون كل لبنـان ، لو لم يصطدموا بالعنفوان اللبناني ، الذي ظهر على يد القوات اللبنانية .

وبعـد سنتين ، تقريبـا ، تبين للـدول المشتركة في المؤامـرة على المسيحيين اللبنانيين ، ان ما قد تم الاتفاق عليه لن ينفذ .

وهنا برزت سوريـا لاسباب شتى ، اهمهـا اقترابها من لبنـان ، وسيطرتها على الفلسطينيين في بلادها – لكي تكمـل ما عجـزت عنـه المقاومة .

لكن السوريين فوجئوا ايضا ، بما فوجيء به الفلسطينيون ، حيث برز الكتائب و « الاحرار » لمجابهة السوريين .

* * *

وحرّض الصمود اللبناني دولا كثيرة على اتخـاذ مواقف اكثـر اعتدالا .

فالدراسة التي رفعها الحزب الديمقراطي المسيحي، في المانيا الاتحادية، الى الحكومة الالمانية (نشرت بالعربية في « العمل ») قد اسهمت اسهاما فعالا في تحديد الموقف الذي اتخـذه السيد فالتر شيل ومساعدوه ، من الرئيس السوري حافظ الاسد ، لدى زيارته للعاصمة بون .

ومثلهـا المنشورات التي وزعت باللغات – الفرنسية ، الانكليزية ، الايطالية ، الالمانية – في ساحـة القديس بطرس ، في روما ، يوم تتويج قداسة الحبر الاعظم البابا يوحنـا بولس الاول ، والتي بموجبهـا طالب اللبنانيون بانقاذ لبنان ، وانسحاب السوريين من المناطق المسيحية ، ومن ثم من كافة الارجاء اللبنانية .

هذا ، عدا الدراسات ، والتقـارير التي رفعهـا اصدقـاء لنا ، الى

المسؤولين ، في اميركا ، وفرنسا ، وانكلترا ، اوضحوا بموجبهـا حقيقة القضية اللبنانية .

* * *

يمكننا ، نحن اللبنانيين ، ان نؤكد على ان الصمود اللبنانـي ، وما حصل لنا ، من خراب ، وكوارث ، ونكبات ، تحملناها ، وتتحملها ، من اجل حريتنا ، وبقائنا ، هي التي ستعجل على وضع الحلول التي سيوافق عليها ، ان لم يكن اليوم فغدا ، جميع الملوك والرؤساء العرب .

* * *

لقد كنا نتوقع ان يحصل اتفـاق ثنائي بين مصر واسرائيل في لقـاء « كامب ديفيد » فحصل .

وها نحن اليـوم نرى ان هذا الاتفـاق (المصري – الاسرائيلي) سوف تتلوه اتفاقات اخرى ، تشمل الاردن ، وسوريا ، والفلسطينيين .

لكن اذا حصل بعض التشويش ، من « جبهة الصمود والتصدي » وقد يحصل ، فلن يكون الا لرفع العتب ، وسوف يكون لبنان هو الساحة التي ستشهـد الانفعـالات العربيـة ، والتشويش الفلسطينـي ، وغير الفلسطيني .

وفي النهاية ، ستبدأ السلسلة (...) بالتفكك ، حلقة تلو الاخرى، فينتصر السادات ، وكارتر ، ولبنان ، والسلام .

وبالتالي ، تسقط كل التحالفات التافهة ، لتقفل الخزائن في وجـوه طلاب المال ، والرشوة، ويومذاك، ستتحول الحرب ، في لبنان ، وفي دائرة لا تعرف بدايتها من نهايتها ، الى ثورة عمودية تصون الانسان وتمنحـه الحرية ، والامن ، والعدالة الاجتماعية .

هذا ، ما اعلنته نهـاية مؤتمـر « كامب ديفيد » ، فمن له اذنـان سامعتان فليسمع .

● العمل ٢٠ ايلول ١٩٧٨ .

اتقوا الله يا عرب !

« لا يعرف شيئا ، ولا يعمل شيئا ،
ولا يستحق شيئا ، ويطالب
بالتعويض » .

ـ مثل قديم ـ

ظهر الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، دخل الى مكتبي ، في صور (الواقعة اليوم تحت الاحتلال الفلسطيني) احد الاصدقاء وقال : « افتح اذاعة « صوت العرب » تعرف ماذا يجري » .

حاولت ان انصرف، عن طلب الصديق « الغيور » ، لكنه اصر ، وراح يبحث ، بنفسه ، عن « الراديو » واخيرا استجبت الى طلبه ، وفتحت على « صوت العرب » فاذا الاناشيد الحماسية تملأ الارض ، ومن شدة الانفعال الذي كان عند المذيع (...) كاد الجهاز يتفتق .

« من المحيط الهادر
الى الخليج الثائر »

« لبيك .. لبيك ..
لبيك عبد الناصر »
ثم « اضرب ، اضرب ، اضرب » و « اقتل ، اقتل » .

سألت صاحبنا (وهذا كان عبد الناصر بنظره إلهاً على الارض) لعل جمال عبد الناصر موجود في الصحراء ، يتفقد بعض القواعد العسكرية المصرية ، ويريد ان يتحدث ، من هناك ، الى الامة العربية ، وحسب عادته، لا بد ان يطل ، على الجماهير العربية ، بالاناشيد ، والهتافات ، لكي يسلب من الناس عقولهم ، ويستولي على أفئدتهم ، حتى يتسنى له ان يقول ما يريد .

في هذه الفترة ، كنت قد اقفلت « الاذاعة » ، فانتفض الزائر ، على الطريقة الناصرية وقال «انها الحرب المنتظرة، اليوم جاء دورك يا اسرائيل. ولسوف نملأ البحر ، والوديان ، والسهول ، بالجثث » . فعدت الى « الراديو » لاسمع « اسقطنا عشرين طائرة من طيران العدو » .

★ ★ ★

هنا توقفنا ، جميعا ، عن العمل ، وجلسنا لنسمع وقائع الحرب العربية ـ الاسرائيلية ، من الاذاعات ، وخاصة من « صوت العرب » .
اكدت الاذاعات العربية ، و « صوت بريطانيا » ، وراديو اسرائيل، دخول القوات العربية السورية ، والجيش الاردني الهاشمي الحرب ، الى جانب القوات العربية المصرية .

وعلى مدى اكثر من خمس ساعات كنا نسمع :

« اسقطنا خمسين طائرة عدوة » و «مائة طائرة» ثم «مائة وعشرين» واحمد سعيد يبشر العرب ، والفلسطينيين ، بالعودة ، قريبا ، الى البلاد المغتصبة ، وبأن « العملاق الاسمر » قد خرج على الاعداء ، بعد الاتكال

على الله ، ليمنح امته « العزيزة » ، على قلبه ، النصر الكبير • وانه ابتداء من اليوم وصاعدا لن يكون ولا لأي يهودي وجود في فلسطين •

* * *

ثم يعلو هتاف « الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر » بينما يتابع احمد سعيد صراخه فيقول « اسقطنا مائة وستين طائرة اسرائيلية حربية » •

اما عن الجبهتين السورية ـ الاسرائيلية ، والاردنية ـ الاسرائيلية، فقد اعلن انه تقدمت قواتنا العربية السورية والاردنية ، وهذه هي جيوشنا تتوغل في الاراضي العربية المحتلة ، لتضرب في العمق الاسرائيلي ، فيما تتساقط طائرات العدو كالعصافير • وكانت اذاعة دمشق تصرخ « اذبح تربح •• اذبح تربح •• اذبح • اذبح » •

* * *

التفت الي صاحبي ، وكنت سأغادر المكتب ، فبادرني قائلا « صار مجموع الطائرات التي اسقطها المصريون ٤٥٠ طائرة » وتابع كلامه « من الآن والى غد لن يبقى لاسرائيل ولا طائرة واحدة » •

لم اسكت عن هذا الغبي ، بل قلت له : اخاف ان تكون اسرائيل قد صارت في العريش يا احمد • والذي نسمعه ليس الا عملا غوغائيا فودعني وهو يقول « الاسبوع القادم سنذهب الى تل ابيب » •

كان « صوت العرب » ينشد « اضرب • اضرب • اضرب » فاقفلته ومشيت •

* * *

الناس، في كل مكان، يجلسون الى الاذاعات و «الله اكبر• الله اكبر•» و «اقتل• اقتل• اضرب• اضرب• اذبح تربح • اذبح•» تملأ عباب السماء،

وتصم الآذان ، فترتجف القلوب ، وتقشعر الابدان ، وفي بعض البيوت كان الرقص ، والطرب ، يمزقان الجدران ابتهاجا بـ « النصر » العربي •

* * *

بقيت الامة العربية البائسة على هذه الحال اكثر من ثلاثة ايام • ولما بدأت الاذاعات الاجنبية تبث نبأ انتصار اسرائيل ، على جميع الجبهات ، رفض العرب ان يصدقوا ما يسمعون •

وامتنعوا عن فتح اي « اذاعة » ما عدا « صوت العرب » لانهم لا يسمحون للاجنبي بأن « يدس » عليهم ، او « يكذب » •

* * *

اخذت اسرائيل سيناء ، وغزة ، والقناة ، والجولان ، والضفةالغربية، والقدس ، وبقي احمد سعيد يصرخ ، ويحرض « اضرب • اضرب • اقتل • اقتل • » ويسقط ، من عنده ، الطائرات الاسرائيلية بالمئات •

اما العرب فقد ظلوا على ايمانهم بالنصر ، وبالبطل العربي الاسمر ، القائد الذي لا يقهر •

لما صدّقت اسرائيل ، والاذاعات الاجنبية ، لبست الامة العربية السواد ، واعتراها اليأس ، فانبرى الكتّاب ، والصحفيون ، والشعراء ، يدافعون عن القائد المنهزم ، القائل في « خطاب التنحي » الذي هندسه الاستاذ محمد حسنين هيكل « كنا ننتظر العدو من الشرق فجاءنا من الغرب » [1] •

لقد نددت الامة العربية بالخونة ، والعملاء ، الذين غدروا برئيسهم،

(١) كتابنا « رسائل من خلف المتراس » الجزء الثاني ص ٢٩ـ٣٠ـ٣١ •

وقائدهم ، وتآمروا على حق امتهم ، ومجدها ، وتاريخها ، وطالبت بانزال اشد العقوبات بهم ، وعادت لتعلن الولاء المطلق لزعيمها الذي اعتــرف بفشله ، وطلب التنحي •

فالامة العربية تصر على زعامة عبد الناصر ، ولا ترى منقذا سواه ، مثلما ادعت يوم خرجت الجماهير ، في مصر ، وسوريا ، والاردن، ولبنان، الى الشوارع بالبكاء ، والعويل ، لتؤكد على تعلقها بزعيمها ، وقائدها ، ومخلّصها ، ولتثبت بالبرهان ان وفاءها له انما هو عمل واجب •

ونسيت هذه الامــة ان الذي قال « سنقذف باليهود الى البحر » هو المسؤول عن هزيمة حرب ١٩٦٧ ، وليس غيره •

★ ★ ★

لا نريد ان نقول كلاما جارحا •

لذلك ، سوف ننصرف عن ذكر الحرب التي شنها المغفور له جمــال عبد الناصر على اليمن (صارت يمنين : واحدة جنوبية ، واخرى شمالية) فذهب خلالها ١٥ الف جندي مصري ، ما عدا الجرحى ، والمعاقين •

وسننصرف ايضا ، عن تدخله في الشؤون اللبنانية، يوم حرك الشارع الاسلامي ، في بيروت ، والمناطق اللبنانية الاخرى ، ضد الرئيس الاسبق كميــل نمر شمعون ، والمسيحيين الموارنــة (« شاربي حليب فرنسا ») وكان ذلك في عام ١٩٥٨ ، اذ اشعلتها « البسطة » حربا طائفية في البلاد ، احدثت الخراب ، والدمــار ، وقتلت الابريــاء من مسلمين ومسيحيين ، وانتهت بـ « لا غالب و لامغلوب » • لكنها زرعت ، في النفوس ، الحقد على العروبة ، التي باسمها كان عبد النــاصر يسعى الى فرض سيطرته ، ونفوذه ، على البلاد العربية •

ولن نتطرق لا الى « الوحدة » التي أنشأها مع سوريــا ، لتكون

سوريا مستعمرة مصرية ناصرية • ولا الى الحرب الاعلامية الشرسة التي شنها عبر «صوت العرب» من القاهرة ، وسائر الجرائد المصرية، والجرائد التي اشتراها في لبنــان ، على السعودية ، والاردن ، وضد دول اخرى ، وملوك ، ورؤساء عرب ، واجانب •

★ ★ ★

فالسنوات العشرون التي قضاها جمال عبد الناصر في الحكم ، كانت مليئة بالانكسارات ، ومليئة بالهموم ، والصراعات الداخلية ، والنزاعات التخريبية ، مما زادت العرب بؤسا ، وشقاء ، وتفرقــة ، وزادت مصر ، وسوريا ، فقرا ، وتخلفا •

وبدون ريب ، يعتبر جمال عبد الناصر ، الاب الروحي للعقيد الليبي معمر القذافي ، الذي ينقب عن الارهابيين ، اينما كانوا ، ليشتريهم بماله ، وعن العملاء الذين يؤجرون انفسهم ، وطاقاتهم ، بالمال ، شرط الا يؤذوا اسرائيل •

وبفضل السياسة التي اتبعها جمال عبد الناصر ، خلال عشرين سنة، انتشرت الرشوة ، بين السياسيين ، في البلاد العربية جميعها ، وكثــرت الانقلابات ، لا سيما في العراق ، وسوريا ، وتمزقت الاحزاب (« البعث » و « السوري القومي الاجتماعــي » و « الشيوعي ») الى فصائــل ، وجمعيات ، الواحدة تضمر العداء للاخرى • وانقسم الفلسطينيون على انفسهم ، فتشرذموا ، وتبعثروا ، واصبحوا شيعا ، واحزابا ، لا تحصى •

★ ★ ★

هكذا ترك عبد الناصر العرب •

وفي أسوأ حال ، عاش العرب الى ان كانت حرب رمضان (تشرين

١٩٧٣) التي شاءها المغفور له الملك فيصل « اريد ان اصلي في القدس »
ــ بتفاهم مع الرئيس الاميركي نيكسون ــ كي يستعيد العرب شيئا من
كرامتهم ، ومعنوياتهم ، التي فقدوها في حرب حزيران (١٩٦٧) .
وكان من حسن حظ مصر ان يرث الرئيس محمد انور السادات
سلفه الرئيس جمال عبد الناصر .

لقد ابدى السادات تفهما لحقيقة الصراع الدائر في الشرق الاوسط،
فحسّن علاقته مع الولايات المتحدة الاميركية ، والمملكة العربية
السعودية ، وسائر الدول العربية ، والعالمية ، واعاد الاحترام الى صيغة
التعامل مع اميركا .

ولما طُلب منه طرد الخبراء السوفيات نفّذ هذا المطلب ، لعلمه بأن
مثل هذا الامر ، مهما كان خطيرا ، سيعود على بلاده ، وشعبه ،
بالخير والنجاح . وهذا ما قد حصل عليه المصريون في الحرب «المبرمجة»
حرب ١٩٧٣ ، اذ استعاد المصريون قناة السويس التي تشكل عاملا رئيسيا
في تكوين حياة مصر الاقتصادية .

* * *

اما على الجبهة السورية فلم تتعد الحرب رد الاعتبار للجيش
السوري ، الذي قيل فيه ، على اثرها ، قولا كريما ، والشيء ذاته بالنسبة
للجبهة الاردنية .

ان الجدير بالذكر ، هنا ، هو ان المقاومة الفلسطينية لم تحرك ساكنا
طوال فترة الحرب . وكان الفلسطينيون يتفرجون على المصريين ،
والاسرائيليين ، والسوريين ، والاردنيين ، والعراقيين ، والمغاربة ، كيف
كانوا يقتتلون .

وربما اعتبرت المقاومة الفلسطينية ان الحرب التي خاضتها مصر ،

وسوريا ، والاردن ، انما هي لاسترداد الاراضي التي احتلتها اسرائيل
عام ١٩٦٧ .

وليس من الغريب ان تكون المقاومة الفلسطينية قد ظنت ان انتصار
الدول الثلاث (مصر ، سوريا ، والاردن) في الحرب ، سيكون للقضاء
على نفوذ الفلسطينيين في المنطقة .

وحتى اليوم ، ما زالت المقاومة تجد في النزاع العربي ــ الاسرائيلي
مبررا لوجودها قوية ، ومهيمنة .

والمقاومة ايضا ، لن تتأخر عن ذر الشقاق بين دولة عربية واخرى ،
ذلك لان في الصراع العربي ــ العربي ، فرصة تسهر المقاومة على استغلالها،
وغايتها واضحة هي جمع الاموال الطائلة، من الدول النفطية، والحصول على
الاسلحة ، والمساعدات العسكرية من الدول التي هي على علاقة حسنة
اما مع السوفيات ، او مع الدول الاوروبية الغربية ، واميركا .

منذ حرب ١٩٧٣ ، ومعظم الدول العربية تتجه نحو الاستقلال عن
العروبة ، وعن القضية الفلسطينية .

فالجزائر ، وتونس ، والمغرب ، كلها بعيدة . ولديها مشاكل كثيرة ،
داخلية وخارجية ــ على صعيد الصحراء وافريقيا ــ .

والعراق ايضا ، هذه الدولة ذات السياسة الخاصة جدا ، يهمها ان
تطمئن الى نفطها ، وتمرها ، مثلما يهمها ان تبعد عنها الشيوعيين ،
والفلسطينيين ، وقد شبعت من كل ما هو عربي .

اما دول الخليج ، فحالها معروف ، انها تدفع الاموال للفلسطينيين
لكي تبعد عنها شرهم ، وتتجنب اطماعهم على ارضها . ومثلها طبعا ، دولتا
السعودية والكويت .

لكن الكويت متورطة مع الفلسطينيين ، ولو انه محظر على

الفلسطيني ان يتظاهر على ارض الكويت، لا سياسيا، ولا عسكريا. اما الخطر الذي يهدد الكويت، فيكمن في الدوائر، والادارات الرسمية الكويتية التي تعج بالفلسطينيين . ويوجد في الكويت عدد كبير من الفلسطينيين يكاد يتجاوز العدد الموجود في لبنان . فمما لا شك فيه ان الكويت تسعى ، سرا ، الى التخلص من هؤلاء ، وهي تتمنى ابعادهم عن ارضها ، كي لا يصيبها ما اصاب لبنان .

من هنا ، ندرك سبب الحرص السعودي تجاه الوجود الفلسطيني في المملكة العربية السعودية .

★ ★ ★

فمن المؤكد ان السعودية لا تسمح ، مطلقا ، باقامة فلسطيني على ارضها . وهي ترفض تشغيل الفلسطينيين ، لانها ترى ان ما عندها كاف ، اذ هي تخاف منهم ، لما عندهم من استعداد كبير للعمل ضدها ، واشاعة الفوضى ، والاعمال التخريبية في بلادها ، الامر الذي جعلها تنفق الملايين على المنظمات الفلسطينية ، وخاصة « فتح » ، وربما يقول السعوديون ، « بالمال ولا بالنظام » حسب المثل . فمن يبقى من العرب اذن ؟

★ ★ ★

عندنا ،

ليبيا ـ القذافي ؟! هذا اللغز المحير ، ماذا يمكننا ان نقول فيه ؟

انه الحاكم الطائش ، الذي ينفق امواله على الارهاب ، والتذابح ، وعلى الاقتتال بين الشعوب ، والدول . كيف يتعامل القذافي مع العرب ، ومع الفلسطينيين ؟ انه يتعامل معهم من فوق .

ينظر الى الدول العربية (المواجهة خاصة) من منظار الممول . وهو يرى ان من حقه ان يفرض آراءه ، عليهم ، وزعامته . وهذا هو سبب النزاع القائم بينه وبين مصر السادات .

وينظر القذافي الى الفلسطينيين كمتسولين فيدفع اليهم بالملايين ، لكنه يمنع عليهم الدخول الى ليبيا .

هل يكفي المال ؟

ان كل الاموال التي تتدفق على الفلسطينيين لم تفعل شيئا ، سوى الفوضى ، في صفوفهم ، والخيانة . وها هم اليوم يقتل بعضهم البعض ، في بيروت ، كما في العواصم الاوروبية ، والهند ، والباكستان .

★ ★ ★

لقد بلغت التخمة ، عند الفلسطينيين ، حدا لم يعد معقولا . ففي « النهار » ـ العدد الصادر بتاريخ ١٣ ايلول الجاري ـ ذكر ان زعيم حركة يسارية في الارجنتين ، هو السيد هورميشيو منديز ايال ، قائد حركة « الموتنتيرس » ـ الجبليون (MOUNTAINEERS) البيرونية، قد زار لبنان لمدة عشرة ايام ، تلبية لدعوة من « منظمة التحرير الفلسطينية » .

وفي ختام الزيارة ، كشف السيد ايال ، في مقابلة مع وكالة « رويتر » ان الفلسطينيين « يزيدون من شحنات الاسلحة من اجل الهجوم الذي سيوجه في شكل رئيسي ضد اهداف عسكرية وصناعية في الارجنتين » .

لا اعرف ما اذا كانت « منظمة التحرير الفلسطينية » عندها المعلومات الكافية عن الـMOUNTAINEERS في الارجنتين ام لا . فقد سبق ان قامت هذه الحركة، في اوائل عام ١٩٧٢ ، باعمال فوضوية، وتخريبية، من ابرزها خطف الصناعي الايطالي الدكتور سالوستد ، مدير معامل فيات الايطالية،

في الارجنتين، على يد الفوضوي اليهودي « كلاشكو » احد زعماء جيش التحرير الارجنتيني MOUNTAINEERS والذي اخذه الى منزل « سارة شميث » وهذه هي يهودية من اصل الماني ايضا • تم خطف هذا الصناعي، كي تفرج الحكومة الارجنتينية عن خمسين شابا من جماعة « كلاشكو » و «سارة شميث» • لكن الحكومة الارجنتينية لم تستجب لطلب الارهابي « كلاشكو » فقتل الدكتور سالوستد •

وفي الفترة ذاتها ، تم اغتيال قائد الجيش الارجنتيني خوان سانشز•

هذا عدا نسف المصارف ، والمؤسسات • ولنسأل زعماء « فتح » :

١ ــ كيف تزود « منظمة التحرير الفلسطينية » هذه الحركة اليسارية الارجنتينية ، وما هي علاقتها بها ؟!

٢ ــ هل يستطيع السيد ياسر عرافات ان يدعو السيد هورميشيو منديز ايال الى سوريا ، او الى ليبيا ، او الى سواهما من البلدان العربية ؟!

من المؤكد ان هذين السؤالين سيذهبان في المجهول •

★ ★ ★

عندما كان مطار بيروت مقفلا ، في حرب ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ ، حاول « ابو عمار » ان يذهب الى دمشق ، ليسافر منها بالطائرة • وبما ان «ابو عمار» لم يعلم ، مسبقا ، الحكومة السورية بدخول اراضيها ، رفض الامن العام السوري ، في « جديدة يابوس » ــ على الحدود السورية ــ اللبنانية ــ ان يجتاز « رئيس منظمة التحرير الفلسطينية » بوابة العبور • واخيرا عاد « ابو عمار » الى بيروت ، حيث له « الحق » بأن يتصرف كرئيس دولة •

فالعمل الذي يمنع على الفلسطيني ان يفعله في سوريا ، او غيرها من

الدول العربية، مسموح له في بيروت ، وكل من يعترض الفلسطينيين ، في لبنان ، يعتبر انعزاليا ، وعميلا لاسرائيل ، يستحق ان يقصف منزله ، ويهجّر !!

فالملاك ، اذا كان فلسطينيا ، لا يجوز ان يدخل عاصمة عربية ، بدون اذن مسبق • فيما تفتح بيروت قلبها للشيطان• وما ان حاولت بيروت ان تقول « لا » للفلسطينيين ، رشقوها بالجمر ، ودعيت زانية ، ثم امروا برجمها ، بناء على التعاليم العربية ، والاسلامية !

★ ★ ★

نعود لنسأل من بقي من العرب ؟

بقيت سوريا ، ولن نذكر اليمن الجنوبية ، ولو كانت عضوا في «جبهة الصمود والتصدي» • فهي لا علاقة لها ، لا من قريب ولا من بعيد، بالفلسطينيين ، وظروفها معروفة ، وواضحة •

ماذا بالنسبة لسوريا ؟

لا اعتقد بان العلاقات السورية ــ الفلسطينية ، هي ، في العمق ، حسنة •

فلا الفلسطينيون يثقون بالرئيس الاسد • ولا الرئيس الاسد ، من جهته ، مطمئن للفلسطينيين •

الفلسطينيون ، ما زالوا يتذكرون قصف المدافع السورية ، عام ١٩٧٦ ، للمخيمات الفلسطينية ، في عين الحلوة ، وصبرا ، وشاتيلا •

كذلك الرئيس الاسد ، فهو ايضا ، لا يزال يتذكر الحرب الكلامية التي شنها عليه الفلسطينيون ، واليسار ، في لبنان ، عندما دخل جيشه الى لبنان •

والمهم ، عند الرئيس الاسد ، هو ان يستعيد الجولان ، ويضمن بقاءه حاكما سوريا ، لا ان يستعيد حيفا ، او القدس •

★ ★ ★

ان القضية الفلسطينية بنظر الملوك ، والرؤساء العرب ــ الذين قضوا منهم ، والذين ما زالوا احياء ــ هي كالمطية التي يمتطيها كل من يشتهي الحكم •

لقد تأخر العرب، والفلسطينيون، عن فلسطين، والقضيةالفلسطينية، الى ان استنفدت ، وفقدت وهجها بين القضايا العالمية المعاصرة •

فمن الغباوة ، ان يفكر العرب ، والفلسطينيون ، وهم على هذه الحال ، باسترجاع فلسطين •

صحيح ، ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة • ولكن ، اين هي القوة العربية ؟

★ ★ ★

لقد اقتنع الرئيس السادات بأن العرب هم غير قادرين على الحرب ضد اسرائيل •

واقتنع ايضا ، بأن الحالة السيئة التي توصل اليها الشعب المصري ، انما هي من نتائج الحروب المتكررة التي زج بها هذا الشعب ، من اجل القضية الفلسطينية ، ومن اجل العروبة ، والوحدة العربية •

وعلى هذا ، « خرج عن جلده » وذهب الى القدس (اورشليم) ليحاور بالمنطق ، والكلمة الصادقة ، والجرئة ، اليهود ، ليجد في عيون اطفال اسرائيل شوقا الى السلام ، مثلما هو في عيون اطفال مصر •

★ ★ ★

ودحض الرئيس السادات نظرية سلفه المرحوم جمال عبد الناصر • مثلما اكد لليهود بأن مصر لا تريد « ان تقذف بهم الى البحر » فاستقبل بحفاوة غير عادية ، واكثر من رسمية ، واقام ، عندهم ، معززا ، ومكرما •

كان لمبادرة الرئيس السادات اطيب الاثر في العالم المتحضر ، والديمقراطي •

★ ★ ★

اراد السادات ، من مبادرته ، ان يقنع العرب بأن ما اخذ بالحرب (القوة) قد يسترد بالمفاوضات • وهذا ما قد سعى اليه ، برعاية الرئيس الاميركي جيمي كارتر • وما قد حققه في « مؤتمر كامب ديفيد » بعد ان تفهم السيد مناحيم بيغن بأن التعايش ، بين الشعوب الحرة ، هو اساس الدعوة الى السلم •

فلماذا اتهم الرئيس السادات بأنه قد تنازل لاسرائيل عن حقه ، واستسلم ؟!

ان الذي يقول « خلال السنتين المقبلتين ستجلس مصر والاردن واسرائيل وممثلو الشعب الفلسطيني لتقرير مستقبل الضفة الغربية وغزة بعد الفترة الانتقالية » هو غير الذي يقول « سنقذف باليهود الى البحر » وفي الحرب تتحطم طائراته ، وينهزم عسكره ، ويتيه في الصحراء • واسمحوا لي ان اقول ان هذا خير من ذلك ، وافضل • ويكفي السادات ان يكون واقعيا ، زعيما منسجما مع نفسه ، وغايته ان يجنب شعبه ، وامته ، الهزائم ، والويلات ، وما ينتج عنهما •

★ ★ ★

لقد قال الرئيس السادات « السعودية ستكون سعيدة ان يتسلم الملك حسين سلطاته في الضفة الغربية وانا في غزة وسيناء » فدلونا اين هي الخناجر التي ، بها ، طعن الامة العربية ، والكرامة العربية ، والوحدة العربية ؟

وهل هي مثل الخناجر التي « شهرها » اللبنانيون المسيحيون ، على الفلسطينيين ، والسوريين ؟؟!

★ ★ ★

اتقوا الله يا عرب ! وارحموا انفسكم ، واموالكم ، واطفالكم ، « ان اموالكم واولادكم زينة الحياة الدنيا » وارحموا هذا البلد ، الضحية ، لبنان .

اتقوا الله يا عرب ! وكونوا صادقين مع انفسكم ، ولا تسبحوا في السراب ، وقد قال المثل « رحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده » .

● العمل ٢٣ ايلول ١٩٧٨ .

٢٨

الى علماء الشيعة وزعمائها [١]

لقد دخلت قضية الامام السيد موسى الصدر اسبوعها الرابع ، والاتصالات المكثفة ، والمساعي التي بذلت ، هنا ، وهناك ، وهنالك ، لم تحقق اي نجاح !

وبما ان كشف ملابسات قضية الامام الصدر هو تعرية ، لواحد ، من وجوه المؤامرة التي مزقت لبنان ، واجهضته ، بات عليكم ــ انتم وجميع ابناء الطائفة الشيعية في لبنان ــ ان تتفقوا على رأي واحد ، وتتخذوا لانفسكم موقفا واحدا ، موحدا ، وتعلنوا بصوت واحد ، صريح ، وجريء ، عما في قلوبكم ، وعقولكم .. ذلك لان الحرب ، في لبنان ، قد بدأت بكم ، لتنتهي بكم ، وعلى حسابكم ، مثلما هو ظاهر ، حتى الآن .

والحالة هذه ، صار يجب ان تعتمدوا على انفسكم ، لان الاعتماد ، على العرب ، او على بعضهم ، سوف يمتص وهج القضية (...) يوما

---

(١) ارسلت برقية الى علماء الشيعة وزعمائها ــ بواسطة فضيلة الشيخ محمد مهدي شمس الدين ــ على اثر اختفاء الامام السيد موسى الصدر ، رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ، في ليبيا .

فيوما ، ثم شيئا فشيئا ، لا سيما ان الاحداث التي تشهدها المنطقة عامة ، ولبنان خاصة ، هي قادرة على تحجيم قضيـة الامام وتصفيتها ، حسبما يشتهي المخططون .. والمنفذون .. والذين يسبحون في فلكهم .

يا زعماء الشيعة وعلماءها ،

ـ لا تثقوا بأحد . فالناس ، في هذه الايـام ، على خوف . ومنهم الشامتون ، والكارهون ، والحاقـدون ، والطامعون بالمال ، والجـاه ، والنفوذ .. ومنهم ايضا ، الساعون الى ارضاء من بيده السلطان .

ـ لا تتكلوا على وسيط . وقد قال العقيد معمر القذافي ، امس ، للرئيس الجزائري هواري بومدين « لقد قلنا رأينا بقضيته ، ولا نسمح لاي كان بأن يتدخل في امورنا » .

ـ لا تدعوا الزمن يفوتكم .

ـ ان قضية الامام الصدر تتطلب الجرأة . فمن منكم يستطيع ان يجرؤ ؟!

ـ اذا كنتم تريدون ان تنقذوا طائفتكم ، من الخطر الذي يهددها، والجنوب ، ولبنان ، فتوقفوا عما انتم فاعلوه .

ـ اعملوا بما يفرضه الواقع ، والحق ، ولبنان .

ـ قولوا للرئيس القذافي : وحدك المسؤول . واخرجـوا عليه ، بكل ما لديكم . ولا تلتفتوا الى الوراء . ان خلفكم امة لا تميز بين الحق والباطل .

يا زعماء الشيعة وعلماءها ،

امام هذه المحنة التي تواجهكم ، وايانا ، استحق عليكم ان تعودوا

الى لبنان ، لتستعينوا به ، فهو ، على رغم ضعفه ، وصغر مساحته ، خير منقذ لكم ، ولنا .

يا زعماء الشيعة وعلماءها ،

وحده ، لبنان ، الذي يستطيع ان يقلق العالم من اجل الدفاع عن الامام ، لو كلف بذلك .

فما احوجنا الى الاخلاص ، والصدق ، والوفاء ، والشجاعة .

● « العمل » و « صوت الاحرار » ٢٤ ايلـول ١٩٧٨ . وقد نشرتهـا « الجبهة » نقلا عن « العمل » .

٢٩

الامام الصدر بداية ونهاية

عندما اشيع نبأ انقطاع الاتصال ، مع الامام الصدر ، انطلق بعض الاجهزة (•••) ــ بأسلوب اللف والدوران ــ الى التقليل من اهمية هذا الحدث ، وتبرئة الساحة الليبية من المسؤولية •

★ ★ ★

يحسب المراقبون ان الامام سيذهب رخيصا • لان مناطق الشيعة هي واقعة تحت الاحتلال العربي •

ففي صور يسيطر الفلسطينيون • وفي صيدا ، وبيروت ، وبعلبك ــ الهرمل ، وطرابلس ، يهيمن النفوذ السوري ، والمخابرات السورية •

★ ★ ★

ويقول المراقبون •• لقد سمح الفلسطينيون والسوريون و « المرابطون » ، للشيعة ، في لبنان ، بالاضراب ليوم واحد ، وبالاعتصام لنصف نهار ــ من صلاة الظهر الى صلاة الغروب ــ في المساجد • ووافقوا لهم ايضا ، على ان تقوم « مسيرة سلمية » باتجاه الحدود السورية

اللبنانية ، لتطالب « جبهة الصمود والتصدي » المجتمعة في دمشق ، بالكشف عن قضية الامام الصدر ، ومرافقيه (الشيخ محمد يعقوب ، والصحافي عباس بدر الدين) وقد حصل لهذه المسيرة ما حصل في دمشق •

لكنهم ــ اي الفلسطينيون ، والسوريون ، و « المرابطون » ــ لن يسمحوا ــ يقول المراقبون ــ لانصار الامام ••• وجماعته ••• بأن يخلوا بـ « الامن العربي » ، ويشغلوا « الحركة الوطنية » و «المقاومة» و « الجبهة القومية للصمود والتصدي » عن الواجب القومي والوطني •

★ ★ ★

فان امام القضية القومية ــ حسبما يرى دعاة العروبة والمصابون بادعاء التحرير ــ تسقط القضايا جميعها، مهما علا شأن اصحابها• ذلك لان الافراد ، دائما ، الى زوال ، بينما الامة باقية لا تزول •

★ ★ ★

ان الامام الصدر الذي انقطعت اخباره ــ منذ اليوم الثالث لزيارته « الجماهيرية العربية الليبية » ــ لم يغادر الاراضي الليبية ، مثلما تزعم مصادر القذافي ، وجلود ، والزمرة المؤيدة لهما •

★ ★ ★

وهنا يعتقد المراقبون بأن الامام اذا لم يصب بسوء ، فهو ورفيقاه ، في المعاقل الليبية ، كل في مكان •

وقد يفرج عنهم بعد ان يتم التوصل الى الاتفاق على توطين

الفلسطينيين ، في الجنوب ، وتحديدا في المنطقة الواقعة بين القاسمية ، والزهراني .

* * *

اما كيف سيفرج القذافي عنهم ، وقد سبق له ان اعلن انهم (اي الامام ورفيقاه) قد غادروا الاراضي الليبية في ٣١ آب الماضي ، يرى المراقبون ان ليس صعبا على العقيد القذافي الذي عنده الخزائن ، ان يختلق اسما جديدا لمنظمة ارهابية (فلسطينية على الارجح) لم تعرف من قبل ، تتولى عملية الاخراج ، والتمثيل ، واصدار البيان ، وتوقيعه .

ولكن اذا كان القذافي ــ يقول المراقبون ــ قد صمم على قتل الامام ورفيقيه ، فلا يستبعد ان يكون قد حملهم بطائرة هليكوبتر الى الصحراء ، وامر بقذفهم منها ، حيث لا يستطيع المرء ان يقاوم حرارة الشمس اكثر من ست ساعات ، وبعدها يصاب بالاغماء فيموت .

* * *

لماذا القذافي ، لا غيره ، هو الذي وقعت عليه هذه المهمة ؟

فريق يقول : ان بين القذافي والامام علاقات كثيرة . فمن المعقول ان يكون الامام قد تعهد للقذافي بشيء ما ، ولما لم يستطع الامام ان يفعل ما يشتهي القذافي (...) طلبه ، بواسطة « الصديق » المشترك ، الرئيس الجزائري هواري بومدين ، لمحاسبته ، حسب « الاصول » القذافية بينما ينفي انصار الامام ، ومساعدوه ، واصدقاؤه ، في لبنان ، وجود اي علاقة بينه وبين القذافي .

وفريق آخر يقول : ان مشروع توطين الفلسطينيين ، في الجنوب ، لا يقدر على الاعتراض عليه ، او رفضه ، ولا واحد من زعماء الشيعة ،

سوى الامام الصدر . لذلك تولى القذافي مهمة اقصاء الامام ، عن الساحة اللبنانية ، في هذه الفترة ــ بالذات ــ كي يتحقق هذا المشروع ، بدون ادنى ضجة من الشيعة . وبفضل الامكانات التي لدى العقيد القذافي ، يستطيع الاعلام العربي المزيف ، والمأجور ، ان يطمس قضية الامام ويستنزفها . لا سيما ان البركان في ايران لا يزال يشتعل . هذا من جهة . ومن جهة اخرى ، هنالك المنظمة الارهابية « الالوية الحمر » في ايطاليا ، الامر الذي شجع القذافي وجلود على الادعاء بأن الامام ورفيقيه قد غادروا ليبيا على متن طائرة تابعة لشركة « اليطاليا » الخطوط الجوية الايطالية ، باتجاه روما ، حيث يقع مركز لـ « الالوية الحمر » ومن هناك اختطفت هذه المنظمة الامام ورفيقيه لانهم اعداء للشيوعيين .

* * *

سألت سماحة المفتي الجعفري الشيخ عبد الامير قبلان ، عن العلاقة القائمة بين الامام والقذافي ، فأجاب : « لا علم لي بأن للقذافي اليوم اي علاقة مع الامام . وقد انقطعت علاقة المجلس الاسلامي الشيعي بالقذافي منذ خمس سنوات » .

واضاف سماحة المفتي (بحضور النائب السيد محمود عمار) [1] يقول:

« لم ار الامام منذ شهرين . ولو كنت على علم بسفره الى ليبيا ، لمنعته عن ذلك .. لان القذافي هو رجل مجنون ، وفي نفسه حقد على الشيعة ، وعلى أئمتهم. زد على ذلك ، ان الاحزاب « التقدمية » في لبنان، والفلسطينيين ايضا ، قد اتهموا الامام بتسليم النبعة » .

قلت لسماحة المفتي : ما علاقة القذافي بالنبعة ؟

قال : « لا اعرف . لكن سبق للامام ان دافع عن نفسه امام الرئيس بومدين . ولما اقتنع بومدين بكلام الامام ، قال له « يجب ان تصارح

(١) التقيت المفتي قبلان والنائب عمار في دار المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ، بالحازمية ، بتاريخ ١٩٧٨/٩/١٩ .

الرئيس القذافي بهذا الكلام » [1] وعلى هذا استطرد المفتي يقول ـ تمت الاتصالات بين بومدين، والقذافي ، وانتهت بدعوة الامام الى ليبيا لحضور احتفالات الفاتح من ايلول ، سبتمبر » .

قلت للمفتي ، وللنائب عمار ، ماذا يمكنكم ان تفعلوا ؟

قالا : « سنقلب العرب على القذافي » .

قلت : اي عرب ؟!

قالا : العرب .

قلت : يجب الا ننسى بأن العرب الذين تعنون لا يمكنهم ، اطلاقا ، مقاطعة القذافي ، من اجل الامام ، او من اجل الشيعة .

عندئذ اعتدل المفتي قبلان ، في جلسته ، وقال : « على كل حال ، سيأتي يوم ، اما ان نكون فيه حسينيين (بمعنى الثوار) واما ان نكون جبناء لا نستحق الحياة » .

★ ★ ★

تركت المفتي قبلان ، والنائب عمار ، وهما على رأي واحد ، خلاصته ان انصار الامام، واصدقاءه ، وجماعته ، يؤثرون الهدوء ، والاتصالات مع المسؤولين العرب ، على الانفعال ، حرصا على سلامة الامام ورفيقيه .

وبقي السؤال الى متى سيبقى انصار الامام يؤثرون الهدوء والمساعي والاتصالات على الثورة ؟

★ ★ ★

حدثني احد رفقاء المرحوم فرج الله الحلو (شيوعي لبناني اعتقل في سوريا عام ١٩٥٩ وقتل) فقال « بقينا اكثر من عام ننتظر الافراج عن فرج الله الحلو ، حتى تم الانفصال بين سوريا ومصر ، فأخبرنا بأن

---

(1) عندها قلت للمفتي ساخرا : « يبدو ان القذافي يحسب « النبعة » منطقة من بنغازي ، او طرابلس الغرب » .

فرج الله قد قتل ، وذوبته الحكومة السورية ـ في عهد السراج ـ بالاسيد » .

قلت لمحدثي ، وهل نفع الانتظار ؟

قال : « ابدا . انما الظروف التي كانت تحيطنا في تلك الايام ، قد اجبرتنا على السكوت » . وختم قائلا : « ان مثل هذا لا أرجوه للشيعة. فمن المتوقع ان يكون الامام ورفيقاه قد قتلوا منذ اليوم الثاني من ايلول » .

★ ★ ★

الامام الصدر ، على صعيد الاحداث اللبنانية هو البداية ، كما هو النهاية .

فمتى يستيقظ زعماء الشيعة ، وعلماؤها ، ومنظمة « امل » و « المحرومون » وشيعة الجنوب ، وبعلبك ـ الهرمل ؟

متى سيعرف هؤلاء ان الذين يتصلون بالقذافي، ويبذلون «المساعي» من بين الزعماء العرب ، والفلسطينيين ، ـ من اجل كشف قضية الامام ـ هم غير بعيدين عن اللعبة ؟

● صوت الاحرار ١٩٧٨/٩/٢٨ .

٣٠

الى حكمت حمدان الذي اغتالته الايدي المجرمة [1]

اخي حكمت ،

نبأ مصرعك ، الليلـة ، هزني ، وكنت لا اريد ان اكتب ، لكنما الخبر ، العاصفة ، اعادني الى القلم لاصرخ بك : الى اين ؟

ثم هل ثقلت عليك الهمـوم •• فسلمتها القلب ، والجسد • ام ان قاتليك قد سكروا من « خمرة الحقد » ، فخرجوا ليقطعـوا ، عليـك ، الدرب ، برصاص لا يملك سوى الغدر ؟!

اخي حكمت ،

حاولت ان لا اصدق النبأ ، لكن وجه بيروت المجرّح عاد فأكد لي ما كنت استبعده ، اذ قال « لماذا تستغرب فانظر ماذا فعلوا بي » •

اغمضت عيني ، كأنني اهرب من امام هذا الوجـه البائس ، ومن

---

(١) حكمت حمدان شاب لبناني من ابناء الطائفة الدرزية ، كان ينتمي الى حزب الكتائب اللبنانية ، قتل في الشوف غدرا .

سماع الخبر ، فاذا انفجار كبير يدوي ، على مقربة مني ، ويغطي الدخان السماء ، فنهضت لاودعك بكلمة ربما تترجم لك اعتذاري ، وعجزي عن السير خلفك •

اخي حكمت ،

«البيت المركزي» [1] ، (وكان يُقصف) حيث كنا نلتقي ، احيانا ، سيظل يحفظ لك ولمثلك المواقف الجريئة التي من اجلها استشهدت • وثق يا صديقي ، بأن الذين احبوا وطنهم وماتوا من اجله ، هم الخالدون حقاء

امضِ بذمة الله، ولا تلتفت الى اولئك الذين نفذوا اوامر «سيدهم» فأنت الشهيد وهم المجرمون •

---

(١) مقر حزب الكتائب اللبنانية ــ في الصيفي ، بيروت .

● صوت الاحرار ١٩٧٨/٩/٣٠ .

٣١

مات كما عاش بطلا لبنانيا [1]

لا شيء يثير الدهشة مثل قتل المثقفين على يد الجهلة •

منذ اربع سنوات ، ولبنـان ، هذا البلـد الذي كان امل المثقفين الهاربين ، والسياسيين المبعدين ، ورجاء من كانوا ، في بلادهم ، رؤساء ، وحكاما ، وقادة ، ووجهاء ، واعيانا ، وسفراء ، ينزف ويحتضر •

لقد خسر لبنان صحافيين ، وكتابـا ، وشعراء ، ورهبانا علمـاء ، ومحامين ، ومفكرين ، واساتذة جامعيين ، مثلما خسر اطباء ، ومهندسين ، وضباطا ، وجنودا ، وطلابا ، وما زال يخسر •••

هذه الامكانيات الانسانية ، والطاقـات الفكريـة ، والعلميـة ، والروحية ، هي ــ اساسا ــ قوة لبنان ، وعنوانه ، بل ورمز صموده •

---

(١) القيت في ريفون ــ قضاء كسروان ــ في يـوم الشـهيد المغفـور له الصيدلي ميشال بارتي ، وذلك بعد ظهر يوم الاحد الموافق ١ تشرين الاول ١٩٧٨ .

عمال ، وحمالون ، ولصوص ، وقطاع طرق ، ومتسولون ، وعاطلون عن العمل ، ومتسكعون ، جاؤوا بهم الى هنا ، والقوا عليهم الاسلحـة ، وخطبوا فيهم ، بلسان عربي « انقـذوا شرف امتكم العربية ، وقضيتكم المقدسة ، من خطر الانعزالية اللبنانية » فهبّوا جميعا ، يُحرّضهم الجشع الدمشقي ، والحقد الفلسطيني ، والصت العربـي ، واعملوا ، في هذا البلد ، تخريبا ، ودمارا ، وتقتيلا •

وامس ، سقطت امكانية اخرى ، وطاقـة لبنانية فعالـة ، برصاص الاحتلال ، الجشع ، دفاعـا عن كياننا ، وحقنا ، وحريتـنا ، ووجودنا • عنيت الشهيد البطل الصيدلي ميشال بارتي •

فميشال بارتي ، هذه الامكانية الخارقة ، كان يجب ان يبقى بيننا ، على طريق الصمود الطويل ، لكنما اندفاع ميشال ، وايمانه ، حملاه مقاتلا عنيدا ، لا يهاب المـوت ••• اذ كان يستخف بأعداء لبنـان ، الغـزاة ، البرابرة ، كما كان يهزأ بالموت ، ويستصغره •

في حرب السنتين اسس ميشال بارتي مع رفـاق له ابطال « جيش التحرير اللبناني » فقدم واياهم اروع عنفوان ، وقاتل وابلى البلاء الحسن وساعد كل من كان ايمانـه ضعيفا على التضحية ، وحرّض على العطـاء والبذل في سبيل بقاء لبنان وطنا حرا مستقلا •

اما في الفترة الثانية واعني الحرب السورية ــ اللبنانية ، فكان حربه من نوع آخر • لقد حمل القلم ، وكتب ، وراسل المسؤولين اللبنانيين ، جميع المسؤولين ، عبر الصحف وعلى الاخص « العمل » موجها ، ومرشدا ، ومبينا لهم اخطاءهم وهفواتهم التي طالما وقعوا فيها ، فأحدثت فينا ما احدثت من النكبات والكوارث •

وخاطب فقيدنا البطل المقاتل اللبناني بمحبة واخاء وعاطفة صادقة • وبجرأة ايضا كتب رسالة مفتوحة الى الرئيس السوري حافظ الاسد فنّد

من خلالها حقيقة القضية اللبنانية ، وحذّره من خطورة التدخل السوري المغرض ، في لبنان ٠

وفي غير مكان ، حاضر شهيدنـا ميشال بارتـي ، فكشف الاوراق النائمة ، في الادراج ، وقدم حلولا انسانية ، وعادلة ، للقضية اللبنانية ، ودعا الى انقاذ آثار بـيروت ، من خطـر التعصب ، والمتعصبين ٠ ونشر تقارير هامة ، وخطيرة ، واصدر لوائح ، ونداءات بالصور والارقام كانت خير برهان ، فكان لها اثر كبير عند رجـال الفكر ، والقلم ، والتاريـخ ، واصحاب النخوة الوطنية ، ارجو لو نعود اليها في ملفاته واوراقه ٠

ان عنفـوان ميشال بارتي ، هو في الحقيقـة فصل رائع من فصول تاريخ لبنانَ ، بالنسبة لهذه الحقبـة الصعبة والقاسية من حياتنـا نحن اللبنانيين ٠ فعلى الذين سيؤرخون هذه المحنة التي يجتازها لبنان ، بدماء ابطاله ، وبصمود شعبه البريء ، ان يذكروا ميشال بارتي بفخر واعتزاز٠ لان بمثله يبقى لبنان ، مهما اشتدت عليه العواصف ، او طغى المستبدون والطامعون ٠

وكلمة مني ، متواضعة ، اقولها للتاريخ ٠٠٠ ولو في وقت لا مكان فيه للكلمة ، هي ان ميشال بارتي الصيدلي الطاقة كان بامكانه ان يهرب او يسافر مثل كثيرين سواه ، فينجو من المـوت بالرصاص ويكتب له عمـر اطول ، وحيـاة أهنأ ، وعيش انعم ، اذ كان بمقدوره ٠ انما حب ميشال لارضه ، ومن الحب ما قتل ، وتمسكه بحريته ، والحرية تؤخذ ولا تعطى، وجرأته ضد الباطل ، مهما كان عظيما ، وثقته بنفسه ، واسباب اخرى تنم جميعها عن نزاهة واخلاص وصدق ووطنية، ونبل ، كان يتمتع بها ميشال، بشهادة جميع عارفيه ، ورفقائه ، واصدقائه ، كل هذه الاسباب ، القريبة والبعيدة ، الواضحة والخفية ، جعلت من نودع اليوم يكفر بالعيش الرغيد تحت نير الاحتلال ، ويهزأ بالحياة في وطن محتل ، او ممزق ٠

وهكذا اتخذ ميشال لنفسه طريقـا محاطـا بالاخطـار ، مزروعـا بالالغام ، والموت ، ومشى هذا الطريق بريئا من الطائفية والتعصب الطائفي البغيض بينما البسمة تملأ فمـه ، والفرح يرصع جبينه بزهو المؤمـن ، الواثق من نفسه الى ان قضى شهيدا ٠

اذن ، فاسمحوا لي بأن لا ابكي ميشال ٠

ليس لانه لا يُبكى ، بل لان الدموع لا تفيه حقه، وكذلك الكلمة٠ ولكي نرضي ميشال يجب ان نؤكد له على صمودنا ، حسبما اختط لنفسه ، وكما هي أمنيته ٠

كيف نبكي ميشال ، وهو خالد في كتبنا ، ودفاترنا ، وعلى اقلامنا ؟!

● صوت الاحرار ١٩٧٨/١٠/٣ ٠

ميشال بارتي في سطور

● ولد ميشال ساروفيم بارتي (والدته ميليا مسعود) في جزين عام ١٩٢١ .

● اعزب .

● درس في الحكمة ، وفي معهد الطب الافرنسي ، بيروت ، حيث تخرج صيدليا عام ١٩٦٩ .

● اسس « مركز بارتي الطبي » .

● كتائبي منذ كان تلميذا في الحكمة .

● شارك في الحرب الفلسطينية ــ اللبنانية ، لانه كان ضد كل غريب هدام على ارض لبنان .

● على اثر انقلاب الجنرال عزيز الاحدب ، وانفراط الجيش اللبناني، استقطب (مغاوير) من الدرك ، والجيش ، والشرطة (ف ١٦) ، وجمعهم في ثكنة واحدة ، ودعا تجمعهم العسكري ، هذا « جيش التحرير اللبناني » للدفاع عن قدسية ارض لبنان ، وذلك بالتنسيق مع « القوات اللبنانية الموحدة » .

● اصيب ، عام ١٩٧٦ ، بساقيه ، بينما كان يصد هجوما فلسطينيا على الاسواق التجارية .

● حاضر في امور وطنية ، واجتماعية ، ونقابية ، وشدد على اهمية اثار العاصمة ، ودعا الى الكشف عنها ، وتحويل المنطقة التي تقع فيها هذه الآثار الى منطقة سياحية نظرا لاهميتها التاريخية والعالمية .

● استشهد ميشال بارتي قبل ظهر ٣٠ ايلول ١٩٧٨ ، امام مؤسسة « مركز بارتي الطبي » حيث اقتحمها ٢٢ عنصرا سوريا ، من « قوات الردع العربية » كان هدفهم قتل الصيدلي واحتلال مركزه ، لكي يتسنى لهم فتح الطريق الى المرفأ .. وقد عرف عنه انه قاوم ، يومئذ ، مقاومة الابطال ، اذ اوقع في المقتحمين السوريين خسائر بالارواح جسيمة .

● شيع ميشال بارتي بموكب عسكري ، من قبل « القوات اللبنانية الموحدة » على عربة مدفع مضاد مغطى بالعلم اللبناني ، واديت له المراسيم والتحية .

● دفن في ريفون ، حيث بكاه الرفقاء والاصدقاء ، وكان لمصرع ميشال بارتي وقع ، في نفوس جميع معارفه واصدقائه ورفقائه، لا يوصف.

٣٢

ليتنا كنا كلابا !.

بعد حصار دام اكثر من اسبوع ، خرج الناس الى الشوارع . فريق قضى هذه الفترة في الملاجىء ، وفريق آخر ، لان لا ملاجىء له ، بقي على الادراج .

المدينة (بيروت) بعد الحرب ، تشبه طفلا جميلا كان يتمشى ، في حديقة منزله ، آمنا ، مطمئنا ، واذا بذئب شرس ينقض عليه ، فيدور الصراع بين الذئب الجائع والطفل الجميل ، الذي كان يحلم ويغني ، ويقرأ القصص ، ويحب ابنة الجيران .

وجه المدينة (الطفل) مشوه . فيه الف اثر ، لالف ظفر ، وناب . اما اطرافها .. فلا يمكنك ان تحددها ، لانها ما زالت تقطر دما .

كل منزل ، في بيروت الشرقية ، عنده حكاية عن الحرب . فهنالك اكثر من ثلاثين الف منزل مرت عليها الحرب ، الذئب ، فتعالوا ، الى هنا ، يا شعراء العالم ، ويا ايها الكتاب ، والفنانون، ان كنتم تريدون ان تعرفوا كيف يموت الاطفال ، والابرياء ، والعزل .

تعالوا الينا !

ان الدبابات و « الراجمات » السورية تخوض حربا بين المنازل التي

كانت كالنجوم ، لتدكها فوق رؤوس اهلها ، وهي تطلق العنان للنار ، لكي تصبح البراءة ركاما ، والطفولة رمادا • وها ان المدينة (بيروت الشرقية) قد غرقت في ظلام دامس ، وعطش قاتل ، وجوع خبيث •

الكتب القيمة هوت من على الرفوف • فكأن « الراجمات » العربية تعرف اين كانت تجلس هذه الكتب •

وكما جرى للكتب ، جرى ايضا للوحـات والرسوم ، التي كانت تزين الجدران •

ألم يكن في كل منزل ، هنـا ، متحف صغير ، ومكتبـة ، وغرفـة للموسيقى ، والرقص ؟!

تعالـوا الينـا !

لتروا كيف يسقط الرجال على الطرقات ، وهم يبحثون عن الرغيف، والمأوى ، والغذاء ، والدواء ، والماء ، لاطفالهم ، وشيوخهم ، ونسائهم •

لقد غطت الجثث الارض يا شعراء الملاحـم ، ويا ايها الفنانـون • وموسم الكتابة ، عندنا ، خصيب لمن يجرؤ •

لماذا العطف على الكلاب ، والقطط ، والخيل ، والحمير ؟
لماذا جمعية الرفق بالحيوان ؟

يا ايها الناس !

سيدة في اميركا ، توصي بأن تدفن ، بعد موتها ، الى جانب كلبهـا الذي مات منذ ست سنوات !

وعائلة اميركية ايضا ، اتفقت على ان يدفـن جميع اعضائها ــ بعد الموت ــ الاب ، الام ، الابنة ، والابن ــ الى جانب كلابهم الثلاثة !

ودعوة تقام ، في باريس ، على شركة طيران شحنت كلبا في صندوق،

وكان الصندوق ضيقا لم يسمـح للكلب بأن يقف على رجليه ، ويديه ، خلال الرحلة ، فتقضي محكمة باريس بتغريم شركة الطيران (•••) دفع ١٥٠٠ فرنك فرنسي ــ حوالي الف ليرة لبنانية ــ نقدا ، وعدا ، دون ان يكون للشركة حق في الاعتراض ، او الاستئناف •

الضمائر النائمة (•••) متى ستستيقظ على المجازر عندنا ! صرنا ، والله ، نحسد الكلاب ، والخيل ، والبقر ، والفئران ايضا •

هل تتحرك جمعيـة الرفق بالحيـوان ، وجمعية اصدقاء الكلاب ، والقطط ، والخيـل ، والحمير ، رحمـة بنا نحن « البشر » عفوا ، نحن « الكلاب » ؟!

لو كنا ننتمي الى عالم الحيوان ، لقامت الدنيا على رأس الاسد •• وعلى جيشه •• ولكن ، يا للاسف ، قد خلقنا بشرا •• في منطقة لا قيمة فيها للانسان •

ليتنـا كنـا كلابـا •••

● صوت الاحرار ١٢/١٠/١٩٧٨ .

٣٣

ليحرر الاسد الجولان

كتاب مفتوح الى مؤتمر وزراء خارجية العرب (١)

قال الرئيس السوري ، حافظ الاسد ، وهو يودع الرئيس اللبناني ، الياس سركيس « اننا في سوريا متألمون جدا لما حدث في بيروت ، ولكن ليس من المستحيل تلافي كل الآثار السلبية التي تنجت عما حدث » والواقع هو ان « تلافي كل الآثار السلبية التي تنجت » — فعلا — سيكون عملا مستحيلا ، ذلك لان اللبناني ، الذي يعيش ، اليوم ، تحت رحمة الجنود السوريين ، الذين يقطعـون عليه الطرق والجسور ، ويحاصرون المناطق المسيحية ، في بيروت والجبل ، واللبنانـي الذي وحده قد نزف واحترق على مذبحي العروبة ، والقضية الفلسطينية ، لن ينسى — ابدا — لا خطر العروبة ، ولا خطر الفلسطينيين ٠

فليكن معلومـا لدى الرئيس الاسد ، وجميع الملـوك ، والرؤساء العرب ، بأن اللبناني الذي تُرك وحيدا يتخبط بدمه ، وهمومه ، ومآسيه ، قد طلّق العروبة والقضية الفلسطينية طلاقا لا رجوع عنه ٠ ومن يتجول في هذه الايام ، في شوارع بيروت الشرقيـة ، او في مدن وقرى الجبل ، يدرك حتما خطر التباعد — بين المسيحيين اللبنانيين والعرب — الذي احدثتـه الاعتداءات السورية على بيروت الشرقية ، وضواحيها ٠

هنالك نفور واشمئزاز ، ثم حقد ، وكراهية ، بات يشعر بها المسيحي

---

(١) انعقد هذا المؤتمـر في قصر بيت الدين بنـاء لطلب الرئيس الياس سركيس الذي قام بجولة على البلدان العربية قبل اسبوع من تاريخه ونال الموافقة على انعقاده ٠

اللبناني تجاه السوريين والفلسيطنيين وتجـاه العرب ، كل العـرب ، لا ادري ما اذا كانت ستتحول فيما بعد الى عداء يشبه العداء التاريخي بين اليهود والعرب ٠

فلا يكفي ان يشعـر الرئيس الاسد بالذنب ، كما لا يكفي ايضـا القـول « اننا في سوريا متألمون جدا » لانه كان بامكانه ان يتجنب ، هو وابنـاء بلده ، وجيشه ، ومعاونوه ، والعـرب كذلك ، الانزلاق في هذا المنحدر (القضية اللبنانية) الذي لا يرحم ولا يساير ٠

لقد بكيت لسببين :

اولهما ، ان ارى هذا الوطن يتمزق ، ويحترق ، ويهجّر ابناؤه ، ويتهدم عمرانه ، ويقتل شبانه واطفاله على الدروب ، لا كما الحيوانات ٠

وثانيهما ، ان ارى الجولان ، تحتلها اسرائيل ، بينما سوريا تدّعي تحرير لبنان من « عملاء اسرائيل » ومن « اعـداء » الامن ، والشرعية ، والسيادة ، والقانون ٠

ورحت اتساءل لماذا نسيت سوريا الجـولان ، ولما لغة الحديـد والنار ، هنا بالمناطق المسيحية من لبنان ؟؟!

ان حوالي ستين قرية سورية في الجـولان ، قد اخذتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ والى الآن لم تستطع سوريا — الاسد، ان تسترد منها سوى نصف مدينة القنيطرة ، وكلنا يعرف كيف تمت عملية الاسترداد ٠

ان مساحة الجولان تزيد عن الفي كلم٢ ، فيما لا تزيد مساحة بيروت الشرقية ومنطقـة ساحل المتن عن الالف كلم٢ ، فلماذا لم توفر سوريا — الاسد القذائف ، والصواريخ (اكثر من ٥٠٠ الف قذيفة) التي اطلقتهـا على بيروت المسيحية ، الى يوم قد يدعى يوم الجولان ؟

لقد أنشأت اسرائيل ٢٨ مستعمرة يهودية في مرتفعالات الجـولان

ـ خلال عشر سنـوات مضت ـ والجدير بالذكر ان المستعمرة الاخـيرة (الثامنة والعشرون) قد دشنت عندما كانت الراجمات والمدافع السورية تقصف الحـدث ، وفرن الشباك ، وعين الرمانة ، وبدارو ، والاشرفية ، ومنطقة ساحل المتن الشمالي .

نحن في لبنان ، لم نصدق ما قاله وما سيقوله الاسد، وغير الاسد.. وهذه هي القنيطـرة ، التي لا تبعـد عن دمشـق اكثر من ستين كلم[٢] . فالاولى بالاسد ، والعرب ، ان يحرروا الجـولان ، ويتركوا لبنان يدبر نفسه بنفسه . فالحق الذي يؤخذ من غير صاحبه ليس حقا ولا هو دائم .

١٩٧٨/١٠/١٦

قضيتنا .. أبعد من المؤتمرات العربية

كان اقصى ما نرجوه ، من اصحاب المعالي ، وزراء الخارجية العرب، المؤتمرين في قصر بيت الدين ، ان يكونوا قد سمعـوا ، وقرأوا الكتاب المفتوح الذي وجهه اليهم رئيس حزب الكتائب اللبنانية ، الشيخ بيـار الجميـل ، وما قد صرح به كـل من الرئيس الاسـبق ، كميـل نمـر شمعون ، رئيس حزب « الوطنيون الاحرار » والشيخ بشير الجميل قائد « القوات اللبنانية الموحـدة » ، فقـراءة ما صدر عن حزبي الكتـائب و «الاحرار» ، وعن «القوات اللبنانية الموحدة» ـ بمناسبة وجود وزراء خارجية الدول العربية، المشتركة في قوات «الردع» العربية، والممولة لهـا ـ عمل ليس عاديا ، نظرا لما تضمنته هذه النداءات ، والتصاريح ، من صدق، وجرأة ، ووعي ، واخلاص ، وشمول ، ووطنية .

ان صورة لبنان الخارجية قد تغيرت ، لكن الانسان اللبناني ما يزال يتشبث بالبقاء ، فلا ترغموه ان يلتمس خلاصه .. « ولبنان اذا تعذر عليه ان ينتصر فلا يستحيل عليه ان ينتحر ، وكل رجائنا ان لا ينتظر العـرب اضاعة لبنان كليا ليدركوا بماذا يجازفون ، ويروحون من ثم يفتشون عن لبنان آخر يكون لهم على الدنيـا منبرا لقضاياهـم ولاي مضطهد منهم موئلا ، فلا يجدون » [1] .

(١) من بيان حزب الكتائب اللبنانية .

ما هذا الصدق في القول !

ترى لماذا نسي العرب لبنان الذي كان منبرا لقضاياهم و « موئلا لاي مضطهد منهم ؟ » •

لماذا سمعوا ما قاله الطامعون بلبنان (•••) والفوضيون ، واعداء الحرية ، والمستبدون ؟

ولماذا سمحوا للفلسطينيين بأن يشتروا بأموال العرب، اعداء للحرية ودعاة تخريب ودمار ؟

ثم لماذا سكتوا عن اعمال العنف ، والقصف العشوائي المتوحش ، الذي بادرتنا به « الشقيقة » ، سوريا ، بدلا من المحبة ، والامن، والعون؟

* * *

اذكر انني قلت ، مرة ، في مؤتمر صحفي عقده « ابو ارز » في احد مراكز « حراس الارز » — في السبتية — على اثر صدور مقررات مؤتمري الرياض والقاهرة •• « ان الامة التي تطلب السلام ، من شعوب هي بأمس الحاجة الى السلام ، ستبقى ، لا شك ، طعاما لنيران المدافع ، مسرحا لكل مؤامرة » فذهب كلامي هذا ، كما ذهب مثله ، بلا جدوى ••• وكأننا نخطب على المقابر •

* * *

ان مقررات مؤتمري الرياض والقاهرة التي استحال تنفيذها ، وبان عجزها ، تؤيد الرئيس كميل شمعون والشيخ بشير الجميل على مواقفهما

من التجديد لقوات الردع العربية ومن مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي انعقد في قصر بيت الدين •

« نحن نطالب بانسحاب قوات الرع العربية بكاملها ، هذا هو موقفنا ولن يتغير•كذلك نعارض مجيء اي قوات الى لبنان مهما كانت الدولة التي تنتمي اليها » (١) •

نعم ! نعم !

ماذا كنتم تنتظرون من الرئيس كميل شمعون ، وقد حصل للبنان على يد القوات العربية ، ما يعجز عنه الوصف ؟

اليس من الغباوة ان يستنكر العرب اليوم موقفا مثل هذا ، يتخذه الرئيس شمعون ، وهو رئيس لحزب لبناني ضرب المثل في الصمود والتضحية ؟ والى متى سيبقى العرب يتجاهلون ان الرئيس شمعون هو مهجر عن منطقته (الشوف) وعن منزله ؟

* * *

« نطلب الانسحاب الفوري لجيش الاحتلال السوري من كل الاراضي اللبنانية بدون استثناء لان انسحابه الجزئي وبقاءه في مناطق اخرى يؤدي الى خطرين ، الاول : خطر عدوان دائم بواسطة المدفعية السورية الثقيلة والبعيدة المدى • والثاني : تثبيت التقسيم ، بينما نحن نناضل من اجل تحرير لبنان وتوحيده » (٢) •

انها الحقيقة •• التي ترفض التجزئة كما ترفض المراوغة والمخادعة واللف والدوران •

ومثل قول الشيخ بشير الجميل « نطلب الانسحاب الفوري لجيش الاحتلال السوري من كل الاراضي اللبنانية » يجب ان يؤخذ بعين

---

(١) من تصريح للرئيس شمعون •
(٢) من تصريح للشيخ بشير الجميل •

الاعتبار • فهو ، ولا شك ، يمثل آراء جميع الذين اصابتهم الحربان : الفلسطينية ــ اللبنانية ، والسورية ــ اللبنانية •

ويمثل كلام الشيخ بشير الجميل هذا آراء المهجرين، والمشردين، واصحاب البيوت التي دمرتها ان كليا او جزئيا ، القنابل السورية •

ويمثل ايضا آراء اولئك الذين اخذت الحرب منهم ، آباءهم وابناءهم ، وامهاتهم ، واشقاءهم ، ومستقبلهم •

★ ★ ★

ما اعظم الوزراء المؤتمرين لو يتحررون من ضغط الاعلام الفلسطيني المغرض ، والخبيث ، ومن التوجيهات السورية التي تشبه ــ شكلا ومضمونا ــ توجيهات الدولة المستعمِرة الواثقة من قدرتها (؟) المطمئنة الى اخلاص قادتها العسكريين ، وجنودها (؟) •

★ ★ ★

بالاضافة الى بيان حزب الكتائب اللبنانية ، والى ما ورد على لساني الرئيس شمعون ، والشيخ بشير الجميل ، اود ان اذكّر ــ بكل محبة ــ الملوك والرؤساء العرب ، عبر وزرائهم ، ومندوبيهم ، المجتمعين في قصر بيت الدين ، بكتاب بعث به امير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، الى ابي عبيدة ، عندما ولاه امارة الجيش مكان خالد بن الوليد •

لقد كتب عمر يقول :

« لا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة • ولا تنزلهم منزلا قبل ان يستريده لهم • وتعلم كيف مأتاه • ولا تبعث سرية الا في كثف من الناس • واياك والقاء الناس في هلكة • وقد ابلاك الله بي ، وابلاني بك ، فاغمض

بصرك من الدنيا، واله قلبك عنك • واياك ان تهلكك كما اهلكت من قبلك فقد رأيت مصارعهم » [١] •

ان بيان حزب الكتائب اللبنانية ، والمواقف التي اتخذها كل من الرئيس شمعون والشيخ بشير الجميل ، تنذر العرب ، وتؤكد لهم على الصمود اللبناني ، حتى درجة الانتحار ، فهل يسكّن الملوك والرؤساء العرب جيوشهم من المصارع •• ويجعلون مؤتمر بيت الدين غير مؤتمري الرياض والقاهرة (قلنا عنه لن يكون الا حبرا على ورق) على صعيد المقررات والتنفيذ ؟••

وانه لآخر ما نرجوه من العرب ••• علما بأن قضيتنا هي أبعد من المؤتمرات العربية والمؤتمرين •

---

(١) « حياة عمر » محمود شبلي .

● صوت الاحرار ٢٠/١٠/١٩٧٨ .

٣٥

لبنان ما زال على المشرحة

« اي حل سياسي يجب ان يستند الى صمود المئة يوم تحت القصف ».

ـ بشير الجميل ـ

يتفق الفلسطينيون ـ كتابا ، وشعراء ، وسياسيين ، ومقاتلين ، ومعهم عامة الناس ـ على ان الدول العربية هي التي اهملت القضية الفلسطينية ، وتركت الصهيونية تخطط وتنفذ ، ما شاء لها ، حتى سقطت فلسطين في ايدي اليهود ، وتم تهجير الفلسطينيين .

اما لماذا لم يصمد هؤلاء على ارضهم ، فيقولون .. كيف نصمد ، ونحن عزل ... وقد قصفتنا الطائرات الاسرائيلية ، ونفذ اليهود ، فينا ، المذابح ، والمجازر ، بينما الدول العربية ، جميعا ، تتفرج علينا .

وهكذا يحاول الفلسطينيون ان يخلّصوا انفسهم ، كلية ، من المسؤولية ليلقوها ـ كاملة ، غير مجتزأة ـ على عاتق الملوك ، والرؤساء العرب .

فمن الطبيعي ، والحالة هذه ، ان يصاب الملوك ، والرؤساء العرب،

بالعقد، والازمات النفسية، تجاه هذا الشعب الذي سكن المخيمات ، الامر الذي جعل الدول العربية ، لا سيما سوريا ، والاردن ، والعراق ، ومصر ـ خلال الفترة التي سبقت ولادة المنظمات الفلسطينية ـ تعتمد مخبرين فلسطينيين ، كانوا يتسللون الى اسرائيل ، اما لتنفيذ اعمال تخريبية على ارضها ، واما لجمع المعلومات السرية (...) التي تتطلبها هذه الدول .

لقد عبر الحدود اللبنانية ، نحو اسرائيل ، آلاف من الرجال الفلسطينيين ، الذين كانوا يعملون لحساب « الاستخبارات السورية » بعلم من الدولة اللبنانية ، التي كانت تقدم لهم المساعدات ، والتسهيلات اللازمة .

لم يبق لا ملك ، ولا رئيس عربي ، الا وقد ابدى « اهتماما » كبيرا بالفلسطينيين ، وقضيتهم ، حفاظا على سلطانه . وكان الفلسطينيون يهددون ، بالاغتيال ، كل من يطلب السلام مع اسرائيل .

فما من انقلاب حصل ، ان في العراق ، او في سوريا ، او الجزائر ، او مصر ، الا وكانت القضية الفلسطينية رأس القضايا التي يدّعي المنقلبون العمل من اجلها .

لقد اشتهر العراقيون ، والسوريون ، والجزائريون ، بكثرة الانقلابات ، مثلما اشتهروا بالاتجار بالقضية الفلسطينية .

اما الذي زايد بتفوق ، على المسؤولين العرب كافة ، فكان الرئيس جمال عبد الناصر . وبفضل التنافس الشديد الذي كان بين الدول العربية، ولدت المنظمات الفلسطينية ـ « المعتدلة » ـ منها و « الرافضة » بعد ان نشأت الحركات القومية ، والتجمعات الحزبية ، كل واحدة منها تتبع دولة .

فباسم القضية الفلسطينية كانت اذاعة « صوت العرب » توجه

الشتائـم ، والاتهامات ، صباح مساء ، الى المسؤولين السوريين ثم الى المسؤولين العراقيين ، ثم السعوديين ، ثم ملك الاردن • ونـال موارنـة لبنان نصيبهم من هذه الاذاعة (خاصة في عهد الرئيس الاسبق كميل نمر شمعون) •

وباسم القضيـة الفلسطينية ايضا ، كانت الاذاعـات ، في دمشق ، وبغداد ، والرياض ، وعمـان ، ترد « التحية » لاذاعة « صوت العرب » (واذا حييتم بتحية فحيوا بمثلها او احسن ـ قرآن كريم) •

وتأسست « منظمة التحرير الفلسطينية » ثم تلتها المنظمات الاخرى• فتزايد الصراع العربي ـ العربي ، الذي حمل الحظ السعيد لاسرائيل ، التي كانت تعزز امكانياتها العسكريـة ، وتسهر على تحصين حدودها ، وتدريب جيشهـا ، والتي اصبحت ، بفضل اعتمادها على نفسها ، وعلى اصدقائها ، في العالم ، وخاصة اميركا ، دولـة لها نفوذهـا ، وهيبتها في المنطقة كلها •

وفيما العرب على حالهم ، مثلما قلنا ، استطاعت اسرائيل ان تحتـل مواقع جديدة ، يحاول العرب ، وعلى رأسهم الرئيس المصري السادات ، استعادتها بالتفاوض •

لكي لا تبقى القضية الفلسطينية قائمة ، وُضع لبنان على المشرحة • ففي لبنان ، تحل سوريا مشكلتها مع اسرائيل ، لتبقى الجولان منطقـة اسرائيلية ، فيما يصبح البقاع وعكار ، جزءا من سوريا ، بدلا من الجولان•

وفي لبنان ايضا ، يحل الفلسطينيون مشكلتهم ، ويتم توطين اكثـر من مائتي الف منهم ، في الجنوب ، وتحديدا في المنطقة الواقعة بين نهري القاسمية والزهراني •

اما ما سيتبقى من لبنان فسوف يقسم الى دولتين طائفيتين : واحدة

مسيحية ، واخرى اسلامية ، على ان تدخل المنطقـة الواقعة جنوبي نهر القاسمية في عهدة الدولة الاسرائيلية •

ولما احيل هذا المخطط الى التنفيذ ، ظن المنفذون ، والمخططون ، ان المعركة سوف تحسم بسرعة • وكُلّف الفلسطينيون بهذه المهمة ، على ان يساعدهم العرب ، كل العرب ، بالمال ، والسلاح ، والمرتزقة •

لكن مفاجأة كبرى حصلت، حيثصمد الكتائب والاحرار وحلفاؤهم في وجه هذه المؤامرة •• حتى اعلن الفلسطينيون وانصارهم ، عن فشلهم، لتتولى سوريا المهمة التي اوكلها اليها المخططون •

وكما جرى في حرب السنتين ، جرى ايضا ، في الحرب السورية ـ اللبنانيـة ، فالى الآن تعتبر سوريـا فاشلـة ، ولو انها دمرت المناطـق المسيحيـة •• لكن المؤامرة ـ في الحقيقة ـ ما زالت مستمرة ، ولسوف تدخل مرحلتها الثالثة ، وعلى يد سوريا بالذات •

ليس سهلا على سوريا الاعتراف بفشلها ، وانسحابها من الساحة • لذلك ستتولى ، مرة اخرى ، المهمة ذاتها وفي مرحلتها الثالثة ، كما سبق وقلنا •

في هذه المرحلـة •• ستكون المنطقة الغربيـة ، وصيدا ، وصور ، مسرحا لها ، بدلا من المنطقة الشرقية ، والجبل • وهناك ستضرب سوريا الفلسطينيين ، والشيوعيين ، والسوريين القوميين الاجتماعيين ، وباقـي الفئات الحليفة للفلسطينيين ، وربما بالعنف ذاته الذي ضربت به المناطـق المسيحية •

يرجح المراقبون ان الفلسطينيين ، وحلفاءهم ، لن يصمدوا في وجه سوريا ، مثلما صمدت « القوات اللبنانية » •

واذا حصل ما يتوقعه المراقبون ، ستنتهي الاعمـال العسكريـة في لبنان ، وتنكسر شوكـة الفلسطينيين ، ومن يدور في فلكهم ، فتختفي ،

من الساحة اللبنانية ، الاصوات المعارضة ، والرافضة ، وتدخل سوريا ـ الاسد ، في التفاوض مع اسرائيل •

وما قصة اختفاء الامام الصدر ، في ليبيا ، الا واحدة من هذا المسلسل الرهيب •

يبقى ان نقول ان صمود الكتائب « والاحرار » لو قدر له ان يعاونه صمود مماثل في المنطقة الاخرى ، من بيروت ، لانتصر لبنان ، وانتهى مشروع تشريح الخريطة اللبنانية •

فما العمل ، ولبنان قد اختير ليكون ضحية العرب ، واسرائيل ، والفلسطينيين ، لان في لبنان مفهومين مختلفين للوطن ، والسيادة والوطنية •

● صوت الاحرار ١٩٧٨/١٠/٢٤ .

٣٦

همسة في أذن «العميد»

كانت الساعة تشير الى منتصف ليل الاحد ـ الاثنين (٩-١٠ تشرين الاول ١٩٧٧) عندما دخلت ، مع بعض الاصدقاء الى احدى النوادي الليلية في روما •

لقد كان جو هذا النادي صاخبا • اذ اكتظ بالراقصين والراقصات ، واكثرهم من اللبنانيين •

بعد اقل من نصف ساعة ، وفيما نحن نتجاذب اطراف الحديث ، ونتبادل الانخاب مع من جمعتنا بهم الصدفة (•••) لفت نظري وجود النواب السادة : مخايل الضاهر ، جوزيف سكاف ، والياس الهراوي • وعندها قلت لا بد ان يكون العميد ريمون اده موجودا هنا • كنت قد اخذت علما بأن العميد موجود في روما ، وقد جاء لحضور الاحتفال بتقديس الرجل الذي نذر نفسه لله ، وللمسيحية ، شربل مخلوف •

وفعلا قمت لاسلم على السادة النواب ، علّي اجد العميد ، فأسأله عن رأيه في الاحداث ، وما اذا كان سيعود الى البلاد ومتى ؟

كان العميد محاطا بآنستين لبنانيتين ناعمتين (•••) فانتظرت الى ان دعيت احداهن الى الرقص فأخذت مكانها• وهنا عرّفته بحالي• لانني

لا اتوقــع ان يتذكرني في هذا الجــو ، فسر كثيرا ، وقال « ••• وانت هون كمان • شو خصك بشربل ؟ » طبعا قالها مازحا ••• وسألني على الفور « هل تريد حديثا صحفيا ام ماذا ؟ » •

قلت ابدا • انما اود ان اعرف منك شيئا عن مستقبل السوريين في لبنان ، وشيئا عن الجنوب ، والشيعة • قال « في الجنوب ، سيقام حائط مبكى على نهر القاسمية • واما المنطقة الواقعــة بين القاسمية وصيــدا ، فمرشح لها ، حسبما تقول التقارير السرية ، ان تكون وطنا للفلسطينيين•• لأكثر من مائتي الف فلسطيني » •

والشيعة ما هو مصيرهم يا عميد ؟

تناول كأسه ، ورفعه الى شفتيه ، ثم اجاب « هذه الطائفة ستشتت، بين هنا وهناك ، كما لن يكون لها شفيع لا عربي ، ولا غير عربي » •

وماذا عن السوريين يا عميد ؟

قال وكأنني قد فتحت له جرحا عميقا « لن يخرجوا من لبنان بسهولة ولسوف يدمرون البلد ، ويقضون على اقتصادها • وعلى الذين رحبــوا بدخولهم لبنان ان يتحملوا النتائج » •

سكتُ برهة ، ثم عدت لاقول ••• نفهم ان هنالك معركة طاحنــة سوف تنشب بين السوريين ، والقوات اللبنانية ، يا حضرة العميد ؟

قال : « دعنا نتمتع بهذا الجو • واترك السياسة جانبا • لقد سئمت والله ، الحديث في هذا الموضوع » •

قلت : ارجوك لن اطيل عليك ، فمتى سنراك في لبنان ؟

هنا تملكته عصبية ظاهرة ليس مردها الويسكي طبعا ، واجــاب ،

وهو يلقي نظرة على الانسة التي كانت ترقص برشاقــة مدهشة فقــال : « لن اعود الى لبنان ، وعلى ارضه جندي سوري واحد » •

قلت : والفلسطينيون ••• ما هو موقفك منهم ؟

صمت لحظة ثم قال : « اقدر فيك جرأتك ، ومواقفك ، لذلك ، ان كنت ترغب الاطلاع على رأيي بالفلسطينيين وغيرهم ، فأنا على استعداد لان افوضك كي تسحب من محفوظات مجلس النــواب جميع التقــارير والبيانات الصادرة عني منذ عام ١٩٦٧ » •

شكرت العميــد وقبل ان اتركــه الى الحسناوات والرقص ، والى أصدقائه النــواب ، قال : « هل لك ان تكتب عن الاطماع السوريــة بلبنان ؟ انني اعرفك جريئا ؟• »

ثم اردف قائلا : «اتمنى ان أقرأك، قريبا، على صفحات «العمل» [١] في مقال توضح فيه الاطماع السورية ، والخطر الذي سيلحق بلبنان على يد « قوات الردع العربية » الموجودة في الاشرفية ، وفرن الشباك ، وعين الرمانــة ، وعلى الجسور التي تربط بيروت الشرقية بكسروان ، والمتن ، وسائر المناطق الاخرى » •

ما اكثر ما كتبت على صفحات « العمل » قبل ان التقي بالعميــد ، في روما ، وبعده ، محذرا من حرب « الراجمات » والدبابات السوريــة الرابضة فوق صدور العاصمة ، وفي الجبال • لكن المؤامرة على ما يبدو ، ما زالت اقوى منا • واما سوريا فسوف تفشل مثلما فشل الفلسطينيون • ان صمود القوات اللبنانيــة في وجه القوات السورية ، والمعــدات الحربية الثقيلة ، سيكون درسا قاسيا لسوريا كما كان للفلسطينيين ••• واللاعب بالرماد لا بد ان يفقد بصره •

(١) كان يبدو عليه انه يعتقد ان « العمل » لا تسمح لي بنشر ما يسيء الى سمعة سوريا في لبنان ويزعجها .

حضرة العميد ،

قـرأت ، الليلـة ، انك قـد صرحت لمجلـة « موندي مورننغ » البيروتية ، قائلا ستعود في نهاية الشهر الحالي الى لبنـان ، فهل ان يوم رجوعك قد اصبح قريبا ، مثلما نشتهي ، ام انك نسيت ما قلته لي « لن اعود ، الى لبنان ، وعلى ارضه جندي سوري واحد ؟؟ » [١] •

حضرة العميد ،

كلنا نرحب بعودتك ، ولكن لنا عليـك الف شرط ••• لن اذكر ، اليوم ، ولا واحدا منها ، لعلمي انك تعرفها •

---

(١) في هذا الوقت سرت شائعات تقول ان « القوات السورية » سوف تنسحب من لبنان فيما بقيت استبعد هذا الانسحاب .

● صوت الاحرار ٢٣/١٠/١٩٧٨ .

٣٧

بين عبدالله وسنوبي

••• ورحل الحب من بيروت ، فسكنت البغضاء قلوب النـاس • ومضت الايام ، والليالي •• كلمـة من هنا ، وكلمة من هناك • خبر عن « الشرقية » ، وخبر عن « الغربية » ، ومثلما النار في الهشيم ، اشتعلت الحرب عندنا ، لتأكل مابنيناه ، في زمن الحب • وكنت لا اصدق بأن منازل الحب ، التي اقمناها ، على شيء من التفـاهم ، والوفـاء ، والصـدق ، والاخلاص (•••) ستصبح ، بعد الفراق ، مسرحا للغزاة ، الذين قدموا الينا ، وفوق رؤسهم الرايات البيض ، والشعارات التي تقول « السلام لكم » و « السلام منكم » و « السلام عليكم » •

فيومها صدقنا ادعاءاتهم ••• وطلبـوا ان يجلسوا فوق شرايينا التي جفت ، بعد الثرثرة ، وقبل ان نوافق (قيل انهم قرأوا « اللهم اجعل من خلفهم سدا ، ومن حولهم سدا ، وبين ايديهم سدا ») سكنت شرايينا المدافع الثقيلة ، والراجمات ، بناء على التعليمات التي لديهم ، فخيم الصمت علينا ، ورحنا ننتظر الحب يعود ، مثلما كان ، اذ قيل لنا •• ان العرب لا يتسامحون مع الخيانـة ، والمرأة عندهم تخضع للرقابـة المشددة ، وهي مهددة بالموت ، ان هي رفعت بصرها في وجه الرجـل ، وقد تؤخذ من ناصيتها حتى تقدم الطاعة ، والولاء لرجلهـا •• وكذلك بالنسبة للذين

يتآمرون على وطنهم •• ويغدرون باخوانهم •• فاعتقدنا ان الوفاق بات على الابواب ، وان الذي سيرشق السنديانة العتيقة ــ حيث كنا نتبادل الحب ــ بحجر ، سيؤخذ من ناصيته ، ويجلد ، تحت الشمس ، بحضور كل الفرقاء ، فهتفنا بصوت واحد « كلنا عرب » !

وفيما نحن نهم بالدخول الى « مدرسة العروبة » رفع « الاستاذ » بعصاه (القذيفة) ليقول : رددوا معي :

« عاش الرئيس الاسد » ، فقلنا « عا •• ش •• الر •• ئيس •• الاسد •• » كان وجه « الاستاذ » •• قد علاه اصفرار حاد ، وخفنا عليه ان يسقط •• فصرخنا « عاشت العروبة الحضارية » و « عاشت سوريا ــ الاسد » • لكن « الاستاذ » يريد شيئا آخر •

وقبل ان يتلاشى « الاستاذ » انطلق صاروخ عربي زلزل الارض ، فتبعه صوت « جماهيري » شق الخناجر « لبنان وطن عربي » •

هنا ، ضحك « الاستاذ » وقال « اكملوا يا صغاري •• لبنان وطن عربي ، وجزء لا يتجزأ من الامة العربية » •

انطلق صاروخ عربي آخر •• فتورد وجه « الاستاذ » ورفع ثانية بعصاه (القذيفة) الى فوق ، قائلا « ان صوتكم يجب ان يخرق السحب » وقال ايضا « رددوا معي » :

« اللهم وفق سيدنا ، ومولانا ، قائدنا المفدى ، بطل تشرين ، الفريق ، الرئيس حافظ الاسد ، وايده من عندك ، وانصره على اعداء امتك ، واعداء دينك ، انك سميع مجيب » •

وقبل ان نردد ما قاله « الاستاذ » سمعت انفجارات شديدة ، تلتها اصوات تشبه صوت « النرجيلة » ولما هدأت اشار علينا « الاستاذ » بالاصغاء ، ليقول « لا تخافوا ، انها الراجمات العربية تقول آمين : ••

آمين •• آمين •• » •• والآن جاء دوركم •• فانشدوا معي يا صغاري :

« اللهم وفق سيدنا ، ومولانا ، قائدنا المفدى ، بطل تشرين ، ورائد العروبة ، الفريق ، الرئيس حافظ الاسد ، وايده من عندك ، وانصره على اعداء امتك ، واعداء دينك » (قالها مرة ثانية لكي نتمكن من حفظها) ففرقنا الخوف ، وهرعنا الى منازلنا ، لا ندري ماذا نفعل •

اشتد غضب المدافع ، والراجمات ، فبدأت تقصف المنازل ، ورحنا نبحث عن الملاجىء ، لكن القذائف العربية ظلت تلاحقنا ، في الليل ، وفي النهار ، حتى قطعت علينا النوم ، والماء ، والخبز ، والكهرباء •

وارتدت بيروت الشرقية ثوبا من الدخان الاسود الكثيف، فانقطعت عن نصفها الثاني ، كما انقطعت عن الجبل ، فغرقت في بحار ، من الدم ، والجوع ، والعطش ، والظلمة ، والخوف ، والقلق •

الجرحى في الملاجىء ، وفي البيوت ، وعلى الطرقات ، ينتظرون سيارات الاسعاف ، بينما وابل من القنابل ، ورصاص القنص ، ينهمر فوق رؤوسنا ، فلا تستطيع سيارات « الصليب الاحمر » ان تمر •• وقد اصيب عدد من المتطوعين ، وهم يعبرون الجسور ، فتعطل الانقاذ ، حتى مات اكثر الذين اصيبوا •

وذات يوم ، اعلن وقف اطلاق النار ، فخرج « عبد الله » (٤٥ سنة) ليشرب من القناة التي تمر من امام محطة الوقود ، الكائنة قرب « مستديرة الحايك » واذ هو يقطع « المستديرة » اصيب برصاصة قنص، في رأسه ، اردته قتيلا •

وبقي « عبد الله » (الجثة) عند « المستديرة » اكثر من اسبوع ، فاتحا ذراعيه ، وقدميه ، فانتفخ بطنه ، واسود وجهه ، واصبحت رائحته كريهة لا تطاق ، ثم حط عليه الذباب ، والبرغش ، والدود •

لم يستوقف « عبد الله » (الجثة) احدا من المارة .

لقد داست سيارة على كفه ، واخرى على قدميه ، ثم على رأسه ، ثم على بطنه ، حتى انفجر ، وهكذا التقطته عجلات السيارات ، فنثرته على الطرقات ، وفي المستنقعات ، وتحت احذية المشاة ، فضاع « عبد الله » بين الشمس ، والهواء ، وبين التراب ، والماء . اما عجلات السيارات فلم يبق عليها من « عبد الله » اثر .

انا لا اعرف « عبد الله » . ولعله واحد من اولئك الذين هربوا من « مدرسة العروبة » عندما كان « الاستاذ » يعلّمنا دروسا في « الحضارة العربية » بحضور الراجمات التي توقع «الشهادات» التي تفضّل ومنحها « الاستاذ » لمن رغب الدخول في هذه « المدرسة » .

لم يكن حظ « عبدالله » مثل حظ « سنوبي » .

كان « سنوبي » (٨ اشهر) قد خرج مع السيدة « دودو » وسائر افراد العائلة ، الى « البيسين » .

وفيما هو ، كالشيطان ، يلعب مع الصغير « جوجو » قفز الى الشارع فصدمته سيارة ، قيل انها كانت مسرعة .

وهز السيدة « دودو » الخبر ، الفاجعة ، فتركت « البيسين » مذعورة ، وركبت سيارتها ، وهي ترتدي «البيكيني»، وحملت «سنوبي» المسكين ، الى الطبيب . كانت سيارتها تنطلق بسرعة جنونية .

طمأن الطبيب السيدة « دودو » الى صحة « سنوبي » واكد لها ان « العزيز » لم يصب بكسور ، فسألته « لماذا لا يقف ، اذن ، مستقيما ، على يديه ، ورجليه ؟ » فأجابها الطبيب ان « سنوبي » مصاب بمعدته ، ويحتاج الى علاج مدروس ، وراحة ، وانتباه لمدة شهر .

حملت السيدة « دودو » كلبها الى البيت ، والحزن باد على وجهها.

بعد الظهر ساءت صحة « سنوبي » فأستدعي الطبيب،وكذلك في المساء .

الغت السيدة « دودو » العشاء الذي كانت قد دعت اليه بعض الاصدقاء ، والصديقات .

في اليوم التالي ، لزمت السيدة « دودو » وزوجها المنزل ، ليستقبلا اصدقاءهما ، الذين جاؤوا ليعودوا « سنوبي » اذ انتشر الخبر بسرعة بينهم ...

لقد صممت السيدة « دودو» ألا تغادر المنزل حتى يتعافى «سنوبي» ... وكان الله رحيما « بالعزيز سنوبي » وبأعصاب السيدة « دودو » وزوجها ، واولادها ، فشفي « سنوبي » الذي زاره الطبيب ، عدة مرات، في المنزل .

لست ادري هل كان « سنوبي » سيموت مثلما مات « عبد الله » لو انه فكر بأن يدخل « مدرسة العروبة » ويقف في الصف ، ليستمع الى محاضرة « الاستاذ » ؟

هنيئا « لسنوبي » الذي لا علاقة له بالعروبة .

● صوت الاحرار ٢٦/١٠/١٩٧٨ .

٣٨

التحالف الأسرائيلي - الفلسطيني - السوري

في معرض ردها ، على عملية نفذها فلسطينيون ، بمطار اللد (ايار ١٩٧٢) قالت غولدا مائير ــ رئيسة وزراء اسرائيل السابقة ــ « لن نبقي حجرا على حجر في لبنان » !

ومن لبنان ، بقي الفلسطينيون يرسلون « فدائييهم » الى اسرائيل ، واوروبا ، واميركا ، للقيام باعمال تخريبية ، ضد المصالح ، والمنشآت الاسرائيلية ، على الارض ، كما في الفضاء .

وعلى اثر كل عملية كانت « المنظمة الفلسطينية » (المسؤولة) تسارع الى اعلان مسؤوليتها ببيان صادر عن مكاتبها في بيروت (؟) يتضمن التفاصيل كافة ، مع صور « الابطال » المنفذين ، وتحت صورة كل « بطل » تجد اسمه « المدني » ، ثم « الحركي » ومكان ولادته ، ونشأته .

* * *

يقيم ، في لبنان ، عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين ، لا نجد مثله في أي بلد عربي آخر ، مهما كان كبيرا ، او غنيا ، مما يؤكد لاسرائيل ــ بعد كل عملية « فدائية » ضدها ــ ان اكثر « الفدائيين » الفلسطينيين

الذين تقبض عليهم ، او الذين يقتلون على ارضها ، او في اي مكان آخر ، هم من مواليد لبنان ، ومن المقيمين تحت سمائه .

الفلسطينيون يلحقون باسرائيل الاضرار ، بينما اسرائيل تهدد لبنان ، وتباغته بالاعتداءات الوحشية ، والقاسية .

ويعتبر لبنان المركز الرئيسي للمنظمات الفلسطينية جميعها .

كيف لا والدولة اللبنانية هي اضعف دول المنطقة ، فلا يمكنها ان تخضع الفلسطينيين لاوامرها ، او تجبرهم على الانضباط ، مثلما هو الحال في سوريا ، والاردن ، والعراق ، والسعودية ، والكويت ، ومصر .

* * *

منذ الحرب الفلسطينية ــ الاردنية (١٩٧٠) التي انتهت بانهزام الفلسطينيين ، ولبنان مسرح للتجاوزات الفلسطينية التي بلغت مداها (عام ١٩٧٥) فأدت الى حرب مدمرة ، لم تكن الدولة اللبنانية طرفا فيها ، لانها ضعيفة ، كما قلنا ، مما ارغم حزبي الكتائب و « الاحرار » على الاحلال محلها ، لصيانة الشرعية ، والحفاظ على النظام الذي ما زال الفلسطينيون والاحزاب « التقدمية » و « الوطنية » يطمعون بالانقلاب عليه .

« ... ومع هذا فان المشاكل ليست وقفا على لبنان وحده ، فغالبية الانظمة العربية ترفض البحث في شأن الفلسطينيين . فهم يأخذون عليهم ــ في لا شعورهم ــ فقرهم وتجردهم من الحقوق السياسية واستلاب وطنهم منهم » [١] .

(١) كمال جنبلاط « هذه وصيتي » ص ٩٢ .

فالموقف الجبان ، المتخاذل ، الذي وقفته الدولة اللبنانية ، طوال حرب السنتين ، ادى الى انقسام الجيش ، ومنح الفلسطينيين تأييدا ، واجماعا عربيين ، لم يحصل مثلهما في الحرب الاردنية ــ الفلسطينية •

لقد عرف العرب ان الفلسطينيين ، وحلفاءهم ، يهدفون الى الاطاحة بغالبية الانظمة العربية ، لانها « ترفض البحث في شأن الفلسطينيين » فهبوا الى مساعدتهم ضد لبنان ، والى تأييدهم ، على امل ان يكون لبنان ، والنظام اللبناني ، ضحيتهم ، ويستقر الفلسطينيون ، في الوطن (البديل) فينتهي « البحث في شأنهم » !

عندئذ ، اطمأنت غولدا مائير ، والدولة الاسرائيلية الى ما يجري على الساحة اللبنانية فأوقفت نشاطات « جيش الدفاع الاسرائيلي » ، ومنعت عليه ملاحقة الفلسطينيين ، الذين انهمكوا في الحرب اللبنانية •

وكم كان سرور السيدة غولدا عظيما ، وهي ترى اقتصاد لبنان يُدمَّر ، على يد الفلسطينيين كما على يد ابنائه !

★ ★ ★

لا اذكر ان الفلسطينيين نفذوا (طوال عامي ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦) عملية فدائية واحدة ضد اسرائيل •

كما لا اذكر ان اسرائيل اعتدت على لبنان ، طوال الفترة ذاتها •

فمنذ عام ١٩٤٨ لم يشترك لبنان في حرب ضد اسرائيل ، وذلك خوفا على حدوده ، وخوفا على جيشه الصغير ، الذي سلاحه من مخلفات الجيش الفرنسي ، وربما لعدم ثقته بالعرب ايضا •

فلولا الفلسطينيون لما اعتدت اسرائيل على لبنان ، رغم اطماعها التوسعية ، التي نعرفها ، كما يعرفها العرب ، والفلسطينيون •



لقد اجتاحت اسرائيل الجنوب ، في آذار ١٩٧٨ بعد عملية نفذتها « دلال المغربي » في الشهر ذاته ، فتم تهجير حوالي ثلاثمائة الف جنوبي ، واحرقت مدن ، وقرى ، في اقضية مرجعيون ، وحاصبيا ، وبنت جبيل ، والنبطية وصور ، لان « دلال المغربي » (الفلسطينية) هي من مواليد صور ــ البص ، واهلها ما زالوا يقيمون هناك ، وقد قيل انها انطلقت مع فرقتها من صور •

★ ★ ★

ان الذي سمع ، او قرأ ، عن الاجتياح الاسرائيلي الاخير للجنوب ، لا بد ان يكون قد تأثر بما سمع وقرأ ، فأخذ به الظن بأن « جيش الدفاع الاسرائيلي » الذي قدر عدده ، آنئذ بأكثر من ثلاثين الف جندي ، سيأتي على آخر فلسطيني مسلح في الجنوب ، وانَّ مدينة صور ستكون مقبرة للفلسطينيين •

لكن الذي حصل كان عكس ما توقعه المراقبون • ووقعت الخسائر الجسيمة بالارواح والممتلكات على ابناء الجنوب وحدهم ، فيما بقي الفلسطينيون يجوبون الشوارع ، والساحات ، ويحتلون المنازل، والمواقع في صور والنبطية ثم عادوا الى ما كانو اعليه في المخيمات (الرشيدية برج الشمالي ، القاسمية ، البرغلية ، ابو الاسود ، والنبطية) •

★ ★ ★

ليست الغاية التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها ، تصفية الفلسطينيين، واخراجهم من الجنوب •

فالى الآن لم تشعر اسرائيل بالخطر الفلسطيني عليها • ولو كانت حقا على خطر (مثلما تدعي) لما خرجت من الجنوب وفيه فلسطيني واحد•

ان ضحايا عمليـة « دل المغربي » (٣٨ رجلا وامرأة) قد ماتـوا برصاص الاسرائيليين انفسهم كما ذكرت اكثر من صحيفة اسرائيلية • فلا شيء يدعو اسرائيل الى الخوف او القلق ما دامت «المنظمات الفلسطينية» لا تقتل يهوديا واحدا وانما يترك لها المجال مرة كل سنة لتقتل لا اكثر من عشرين يهوديا كي تقبض «الفواتير» التي لها في ذمة السعودية ، والكويت والامارات العربية المتحدة ، وليبيا •

سئل موشي دايان : « لماذا لم تقصفوا بعض المخيمات الفلسطينية كالرشيدية مثلا ؟ » فأجاب « لنا في صفوف الفلسطينيين اصدقاء ، وعملاء باعداد كبيرة » !!

★ ★ ★

فلا شيء يمتص الامكانيات العربية (بنظر اسرائيل) مثل « المقاومة الفلسطينية » ، حلم اسرائيل ، واملها ، ورجاؤها •

اما السلام ، في المنطقة ، فهو لا شك لمصلحة الدول العربية المنتجة للنفط ، اللهم اذا ما استطاعت هذه الدول ، في زمن السلام والاستقرار ، ان تستعمل ما لديها ، من طاقات طبيعية هائلة ، في البناء ، والعمران ، والثقافة، وفي المشاريع الانسانية، وتطور الانسان،وامنه،وشيخوخته،وان لم يحدث ما تتمناه فالسلام في الحالة هذه لن يكون اقل خطرا على الثروات العربية من الحرب ذاتها •

★ ★ ★

ان الازدهار الذي حققته المملكة العربية السعودية والكويت وبعض دول الخليج في الفترة الاخيرة ان دل على شيء فانما يدل على ان الاستعدادات التي عند هذه الدول هي قادرة على ان تؤهلها لتصبح ، قريبا ، في مصاف الدول الراقية والحديثة •

لكن هذا ، حقـا ، يخيف اسرائيـل ، مثلما يخيف الفلسطينيين ، وخاصة في حالة السلم •

فالفلسطينيون الذين يستنزفون ، باسم القضية الفلسطينية، الاموال العربية الطائلة ، لا اراهم سيتخلون بسهولة عن هذا « الحظ » السعيد •

كذلك اسرائيل التي قامت، في وسط هذه المنطقة، على اموال اميركا، وبمساعدتها ، فهي لا تجـد في السلم مثلما في الحرب المبررات في طلب المساعدات الاميركية لها •

فلا نستبعـد اذن ان يكـون هنالك تحـالف خفي تفرضه وتعززه المصالح والاهداف بين اسرائيل والفلسطينيين ، مهمـا حاولت المظـاهر الكاذبة والزائفة ان ترينا عداء شديدا بينهما •

ومن أولى من اللبنانيين ان يكشف هذا التحالف الخطـير ، سيما وقد صار لبنان خرابا بعد ان كان منـارة ، ومقابر بعد ان كان كواكب ونجوما ؟!

★ ★ ★

ليس حظ اسرائيل مع السوريين اقل منه مع الفلسطينيين ، ولعل سوريا قد « برت » بوعدها حيث عجز الفلسطينيون ، فتم تدمير لبنان ، والتهجير الطائفي ، تحت مظلة « قوات الردع العربية » التي ما زالت تدعي (على لسان الحكام الدمشقيين) حماية الشرعية، والدفاع عن الامن، والسيادة، والقانون !!

★ ★ ★

لقد نسفت سوريا القواعـد الديمقراطية في لبنـان • وقضت على

وحدته ، واستقلاله ، ورسخت التقسيم ، وفككت الجبهة المسيحية ، اذ استطاعت ان تمزق الذين كانوا ، بالامس ، حلفاء ، وترغم زحلة ، ومسيحيي البقاع ، والشوف ، على السكوت ، مثلما ارغمت مسيحيي بقية المناطق .

وتمكنت سوريا من موارنة الشمال ، فحولتهم الى « اعداء » لموارنة الجبل ، والوسط .

واذكت نار الفتنة بين ابناء المسيحيين والمسيحيين ، هرب على اثرها الحزبيون (...) الذين لم يستجيبوا لنداء الرئيس السابق سليمان فرنجية ، وزعماء الشمال التقليديين !!

* * *

لقد نفذ رجال الرئيس فرنجية ، بالتحالف مع « قوات الردع العربية » مذابح، ومجازر في قرى البترون والكورة وشكا واهدن وبشري ثأرا وانتقاما لمقتل المرحوم طوني فرنجية وعائلته (؟)

اما على صعيد الزعماء والنواب المسلمين واحزاب « الحركة الوطنية » فقد انتزعت منهم سوريا التأييد المطلق وجرتهم الى المصالحة مع الرئيس فرنجية الذي حاربوه مدة ثلاث سنوات ونصف لانه ـ حسبما قالوا فيه ـ « جشع » و « مستبد » و « عميل » و « انعزالي » (سليمان ! سليمان ! ماذا فعلت بلبنان [1]) !!

* * *

لا نستطيع ان نجزم ان سوريا ـ الاسد انتهت من تنفيذ مهمتها في لبنان ، ولو انها « غلبت » الموارنة ، فهنالك دور آخر ... ما زال ينتظرها .

(1) من نداء وجهه نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه الى الرئيس فرنجية، ابان الحرب الفلسطينية ـ اللبنانية .

المطلوب اليوم من سوريا ان تغلب الفلسطينيين في الجنوب ، و « ميليشيات الاحزاب الوطنية » في بيروت الغربية ثم زعماء السنة ، الروحيين والسياسيين ، وزعماء الشيعة وهؤلاء قد انتهى دورهم منذ ان اختفى الامام الصدر في ليبيا .

اما الدروز فكانوا اول من استهدفتهم سوريا ، فقتلت زعيمهم ومعلمهم كمال جنبلاط (نيسان ١٩٧٧) .

* * *

يظهر ان السلام في المنطقة اصبح قريبا جدا . لقد ازيلت معظم العقبات ، على ما يبدو .

الرئيس المصري انور السادات رفع السوط في وجه الفلسطينيين ، والشيوعيين، وغيرهم، عندما امر بانزال فرقة من «الكوماندوس المصري» في مطار عاصمة قبرص (شباط ١٩٧٨) للرد على اغتيال المرحوم يوسف السباعي ، الذي اغتيل برصاص « المقاومة الفلسطينية » .

ومنذ ذلك الوقت ، اصيب الفلسطينيون وحلفاؤهم بخيبة امل وتأكد لهم بأن الرئيس السادات لن يتساهل معهم ابدا اذا ما اقدموا على عمل ضده ، وقد سافر الى « كمب ديفيد » حيث عقد اجتماعه التاريخي مع الرئيسين كارتر ومناحيم بيغن الذي خرج منه على اتفاق تام مع اسرائيل واميركا .

كذلك سافر وفده ، برئاسة الفريق كمال حسن علي ، الى اميركا للالتقاء بالوفد الاسرائيلي ، الذي رأسه موشي دايان ، حيث تم وضع الاتفاق الذي قد يوقع قريبا من الرئيسين السادات وبيغن بحضور الرئيس الاميركي السيد جيمي كارتر ، فلم تجرؤ ولا منظمة فلسطينية على الاعتداء لا عليه ، ولا على احد من الزعماء المصريين الذين يشاركونه الحكم ، كما

لم تتعرض ولا مؤسسة مصرية لاي خطر ، سواء في الشرق ام في الغرب •

لبنان المسيحي تهدم ، على يد السوريين فسقطت اسطورة التعايش المسيحي ــ الاسلامي ، التي بقيت كما المخرز في عين اسرائيل زهاء ثلاثين عاما تقريبا •

••• وغداً ستكمل «البلدوزر» السورية مشوارها مع الفلسطينيين، والمسلمين ، و « الحركة الوطنية » مثلما قلنا ، ويصبح الرئيس الاسد « رجل الموقف » الثاني ، بعد الرئيس السادات •

★ ★ ★

ان آخر ما يسعى الرئيس الاسد الى تحقيقه هو تحجيم الفلسطينيين، لكي يكون المثل لهم لا « منظمة التحرير الفلسطينية » • وقد يتوصل الئيس الاسد الى فرض وصايته عليهم ، لانه في النهاية سيلتقي مع اسرائيل والسادات ، واميركا •

« ان الاوساط الدمشقية تعتبر ان على الثورة الفلسطينية ان تسير ويدها في يد السلطة السورية ، وانه ينبغي ان تتمثل بالسلطة السورية • وحصيلة الكلام هو انهم لا يريدون ان ينسوا ــ كائنا ما كانت الظروف ــ ازمنة ما قبل تجزئة عام ١٩١٩ ، اي عندما لم يكن اللبنانيون والفلسطينيون والاردنيون والسوريون لا يشكلون الا شعبا واحدا هو شعب سوريا التاريخية بحدودها الطبيعية الممتدة من طوروس الى سيناء • لا بل ان الرئيس الاسد اكد ذلك بوضوح لياسر عرفات منذ مدة غير بعيدة (في حوالي شهر نيسان ــ من عام ١٩٧٦) حين قال له « انكم لا تمثلون فلسطين بأكثر مما نمثلها نحن • ولا تنسوا امرا ، انه ليس هناك شعب فلسطيني وليس هناك كيان فلسطيني بل سوريا وانتم جزء لا يتجزأ من

سوريا • واذن ، فاننا ، نحن المسؤولون السوريون ، المثلون الحقيقيون للشعب الفلسطيني » [١] •

★ ★ ★

وكذلك بالنسبة للبنان •

لن يفاوض الرئيس الاسد اسرائيل ، الا عندما يصبح المثل « الحقيقي » للفلسطينيين ، واللبنانيين ، وربما الاردنيين [٢] •

« اعتقد ان لبنان كان بالنسبة الى الرئيس الاسد رهانا دبلوماسيا في المرتبة الاولى من الاهمية ، وورقة مناورة ونجاحا له ثمنه لدى الولايات المتحدة والسوفيات واوروبا ، بهدف التوصل الى تسوية مرضية لمشكلة الحدود والاراضي التي تحتلها اسرائيل • لان من شأن ذلك ان يعطيه بعض الوزن على الصعيد الدولي ومهابة ونفوذا دبلوماسيين مفيدين» [٣] •

سينجح الرئيس الاسد ، كما سيحكم سوريا طويلا ، ما دامت اميركا راضية ، وما دام حليفا وفيا لاسرائيل •

لقد قالت غولدا مائير لن نبقي حجرا على حجر في لبنان ، فتم لها ما ارادت ، على ايدي حلفائها الفلسطينيين والسوريين •

(١) كمال جنبلاط : « هذه وصيتي » ، ص ١٠٣ .
(٢) ليعذرني جلالة الملك حسين المعظم . انها الحقيقة ، ولو كانت مرة .
(٣) كمال جنبلاط : « هذه وصيتي » ، ص ١٠٨ .
● صوت الاحرار ١٩٧٨/١٠/٣٠ .

٣٩

قتله « البعث » مرتين [١]

لم يأتني نبأ سقوطه ، عبر الهاتف ، او البرق المستعجل ، او البريد ، او الجريدة • وكلانا من سكان « جزيرة » لا صلـة لها بالعالم ، اسمهـا « بدارو » وفي غابة صغيرة ، هي من بقايا « حرج الكفوري » الذي يمتد من رأس شارع « العلَم » الى مستديرة الطيونـة ، حيث يوجد مربض سوري (آليات، وجنود قناصة، واكياس رمل ترتفع على شرفات الطبقات العالية) •

يقع منزله في وسط شارع « العلَم » • اما منزلي فهو في منتصف المسافة التي بين « العلَم » و « المستديرة » •

وخلال القصف الحقود الذي شهدته المنطقـة (من اول تموز الى العشرين من تشرين الاول) كانت المسافة القصيرة (خمسون مترا) التي تفصل بيننا ، تبدو كما لو انها خمسون كليومترا ، او اكثر •

لما اشتد القصف ، علينا ، هربت جارتنا السيدة « جورجيت ••• » وابنتها ، الى عنده ، ولم يتأخر عن دعوتنا ، فكان يهتف الينا ، يوميا ، لان نذهب مع الوالدة ، والاطفال ، لننام عندهم، اذ كان يقول ــ رحمه اللهـ « عندنا ملجـأ ، وعندنا في البيت دهاليـز ، وبيتكم ، بعـد ان قصف ،

---

(١) قصـة مصرع الصديق المغفـور له الدكتـور دريد المفتي ، السفير السوري السابق .

اصبحت الاقامـة فيه عملا خطرا ، فلا بأس ان تأتونـا وتحضروا معكم ثيابكم ، وما لديكم من خبز ، ومواد غذائية » •

بقينا نرفض الذهاب الـى هناك ، لاننا اثرنا الموت ، تحت سقف منزلنا ، على « الهجرة » حتى انقطع الاتصال بيننا ، بانقطـاع الهاتف ، وغدونا وحدنا ، في الشارع الكئيب •

خلال ساعات الانفراج كان يركض الينا ، وعلى وجهه علامات الاسى واليأس ، ويبادرني قائلا « متى سينتصر العقل ، والقتال يهدأ ؟ » •

لأقول له : عندما يعرف كل شعب واجباته ، وكل دولـة حدودها • فيسكت على مضض •

كان بوده لو يحمل ، عن هذا الوطن ، الذي أحبّه ، اعباءه الكثيرة التي اثقلته بها « الشقيقة » سوريـا ، باسم العروبة ، وباسم القضيـة الفلسطينية •

لقد كان كرهه للفلسطينيين ، ولحكم « البعث » شديدا ، لكنه لم يجرؤ على اعلانه ، لانه يعرف مقدار « الاخلاص » الذي عند الفلسطينيين و « البعث » لحرية الرأي ، والكلمة •

ما اكثر الاسباب التي وحدت قلبينا !

هو جاء ، الى هنـا ، هربا من زنزانات « البعث » في دمشق ، وانا جئت هربا من « زنزانات الثورة الفلسطينية » في صور •

في حياته الديبلوماسية (عمل سفيرا لبـلاده في اسبانيا والبرازيـل والارجنتين) معاناة ، وذكريات لا تسر •

وعندي مما قرأته ، وسمعته ، ولمسته ، عن العرب ، والفلسطينيين ، وعن الجنوب ، وزعمائه ، واهله ، ما يحزن ويكسر الخاطر •

في صدره حنين كبير الى «اريحا»[1] مسقط رأسه، والى «ادلب»[2] ثم الى كروم العنب، والتين، والزيتون، والى القمر يسطع فوق «اريحا».

وفي صدري ، حنين كبير الى قريتي ، في الجنوب ، (الجبّيْن) والى صور ، وشاطئها ، ثم الى حقول التبغ ، والقمح ، والبرتقال ، والموز .

قضى في اقبية التعذيب ، في دمشق ، سنة وبضعة اشهر ، ولما افرج عنه ، اكره على الخروج من سوريا ، فجاء لبنان (عام ١٩٦٨) ومعه عائلته، لينعم بالحرية ، والمناخ العليل في البلد الذي احبه لا كما سواه ، من الذين لجأوا اليه ، اذ لا غاية عنده ، ولا مصلحة ، سوى العيش بحرية، وبكرامة، واي بلد ، في هذه المنطقة يمكنه ان يمنح مثل الدكتور دريد عبد القادر المفتي الحرية ، ويحفظ له كرامته ، غير لبنان ؟!

ويوما فيوما ، ثم شهرا فشهرا ، وعاما فعاما ، كان حبه للبنان ينمو ، ويكبر .

ظهر اخلاصه وولاؤه للبنان ، من خلال الابحاث ، والدراسات والمقالات ، التي نشرها في « النهار » و « الحوادث » و « الجريدة » ، اذ كان هادئا ، ورزينا ، ومحبا ، على شيء من الجرأة يقدّر عليها فعلاء ومُنح الجنسية السعودية ، ثم عمل مستشارا في وكالة الانباء السعودية في بيروت ، فكان امينا على عمله ، وامينا على مهمته ، وامينا على جنسيته (الطارئة) فلقي التقدير ، والاحترام ، من المسؤولين في سفارة المملكة العربية السعودية ، ومن زملائه ، وكذلك عند جميع عارفيه ، على كثرتهم ، ان في بدارو ، او في بيروت « الغربية » او في اي مكان من لبنان .

عندما اخذت الحرب الفلسطينية ـ اللبنانية (١٩٧٥ ـ ١٩٧٦)

---

(١) بلدة سورية تقع شمالي جسر الشغور . مركز قضاء اريحا ـ محافظة ادلب .

(٢) كتابنا : « رسائل من خلف المتراس » ، الجزء الاول ، ص ١٥١ . اربعة اقضية : اريحا ، جسر الشغور ، معرة النعمان ، حازم .

تشتد ، وذاع خبر « الذبح على الهوية » نصحوه في المنطقة الغربية بأن يترك « بدارو » (لانه مسلم ، والمنطقة الشرقية ، من بيروت ، لم يعد فيها مسلمون) فرفض « النصيحة » واصر على البقاء هنا لكي يؤكد لكل من « نصحه » بترك بدارو بأن القضية ليست بين مسلم ومسيحي انما هي بين لبناني يريد سيادة بلده ، واستقلاله ، وغير لبناني طامع .

ظل الدكتور المفتي في المنطقة ، وكان يسافر ، من حين الى آخر ، ويترك منزله بامانة جيرانه ، واصدقائه ، في الحي ويعود من دون ان يلقى مضايقة من احد ، فنجح الرجل في علاقاته مع اللبنانيين ، حيث كان كريم الخلق ، حسن المعشر ، وطيب السيرة، مثلما كان واضحا ، ونظيف الكف، يتألم لآلامهم ، ويفرح لفرحهم .

وكان ايضا يسعد كلما سجل اللبنانيون موقفا رائعا ويشقى كلما تعثر اللبنانيون او كلما اصيبوا بخطر .

ودخلت قوات « الردع العربية » بيروت ، فصلى من اجل السلام في لبنان ، لكن معرفته بـ « البعث » وحكامه ، جعلته يشك بنواياهم ، وبقي خائفا من هيمنة « البعث » في لبنان .

بين فرن الشباك ، وبدارو ، وعين الرمانة ، كنا نتجول ، في ساعات الهدوء ، بعد الظهر خاصة ، لننظر ماذا فعلت « الراجمات » والمدافع السورية بالمنازل ، والمستشفيات والمدارس والمتاجر ، ويلتفت واحدنا الى الآخر ، ليجد الدموع تنهمر من عينيه ، فنكفكف دموعنا ، ونكمل جولتنا .

كل شيء في فرن الشباك ، وبدارو ، وعين الرمانة ، تغير ، ومثله في الحدث ، والاشرفية ، وسن الفيل ، والدورة ، والجديدة ، وبكفيا .

اهل منطقتنا هجروا ، ولم يبق سوى الفقراء الذين لا حول لهم ولا طول .

هناك مسلح يقول : « لا تمرا من هنا ، ان هذا الشارع يطل عليه قناص » .

لا حديث ، بين الناس ، الا حول الاحداث ، ولا اخبار الا ... فلان سقط برصاص القنص، وهو في طريقه الى الفرن .. وفلان قتل بينما كان على شرفة منزله ، وفلان في سيارته ... فننكفىء الى البيت .

« صار يجب ان نرتاح » قالها غير مرة .

ذات مساء كنا نجلس عند زاوية شارع « العلم » وكانت السماء قد تلبدت بغيوم الدخان الكثيف ، المتصاعد من مستودعات المحروقات في الدورة ، والرصاص المتقطع يسمع من اكثر المحاور ، انفجرت في آخر الشارع ، قرب بيتنا ، وامطر الحي بالقذائف فقلت له ... نحن اليوم مهددون اكثر من قبل ، فاذا سقطت قبلك ، ارجو ان تكتب فيّ .. اما اذا سقطت ، قبلي ، لا سمح الله ، فسوف اكتب فيك .. فما قولك ؟ قال « انا انتهى دوري منذ زمان ، اما انت فالمحتاجون اليك كثيرون . هنالك اطفالك ، وامك ، ووطنك ، والمسيحيون خاصة ، كلهم بحاجة اليك .. فلا اريدك ان تسقط قبلي . اما ان اكتب عنك فهذا صعب عليّ ، لانني لا استطيع ان اجاهر بصداقتك » .

كانت الكلمات تهرب من فمه ، كأن سوطا يلاحقها . وساد الصمت الى ان هدأت ، فذهب كل الى منزله .

بعد اقل من شهر ، وفي يوم الثلاثاء (٣١ تشرين الاول) خرجنا بعد الظهر لزيارة صديقنا السيد جورج بعيني [١] ، في فرن الشباك ، فلم نلقه ، وعدنا الى الحي « الجزيرة » وبينما نحن نسير كتفا الى كتف ، قرب مركز الهاتف ، اصيب الدكتور المفتي برصاصة قنص (دمدم) خرقت ظهره ، واكلت كبده ، وقسماً من رئته .

لا اذكر سوى انه صرخ « آخ ... » ثلاث مرات ، فحملته الى مستشفى « اوتيل ديو » حيث اجريت له عملية استمرت زهاء خمس ساعات .

---

(١) تاجر ، صاحب سوبر ماركت في فرن الشباك .

طلب البروفسور الكبير بيار فرح دما ، فهب جميعنا الى المختبر ، لنقدم الدم (الطازج) .

لقد كان حظي سيئا ، اذ لم يطابق دمي (O +) على دمه (A +)

اما جورج بعيني ، ورياض معلوف ، وايلان ... وبيار ... وجورج شويري ، فكان حظهم احسن من حظي ، ومن حظ نبيل ابو موسى ايضاً ، فأخذ من كل واحد ، منهم ، نصف ليتر .

وتوالى المتبرعون ، ميشال .. وشوقي .. والبير .. وانطوان .. الى المختبر ، ليقدموا زنودهم .

سبع ليترات دما اعطي الدكتور المفتي خلال العملية ... ووضع في غرفة العناية الفائقة ، وهو بين الموت والحياة .

فجر اليوم التالي (الاربعاء ١ تشرين الثاني الجاري) استسلم الرجل الطيب للموت ، تاركا وراءه اصدقاء احبهم واحبوه .

قالت زوجته (كان يردد امامي ... « عندي قطعة ارض في « قرنة شهوان » ارجو ان ادفن فيها ، اذا مت ، في بيروت ») .

ظهر الخميس اتصل شقيقه المقدم ضيغم المفتي بالسيدة سميرة (زوجة الفقيد) وطلب منها ان تذهب اليه ، الى عند حاجز « قوات الردع العربية » الذي يقع قرب مستشفى « البربير » لانه سيأخذ الجثمان الى سوريا .

وتم ما أراده المقدم ضيغم . وغادر الدكتور المفتي الوطن الذي احبه ، الى مسقط رأسه ، الذي شغله الحنين اليه حوالي عشر سنوات .

وهكذا يكون الدكتور دريد عبد القادر المفتي (١٩٣٢ — ١٩٧٨) قد قتل على يد « البعث » مرتين .

● صوت الاحرار ١٩٧٨/١١/١٤ .

٤٠

لبنان وسيلة أم غاية ؟

نحن اليوم ، في لبنان ، احـوج من ذي قبل ، الى معلومات توضح لنا ، بصراحة ، اي مستقبل ينتظرنا •

لا يوجد لاحد — لا في لبنـان ، ولا في اي بلد من بلدان المنطقـة باستثناء اسرائيل طبعا — ان يدّعي انه يمتلك المعلومات المطلوبة، مهما كان كبيرا ، او نافذ الرأي والكلمة •

ان المعلومات التي يبحث عنها اللبنانيون ، اليـوم ، بمرارة وهلع ، انما هي من صنع ، وتصميم دولتين او ثلاث ، على الاكثر • وكذلك هي ، في الماضي • فالكبار (•••) عندنا ، الذين يأمرون باطلاق النار ، وقصف المنازل ، ونهب المؤسسات ، ويوافقون على الهدنـة ، وفتـح الجسور ، والطرقات ، بين الاحيـاء ، وبين المدينة ، والجبـل ، ليسوا الا منفذين ، تصلهم الاوامر ، من فوق ، لكي ينفذوها ، بدون اعتراض ، على اتمها •

★ ★ ★

اما ان يحصل ما قد حذرنا منه ، فذلك مرده الى كوننا نعرف كيف ينبغي ان نفكر على نحو يعصمنا من التناقض في التفكير •

ولو كان الامر غير ذلك ، لانتهت الحـرب في لبنان ، منذ اخـذت المساعي العربية ، والاوروبية ، والباباوية ، والاميركيـة ، تغزو بيروت ، لتنتقل بين قصر بعبدا ، ومخيم صبرا (١٩٧٥) •

ان المرحلة الاولى من المخطط، التي تم تحقيقها على يد الفلسطينيين، ما كانت ستنتهي، رغم الصمود اللبناني، لو لم يأمر المخططون بانتهائها •

★ ★ ★

لقد اجتمع العرب في الرياض ، والقاهرة ، هذا صحيح •

لكن الاجتماعين (مؤتمري الرياض والقـاهرة) ما كانا الا حلقـة جديدة ، في مسلسل طويل ، متعـدد الفصول ، ليس للعـرب فيه سوى الحضور ، الحضور فقط •

★ ★ ★

من « الجدول الملحق » المتعلق بتنفيذ قرارات مؤتمر القمة السداسي في الرياض ، نذكر البندين ، الاول والسابع :

البند الاول : « الاعلان عن وقف اطلاق النار وانهاء الاقتتـال في كافة الاراضي اللبنانية من قبل جميع الاطراف بصورة نهائيـة اعتبارا من يوم ١٩٧٦/١٠/٢١ السادسة صباحا (ي) » •

البند السابع : « يتم تنفيذ اتفاقيـة القاهرة وملاحقها كمرحلة ثانية ولا سيما لجهة وجود الاسلحة والذخائر في المخيمات ولجهة خروج القوات الفلسطينية المسلحـة التي دخلت بعد بدء الاحداث على ان ينتهـي هذا التنفيذ خلال ٤٥ يوما اعتبارا من تاريخ تشكيل قوة الامن الرادعة » •

— فهل استطاع العرب المؤتمرون ان ينفذوا — عبر « قوة الامـن

العربية الرادعة » ـ هذين البندين ، او غيرهما من البنود ، والقرارات ؟!

ـ لماذا اتخذ العرب مقررات لا يمكنهم تنفيذها ! ام انهم ، مثلما قلنا ، لا يملكون سوى الحضور ؟!

المخططون (•••) قالوا لهم ـ بعد حرب دامت سنتين في لبنان ـ « اجتمعوا » فتنادوا الى الاجتماع • وقالوا لهم « اكتبوا كذا ، وكذا » فكتبوا ، ووقّعوا ، ودفعوا ببياناتهم الى الصحافيين ، وانتهى الامر ، فدخلت سوريا باسم « قوات الامن العربية الرادعة » لبنان ، لكي تبدأ المرحلة الثانية من المؤامرة •

★ ★ ★

في ذلك الوقت ، تصالح الرئيسان السادات ، والاسد ، فاعتبر اللقاء الذي تم في الرياض ، حدثا هاما ، اذ جمع الرئيس المصري الى جنب الرئيس السوري ، الى جنب السيد ياسر عرفات ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية •

وعلى حساب لبنان ، عاد الاسد يغازل السادات ، وعرفات ، فيكتب من دمشق « عزيزي انور » و « عزيزي ياسر » والعكس بالعكس •

★ ★ ★

ولان علم المنطق يعلمنا كيف ينبغي ان نفكر على نحو يعصمنا من التناقض في التفكير ، ويكفل لنا الوصول الى نتائج تلزم عن مقدماتها ، قلنا يومئذ « تتطلب القضية اللبنانية حلا جذريا ، وليست اعمال مؤتمر الرياض الا حلا سطحيا ، غير مقبول من الفئات اللبنانية التي قدمت شبانا اعزاء وصالحين ، الى جانب الخسائر المادية الجسيمة ، من اجل هدف

كريم ، وغاية نبيلة ، الا وهي احترام سيادة لبنان ، وتكريس استقلاله ، ووحدته ، وكيانه » (١) •

وحكمنا على مقررات مؤتمري الرياض والقاهرة بأنها لن تتعدى الحبر على الورق ، فانقسم الناس ، هنا ، بين مؤيدين لقولنا وبين رافضين •

★ ★ ★

وعلى يد سوريا بالذات ، انفجر الوضع من جديد في لبنان ، وعادت الحرب الى بيروت ، لتأكل ما تبقى من العاصمة ، وامتدت الى الشمال ، والجبل ، وها هي اليوم تهدد منطقة جبيل التي بقيت بعيدة عن الحرب طوال السنوات الثلاث الماضية •

جرى ذلك كله ، والعرب في صمت ، كذلك الدول الاوروبية ، واميركا • والاغرب من هذا ، ان اجماعا عربيا وعالميا قد شهدناه وسمعناه، في الشهرين الماضيين ، يؤيد موقف سوريا من لبنان ، ويدين الجبهة اللبنانية وخاصة الرئيس كميل شمعون •

لقد ذكّرني هذا الاجماع بأن الحروب ، دائما ، تنتهي على حساب فئة قليلة ، بينما تنال الاكثرية ، المعتدية دائما ، الاحترام ، والتقدير •

★ ★ ★

وبما اننا ، على ما يبدو ، سندخل المرحلة الثالثة من المؤامرة ، طلب من العرب ان يرسلوا وزراء خارجيتهم الى بيروت ، ليعقدوا مؤتمرا جديدا ، يوصي بوقف اطلاق النار ، وازالة المظاهر المسلحة ، فكان مؤتمر

(١) كتابنا « اية عروبة اية قضية » ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ •

بيت الدين (من ١٥/١٠ الى ١٧/١٠/١٩٧٨) الذي مهد للقاء العراقي السوري ، بعد فراق ونزاع داما عشر سنوات •

لقد اطل علينا مؤتمر بيت الدين بثمانية بنود ، تحار السلطة ، واية سلطة ، اليوم ، من اين تبدأ بتنفيذها •

ويحاول العرب مرة ثانية ، ان يقنعونا بأنهم سينقذون لبنان ، ويعيدونه الى اهله واحدا موحدا •

وهكذا فعلوا في مؤتمر بغداد ، الذي كانت اقصى غاياته على ما يبدو ان يأتي السيد طارق عزيز الى دمشق ، لتمضية عطلة عيد الاضحى •

★ ★ ★

سنقول ـ آسفين ـ في مؤتمري بيت الدين ، وبغداد ، ما قلناه في مؤتمري الرياض والقاهرة ، ولو انقسم الناس ، هنا ، بين مؤيدين لما سنقوله وبين رافضين ، مثلما في المرة الماضية ، وفي مطلق الاحوال تبقى كلمة الفصل للزمن الآتي •

من البيان الختامي لمؤتمر وزراء خارجية الدول العربية المشاركة في قوة الردع العربية والمساندة لها ، الذي انعقد في بيت الدين ، نذكر البندين ، الثاني ، والخامس •

البند الثاني : « انهاء المظاهر المسلحة وجمع السلاح وتحريم حمله خارج حدود القانون » •

البند الخامس : « وضع برنامج زمني لبناء الجيش على اسس وطنية ومتوازنة ، وبما يمكنه من القيام بدوره في تحقيق الامن الوطني للبلاد ، ومن تولي المهمات التي تقوم بها قوات الردع العربية على الاراضي اللبنانية » •

نحن نعرف ان لبنان هو تلك المساحة (١٠٤٠٠ كلم٢) الممتدة من اقصى الجنوب ، الناقورة ، الى اقصى الشمال ، النهر الكبير ، ومن اقصى الشرق ، الحدود السورية اللبنانية ، الى شاطىء البحر المتوسط ، غربا •

ونعرف ايضا ، ان السيادة اللبنانية هي تلك السيادة الكاملة ، الشاملة ، والمطلقة على جميع الاراضي اللبنانية ، دونما استثناء •

اما ان الحرب القائمة قد اقتطعت من لبنان اجزاء هي اليوم في معزل عنه ، فالذين يعرفون بذلك هم اقل من الذين لا يريدون ان يعرفوا ، او يعترفوا •

من هنا سيكون تنفيذ هذين البندين المذكورين اعلاه امرا مستحيلا فكيف نسميها سيادة لبنانية ، ولبنان لم يسترجع لا جنوبه ، ولا شرقه ، ولا شماله ؟!

★ ★ ★

ليس للعرب اي دور في المنطقة سوى الحضور • فعلى الساحة اللبنانية يوجد عرب اسرائيل ، وعرب سوريا ، وعرب الفلسطينيين ، وعرب مصر ، وعرب ليبيا ، وعرب السعودية ، وعرب الكويت ، وعرب اميركا ، وعرب روسيا •

ومن اجل ان تتوقف الحرب، في لبنان، يجب ان يتم ارضاء اسرائيل، وسوريا ، والفلسطينيين ، على حساب لبنان ، والى ان يتوصلوا الى صيغة وفاق ، او اتفاق ، ستبقى الحرب عندنا ولو اتخذت لنفسها شكلا جديدا•

« ان فهم الظاهرة ومعرفة اسبابها وخصائصها يعين على التنبؤ بحدوثها وعلى ضبطها والتحكم فيها • وهذان هدفان عمليان من اهداف

العلم ، كل علم • فاذا عرفنا اسباب الفيضان مثلا تسنى لنا ان تتنبأ بحدوثه وان نعد له العدة فنقي انفسنا من شر مقبل » [١] •

★ ★ ★

في لقاء ، جرى منذ يومين ، ضم مفكرين وادباء ، سأل احدنا ، هل نحن في لبنان وسيلة ام غاية ؟ واستطرد صديقنا يقول اذا كنا وسيلة صار على المخططين ان يدركوا عدم جدواها ، ويفكروا بوسيلة اخرى •• اذ اننا في لبنان صامدون حتى آخر حجر ، وآخر مواطن منا ، اما اذا كنا غاية او هدفا فليعلم المخططون ، بل صار يجب أن يعلموا ، ان لبنان لن يكون هدفا لطامع ، وسيبقى وطنا حرا ، سيدا ، ومستقلا ، مهما بلغت التضحيات •

الى هنا وصلنا بمعلوماتنا ، عفوا ، بتوقعاتنا •

بقي على الذين لديهم المعلومات ، والذين ينتظرون الاوامر لكي ينفذوها ، « بصدق » و « امانة » ان يعرفوا اننا ، نحن اللبنانيين ، نعرف، ونعلم ، ما سيحصل لنا ، لكننا لا نملك ما يقي انفسنا من شر مقبل سوى الصمود ، والتعلق بالارض ، القوتين الجبارتين اللتين يعتمد عليهما دائما الرئيس كميل شمعون ، وقائد القوات اللبنانية الموحدة الشيخ بشير الجميل ، وكل ما عدا ذلك لا اهمية له ، سواء كنا وسيلة ، ام غاية •

على كل حال ، هناك نهاية ، لان الذي له اول له آخر ، ودائما النصر للصامدين •

---

(١) د. احمد عزت راجح : « اصول علم النفس » ، ص ٢٤ .

● صوت الاحرار ١٦/١١/١٩٧٨ .

حامل مفاتيح الجنة

الاتصال الفلسطيني بالجبهة اللبنانية ، الذي تم يوم عيد الاضحى المبارك (الجمعة ١٠ الجاري) يستحق منا الاهتمام ، ولو انه ، حتى اليوم ، لا يؤكد على ان لقاء فلسطينيا ــ لبنانيا (على المستوى المطلوب) سيتم في الايام القريبة القادمة • مع تقديرنا الكلي ، طبعا ، للدكتور وليد الخالدي ، والسيد حسيب الصباغ ، صاحبي « المبادرة الشجاعة » •

★ ★ ★

لقد سبق للاشرفية ان استقبلت ، غير مرة ، ضيوفا ، لنصف نهار ، جاؤوا من « المنطقة الغربية » وكأنهم يحملون ، في جيوبهم ، « الترياق » وحبوب المن والسلوى •

★ ★ ★

ــ السيد هاني الحسن (شقيق السيد خالد الحسن) زار الاشرفية، مرات عدة ، وتغدى مع الشيخ الكسندر الجميل ، ووعد خيرا مثلما قيل •

هذا عن الجانب الفلسطيني ، وتحديدا عن « منظمة التحرير الفلسطينية » بالذات .

ـ عن الجانب « التقدمي » حضر الى الاشرفية ، ايضا ، الدكتور اسامة الفاخوري ، الذي ادعى بأن حوارا لبنانيا ـ لبنانيا (على صعيد الاحزاب) سيأخذ طريقه نحو اللقاء الذي تحتمه الظروف القاهرة التي تمر بها البلاد .

ووُدع الدكتور الفاخوري والوفد المرافق بالحفاوة والتكريم ، مثلما استقبل .

ـ عن الزعماء التقليديين ، دخل الرئيس صائب سلام الاشرفية (آب ١٩٧٦) كما الفاتح ، والتقى بالشيخ بيار الجميل ، في مطرانية الروم الارثوذكس ، حيث حضر اللقاء الاستاذ غسان تويني ، والسيدان مالك سلام ، ومصطفى بيضون .

كان اللقاء الذي رعاه سيادة المطران غفرائيل الصليبي ، حميما ورقيقا .

عند مدخل الكاتدرائية ، اصطفت ثلة من رجال الـ (S K S)[1] الاشاوس ، أدت التحية ، مع النشيدين اللبناني والكتائبي ، لرئيس الكتائب ، وضيفه الرئيس سلام . كان لي شرف الحضور ، لكنني خرجت على غير امل . وفي اليوم التالي (٢٢ آب) كتبت في « ندوة العمل ـ متى ستعود ؟ ـ (العدد رقم ٩٣٠٩) تعليقا على هذه الزيارة وقلت .. « انها طبخة بحص، وزيارات بحص، ولقاءات بحص، فلا تنتظروا » [2] .

بعد هذه اللقاءات التي تمت ، عادت الاشرفية الى وحدتها ، وعاد

(١) الشرطة الكتائبية .

(٢) كتابنا : « رسائل من خلف المتراس » الجزء الاول ، ص ١٥١ .

الحذر ، والخوف ، والقلق ، الى ابنائها الذين لم يعترضوا ، يوما ، ولا على واحدة من هذه الزيارات التي جرت .

★ ★ ★

ما دمنا قد فتحنا على « مذكراتنا » فلا بد ان نمر برحلات الشيخ بيار الجميل الى المصيطبة . مرة لرد زيارة صديقه الرئيس سلام ، واخرى لتعزية آل الصلح ، وثانية بمناسبة عيد رمضان (١٩٧٦) اذ زار الرئيس سلام ايضا .

وبزيارة الشيخ بشير الجميل ، قائد القوات اللبنانية الموحدة ، الى المرحوم كمال جنبلاط ، حيث قدم التعزية باسم والده ، وباسمه ، بالسيدة المرحومة ليندا جنبلاط (شقيقة المرحوم كمال) التي قتلت في منزلها ، ببدارو ـ سامي الصلح (صيف ١٩٧٦) .

لنمر كذلك بتلك المأدبات التي اقيمت ، دعي اليها زعماء مسيحيون وزعماء مسلمون، حوت ما لذ وطاب ، خاصة المأدبة الشهيرة التي دعا اليها المدير العام للامن العام الامير فاروق ابي اللمع (خريف ١٩٧٧) التي قيل فيها ما لم يقل « ابو نواس » في الخمرة .

اما اقامة رئيس مجلس النواب الاستاذ كامل الاسعد في بلونة ـ كسروان ـ فما لنا وما لها ، انها حكاية اخرى .

وكأن خبز الاشرفية وزادها بدون ملح !

★ ★ ★

عندما قصفت « الراجمات » والمدافع السورية الاشرفية ، وسائر « المنطقة الشرقية » كان الذين حضروا اليها ، واكلوا من زادها ، وشربوا

بكؤوسها ، يبعثون ببرقيات التأييد للقوات السورية ، يحثونها على الصمود ، ويطالبونها بانزال اشد العقوبات بـ « عملاء اسرائيل » و « الانعزاليين » .

ولما طلبت الاشرفية النجدة من المصيطبة ، هرعت الاخيرة الى غرفة نومها ، وابتلعت « الفاليوم » ونامت وهي تقول « كملوا عليهم يا ابطال الجولان » .

في ذلك الوقت كان الفلسطينيون — منهم الدكتور وليد الخالدي والسيد حسيب الصباغ — يكتبون « النصر للثورة في اقليم التفاح » .

* * *

لم يستطع القصف السوري الهمجي ان يسلبنا لا حسنا، ولا صدقنا، فكتبنا الى الذين في « المنطقة الغربية » والجنوب ، لافتين نظرهم الى ان « البلدوزر السورية ستكمل مشوارها مع المسلمين » [1] . واذا بالفلسطينيين ، وخاصة اصدقاء « فتح » يتحسسون الخطر ، فيسبقون المسلمين — السنة والشيعة — الى اللقاء بالجبهة اللبنانية ، لكي يجنبوا الفلسطينيين — اللبنانيين الخطر السوري اولا ، والخطر الاسرائيلي ثانيا ، ويضمنوا بقاءهم في اقليم التفاح — المنطقة الواقعة بين النهرين — ثالثا .

لا شك ان السيدين خالدي وصباغ قد كلفهما « ابو عمار » و « ابو اياد » بزيارة الرئيس شمعون ، والشيخ بيار الجميل ، على ان يبقى ذلك سرا لا يبوح به لا الخالدي ، ولا الصباغ ، الى ان تنجح مبادرتهما .

(١) « صوت الاحرار » ١٩٧٨/١٠/٣٠ .

وفي حال فشل مهمة الخالدي والصباغ ، تبقى « منظمة التحرير الفلسطينية » (فتح) بريئة — بنظر حلفائها — من دم هذين الصدّيقين اللذين قد تغتالهما « الثورة » مثلما اغتالت الكثيرين من قبلهما ، في فلسطين — قبل الاحتلال الاسرائيلي وخلاله — وفي غزة ، والاردن ، ولبنان ، وعواصم اخرى ، بتهمة التعامل مع العدو ، ومع الاجانب .

* * *

بعد زيارته للسيد ياسر عرفات ، قال السيد توفيق سلطان — عضو اللجنة التنفيذية للحركة الوطنية — « ان الاخ ابو عمار قد اكد بحضور ابو اياد ، وابو اللطف ، وابو جهاد ، وابو الوليد ، ما قاله الاخ ابو اياد، في مؤتمره الصحافي ان لا علاقة لمنظمة التحرير ولحركة فتح بالاتصالات التي قام بها السيدان وليد الخالدي وحسيب الصباغ » [1] .

* * *

اما سوريا التي يخافها الفلسطينيون والمسلمون فقد تبقى على « الحياد » ، الى ان يذهب الفلسطينيون والجبهة اللبنانية الى شهر العسل . في ذلك الوقت تبدأ مهمة سوريا مع الفلسطينيين ، يساندها « فلسطينيو الرفض » ، ضد من ستسميهم ، غدا ، اذاعة دمشق ، حلفاء شمعون والجميل . وبهذه الطريقة تكون « البلدوزر » السورية قد اكملت مشوارها مع الفلسطينيين ، ومع المسلمين الذين سيصيبهم ما اصاب المسيحيين في المنطقة الشرقية .

وفي النهاية ، يستقر الفلسطينيون في اقليم التفاح الى ان تحل

(١) « النهار » ١٩٧٨/١١/١٥ ص ٣ .

قضيتهم ، ويرمي باليهود الى البحر ، كما اوصى المغفور له الرئيس الراحل جمال عبد الناصر •

★ ★ ★

ليطمئن ابناء الدامور ، فقد اوشكت قضيتهم ان تحل • لان لبنان سيقسم الى علب : واحدة لموارنة الوسط ، وواحدة لموارنة الشمال ، وعلبة لسنيّة بيروت وصيدا ، وعلبة للدروز ، وعلبة للشيعة ، في بعلبك (سامح الله الامام الصدر واعاده الى اهله وذويه ومجلسه سالما) ، وعلبة لمسيحيي الجنوب ، وعلبة للفلسطينيين • يحمل الرئيس الاسد، في وسطه، مفاتيح اغلبية هذه العلب ، وسيلقّب بحامل مفاتيح الجنة • فيا ليت « المبادرة » الفلسطينية التي قام بها الخالدي والصباغ ، يوم عيد الاضحى ، قد سبقتها مبادرة مثلها من الشيعة ، او السنّة ، لبقي لبنان الوطن الواحد •

نسأل الله ان يكذبنا لما فيه خير لبنان الوطن •

● صوت الاحرار ١٨/١١/١٩٧٨ .

٤٢

نحن والاستقلال

في ذكرى الاستقلال نقف ووجوهنا مصفرة ، لا نملك ما نقول • الفشل الذريع يبلل جباهنا بالعرق البارد ، والندم القاتل يجلدنا بألف سوط عذاب ، لتخرج الكلمات ، من افواهنا ، مثلما يجرجر الخائن نفسه الى ساحة الاعدام •

★ ★ ★

استقلالنا ، نحن الذين غدرنا به ، وتآمرنا عليه •

في وضح النهار ، اطلقنا عليه الرصاص •• وأنزلناه من فوق • وعلى جثته جلسنا نأكل ونشرب ، ونرقص ونعربد •

ولما زال ، من رؤوسنا ، اثر « الكؤوس » عدنا الى البكاء ، فلبسنا السواد ، ودعونا « الاصدقاء » و « الجيران » و « الاشقاء » لكي يبكوا معنا •

★ ★ ★

صراخنا لم يثر عاطفة احد •

تمزقنا لم يحرك مشاعر « الام الحنون » •

ضلالنا ما زاد الجيران (•••) الا طمعا ، واستهتارا •

عنجهيتنا ، والتزاحم على الكرسي (نظنه تنافسا على المجد) وتعصبنا الطائفـي ، استغلها « الاشقاء » •• والغربـاء •• فبنوا دويلاتهم على ارضنا ، وقالـوا « لا حول ولا قوة الا بالله » ونحتفـل اليوم ، بعيـد الاستقلال !

★ ★ ★

« الجندي المجهول » يرفض ، اليوم ، اكليل الزهر الذي تعود ان يتلقاه مرة كل عام ، ويأبى ان يستقبلكم ، لان على ضريحه المقدس يقف جندي غريب •

لا تذهبوا اليه ، بثياب العار ، والهزيمة •

★ ★ ★

شارع « فؤاد الاول » يضج بالاحزان •

منذ اربع سنوات ، غادره الجيش ولما يعد •

على صدره يجلس جيش غريب ، ليقطع الدرب على كل « مشبوه » وكل « من ليس مرغوبا به » •

هذا الشارع لن يزوره المطر ، اليوم ، لانه لن يحتفل بعيد الاستقلال فلا تدخلوه ، ان في صدره ثورة ، وفي عينيه جمرة •

★ ★ ★

المدارس ، والكليات ، والجامعـات ، التي كانت تعيّد مع رئيس الجمهورية ، والحكومة ، والجيش ، كل سنة ، ما زالت مقفلة ، لا تعرف

متى ستعود الى الحب ، والعطاء •

هذه المؤسسات قتلها الانتظار •

غرفها ، التي كانت تزدان بالاعلام ، والشعارات الوطنيـة ، والتي كانت تستقطب المحاضرين ، في كل ذكرى ومناسبة ، يحتلها المهجرون •

لا تدعوها الى الاحتفال بعيد الاستقلال • فمنها ما خربتها القذائف السورية ، ومنها ما يمنع القنص الوصول اليها ، واخرى نهبت ، وافلس اصحابها •

وتذكروا ، هذه العشية ، ان لا خسارة مثل خسارة العلم ، والتربية•

★ ★ ★

النوادي الثقافية ، والاجتماعية ، التي كانت تحيي الاعياد الوطنية ، باللقاءات الفكرية ، شلّعتها الحـرب ، وعطلتها عن كل حركة • فأي عيد تقيمون ، والمفكرون قد لجمهم الخوف ، وأقعدهم الرعب !!

مذ مات استقلالنا ، مات الفكر ، عندنا • وماتت الثقافة ، والحرية•

تباً لنا ••• لقد أُعطينا ما لا نستحق •

المنازل المجاورة « للمتحف » وللشارع المجيد « فؤاد الاول » لن يقف لا على شرفاتها ، ولا على سطوحها ، المتفرجون ، مثل كل مرة • لان الجيش ، بالذات ، لن يستطيع ان يقف هنـاك •• فالقنص ، والقصف ، لا يسمحان •

ان اكثر هذه المنـازل قد هدمت القنـابل سطوحها ، وشرفاتهـا ، فهجرها اهلها ، وضيع الشارع مجده ، مذ ضاع الامن ، من لبنان •

★ ★ ★

المتاجر الانيقة ، والمكاتب ، والمؤسسات التجارية ، في باب ادريس، وجادة الافرنسيين ، ورياض الصلح ، وويغان ، واللنبي ، وفوش، والبرج، والصيفي ، وبشارة الخوري ، وطريق الشام ، التي كانت تزينها اليافطات والاعلام ، في كل عيد وطني ، احترقت ، وتهدمت ، فهلا مررتم من هناك ، عشية الاستقلال ؟

★ ★ ★

الجنوب ، وجرح الجنوب ، لن يلتئم ، يسأل عن ثكنات صور ، ومرجعيون ، وصيدا ، فلا من يجيب ، كأنه يستصرخ الموتى .

★ ★ ★

الدامور ، التي مضى على سقوطها ثلاثة اعوام ، ماذا هيأتم لها بمناسبة ذكرى الاستقلال ؟

اهلها هجروا الى بيروت ، ومنها الى الاديار ، والمدارس ، وعلى الطرقات ، وفي الاحراج ، فهلا اعدتم لهم مدينتهم الضحية .. هلا قلتم لهؤلاء البؤساء كلمة واحدة ، عشية الاستقلال ؟

★ ★ ★

البقاع ، تلك المنطقة اللبنانية الخيرة بعطائها ، لا تعرف ما هو مصيرها ، ولا اية هوية تحمل اليوم .

ماذا عساكم تقولون لاهل البقاع ، في ليلة الاستقلال ؟!



عكار ، طرابلس ، زغرتا ، الكورة ، والبترون ، ما حالها ؟

★ ★ ★

كسروان ، المتن الشمالي ، والمتن الجنوبي ماذا بها ؟

★ ★ ★

الاشرفية ، بدارو ، فرن الشباك ، عين الرمانة ، والحدث ، والموت بالقنص ، متى ستعيّد بالاستقلال ؟

★ ★ ★

المرفأ ، الذي كان ملتقى للبعيد والقريب ، للشرق ، وللغرب ، متى يستعيد مجده ، وازدهاره ؟

★ ★ ★

الدوائر الرسمية ، والادارات ، التي تحتضر تحت اقدام المحتلين ، لا تتركوها للموت .

★ ★ ★

مجلس النواب ، الذي طلقته عشيرته ، يبكي ، ويستغيث ، عشية الاستقلال !

رئيس الجمهورية ، الاستاذ الياس سركيس ، الذي ينام في ملجأ القصر — في بعبدا — متى سيرتاح في غرفة نومه .. ألم يحن الرئيس الى سهرة على شرفة القصر ، او الى فنجان قهوة ، في الصباح ، على «بلكون» غرفة نومه ؟!!

★ ★ ★

اياكم ان تدّعوا الاستقلال ، وحالنا هكذا ...

● صوت الاحرار و « العمل » ١٩٧٨/١١/٢٢ .

ملحق

مصطفى جحا : سالب وموجب
في وحدة متناقضات [1]

الجزء الثاني من « رسائل من خلف المتراس » لمصطفى جحا والجزء الاول سبقه منذ اشهر ولم نقرأه بعد وان كنا قرأنا بعض اجزائه في الصحف ، يستحق التوقف عنده لما يتضمنه من امور لا بد ان تؤيدها وترى فيها اشياء جديدة ، وامور لا يمكنك تأييدها وهي تدخل في نطاق التقليديات ، خصوصا نطاق المسائل الشخصية الضيقة التي يحاول المؤلف اعطاءها صفة التعميم والشمول •

ومثل هذا اللون من الادب السياسي والصحافي الذي يعالج المشكلات بعيدا ، تقريبا ، عن المنهجية والبرهنة العقلانية ، يدغدغ منك الانفعالية ، والعاطفة ، والميول ، والاهواء ، ويضع النقاط على بعض الحروف الغليظة ليكشف خباياها بجرأة يستحق عليها صاحبها الثناء والتأييد ، رغم انك لا توافقه في الكثير من آرائه واستنتاجاته •

فمصطفى جحا ، من هذه الناحية ، رجل بالمعنى الشامل والضيق للكلمة • ليس عنده عقبة امام اعلان رأيه • والاصنام البشرية التي تبدو

(١) عندما صدر كتابنا « رسائل من خلف المتراس » ، الجزء الثاني ، كتب الصديق الاستاذ نسيب نمر ، في « النهار » ، هذه المقالة ، ننشرها مع شكرنا وتقديرنا للاستاذ نمر ، المفكر اللبناني الذي ازاح الستائر عن كثير من علمائنا ، وفلاسفتنا الاقدمين ، وعن حضارتنا وتاريخنا .

عملاقة وهي ذات اقدام خزفية متهافتة تبدو على ريشته قزمة ، ولا تكاد ترى اذا نظر اليها بمنظار الوطنية الاصيلة ، والتطورية الحتمية ، والاخاء الوطني الصحيح لا المزيف ، والمشاركة الاجتماعية والاقتصادية لا الطائفية الشخصية ، والعدالة البشرية الفعلية لا العدالة الاجتماعية الكلامية والدواوينية •

جرأته سمحت له ان يضمن « رسائل من خلف المتراس » اقوالا سمعها من بعض السياسيين الكبار هي عكس ما يظهرون به على الناس • انه يشن حربا على النفاق السياسي الذي هو نتيجة النفاق الاخلاقي وكلاهما اسهما في حرب السنتين ، وتهديم لبنان ، وتمزيق شعبه ووحدته• يصح معه القول العامي « لا كبير عنده سوى الجمل » • أهي ميزة ايجابية على كل ما فيها من ملابسات ؟

اني ، والحق ، اراها لكذلك ، ولو ان الطبيعة البشرية عامة مستمرة في سنة زهير بن ابي سلمى :

ومن لا يصانع في امور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

الحقيقة ، يا صديقي ، تحتاج الى شهداء ، وهؤلاء يحتاجون الى جرأة ، او لما كانت حقيقة ، لا نسبية ولا مطلقة ، ولما كان في الوجود سوى العلماء ، وسوى الايمانية المستسلمة المطمئنة الى قيودها واصفادها وهي تحسب نفسها مالكة الارض ، والسماء ، وما في السماء والارض ، حتى تشارك الآلة في الملكية الغيبية السرابية •

والى جانب جرأته التي نراها ، للمثال ، في المقدمة ، ووراء كل كتاب « شهير » حنفية نفط ، وعنصر الزمن واسرائيل والعرب وغيرها ، نلمس عنده روح لبنان الواحد ، بانسانه وأرضه وواقعية هذا الانسان الذي يصل الى الوجود عبر التناقض والتباين كما يفترض الديالكتيك الواقعي ولا سيما قانونه وحدة المتضادات ونضالها •

فوحدة لبنان هذه ليست في النفاق السياسي ، والتقاسم الطائفي ، والعشائري ، والقبلي ، لهذه المزرعة التي اسمها « لبنان » ، وانما هي في الحرية ، والكرامة ، والقيمة الذاتية والمجتمعية ، وعدم القبول بسلخ شبر واحد من ارضنا على يد اي كان •

وحدة لبنان هذه تفترض وأد التبعية كما كان العرب الجاهليون يئدون بناتهم خوف العار الاملاق والبغاء • وهل من عار وبغاء اكثر من تبعيتنا للغير ، ايا كان ، سعيا وراء « عدم الاملاق » المادي الذي هو ، في مثل الطريق ، املاق روحي وخلقي مريع ؟

فالتبعية التي يشن عليها مصطفى جحا هجمات عنيفة هي السبب الاساسي لما عانيناه ونعانيه وسنظل نعانيه ما دامت متغلغلة في مجمل حياتنا السياسية والحزبية •

فلكي نكون بشرا لا اشباه بشر ، وحيوانات ناطقة لا حميرا مبرذعة ، ولكي تكون اصواتنا منا ولنا وليست اصوات اسيادنا ، علينا ان نقضي على التبعية للغير ، ونستقل تماما مع التفاعل الانساني الحر الى اقصى الحدود ومع الانفتاح على العالم كله نأخذ ونعطي ، والا فان احفادنا الذين لا بد ان يدفنوا التبعية سوف يلعنوننا في قبورنا وهم على حق •

والصدق الوطني أراه في مؤلف مصطفى جحا ، فهو عندما كان يحدثني عن الجنوب ، ومأساته ، وهي مأساة لبنان وانسانه ، ترقرقت عيناه بالدمع ، وأحس بالحنين الى مسقط رأسه وأرضه المحرّمة عليه منذ زمن بعيد •

في آرائك ومحاكماتك • والصدق مرافق للجرأة ، اذ المنافق دائما جبان وباطني وانتهازي ووصولي ونخاس • كم نحن في حاجة الى تربية واخلاق تبنى وتنشأ في عقود تتلو عقودا وقرون في اثر قرون كي يصح ان نكون من اصحاب المثل الصادقين !

المهم ان نبدأ ، والحضارة البشرية لم تبن دفعة واحدة •

هذا الصدق الوطني نجده في المؤلف واضحا صريحا : « ان الذي يبعث على الاعتزاز فهو انه على صخوره يتحطم كل عنف ، وكبرياء ، وتسقط • وكم من شعوب ، ودول ، لقيت مصرعها هنا ؟! ربما ينتظر لبنان ، كل لبنان ، في السنوات القريبة ، ثورة اجتماعية تحمل الحل ... المطلوب » (ص ٢٤٧) •

ولكن ما تحطم على الصخور انما تحطم ايمان الانسان اللبناني بوطنه الذي ليس هو صخورا فحسب ، بل قبل اي شيء ، انه البشر الذين يفتتون الصخور ويرسلونها تجوب الفضاء اللامتناهي بين الكواكب والاجرام حتى تسود على القمر الاله المعبود عند الاقدمين •

طريقة المؤلف في وضع الامور ومناقشتها عارية صريحة مباشرة تستقطب الاعداء وتخنق صدور ضيقي الصدور ، الا ان ما يشفع فيها كونها قائمة على الاخلاص والاقتناع •

واذا هو جابه اعداء كثيرين لكلمته ، فانه ربح حليفا له هو الصدق والاخلاص وذاته •

انه صادق حتى لو عالج امورا كثيرة في صورة خاطئة ، ذاتية ، غير واقعية احيانا ، وغير متفقة في اي حال مع النظرة المادية الى التاريخ ، مع ان مؤلفه ممكن ان يكو ناحد المصادر في المستقبل عندما تؤرخ هذه الفترة الاشد ظلاما من تاريخنا الحديث ، فترة الانفلات القبلي والعشائري والطائفي ، بفضل بعض الاشقاء العرب ، وبفضل الدول الاجنبية •

ولو ان المجال متسع لافضيت في نقد « رسائل من خلف المتراس » وبنيت ، بدقة ملموسة لا في صورة عامة كما فعلت مضطرا ، اين مواقع الصواب فيه واين مواقع الخطأ والطوباوية • اين جوانب الاصالة واين

جوانب التصنع والتناقض انه عمل ككل شيء في الوجود، وحدة متناقضات. ملتقى السالب والموجب . وفي الوقت ذاته حركة ، وحركة مستمرة ، سواء رضيت بها ام لا .

ويقيني ان المؤلف ارضى نفسه وان لم يرض الكثيرين .

وحتى الذين قالوا كلمتهم في جزئه الاول ، ونشر المؤلف بعضها ملحقا لم يفد معظمهم من جرأته وصراحته فكانت كلماتهم تقريظا ومديحا شخصيا له ولآرائه . وان لنقدنا الحديث ان يخرج عن التقريظ والمديح والشتم والتجريح ، ليقوم على المرتكزات الفنية الجمالية الواقعية المنسجمة مع الطبيعة والوجود ومع الانسان نفسه ظاهرة متغيرة متبدلة متحركة على الدوام مع احتفاظها بسكونها وثباتها النسبيين .

ولعل المستقبل يسمح لنا بتقويم مؤلف مصطفى جحا ، تأييدا وانتقادا ، لاقتناعي بأنه يستحق ذلك ولو خالفته في كثير من الامور والاستنتاجات والاحكام مخالفة تعسفية ومنها اننا بدلا من التساؤل « اي استقلال ندعي » (ص) ١٤٥ اذ لدينا بالفعل استقلال سياسي مطلق، علينا ان نتساءل : اي وطن نجد ؟ اي استقلال نطعن ؟ اي شيء فعلناه وسنفعله لهذا الاستقلال ، ولهذا اللبنان والوطن ؟

ليسأل كل منا ذاته ، وليفعل — وكل شيء فعل وعمل — وانا كفيل بانبعاث لبنان جديد حقا وحي حقا ووطن للجميع حقا ... كطائر الفينيق.

نسيب نمر

● النهار ١٩٧٨/٥/١٢ .

صدر للمؤلف

فهرست